
أدب ونقد
العدد «١٩٨» فبراير ٢٠٠٢
مجلة
الثقافة
الوطنية
الديمقراطية
أجمل الأيام التى لم تأت بعد
قصائد ناظم حكمت
ورسوم أمه جليلة!
خرافة
التهديد الإسلامى
الروح الثقافى
للحضارة الإسلامية
الأصولية السودانية والفردوس!
جار النبى الحلو
حلم على نهر الإبداع



أدب ونقد

مجلة الثقافة الوطنية الديمقراطية

شهرية يصدرها حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوي

تأسست عام ١٩٨٤ /السنة الثامنة عشر العدد ١٩٨ / فبراير ٢٠٠٢

المراسلات: مجلة [أدب ونقد] ١ شارع كريم الدولة / ميدان طلعت حرب /الأهالي
القاهرة / هاتف ٢٩/ ٢٨/ ٥٧٩١٦٢٧ فاكس ٥٧٨٤٨٦٧

الاشتراكات لمدة عام
باسم الأهالي / مجلة [أدب ونقد]: داخل مصر ٥٠ جنيها
البلاد العـــربية ٥٠ دولارا / أوروبا وأمريكا ٧٥ دولارا

الطباعة
شركة الأمل للطباعة والنشر

الأعمال الواردة إلى المجلة لا ترد لأصحابها سواء نشرت أو لم تنشر
يمكن إرســـال الأعمـــال على العنـــوان البريدي أو البريد الالكتروني:
adabwanaqd@yahoo.com
موقع [أدب ونقد] على الانترنت: adabwanaqd.4t.com

فى هذا العدد

الغلاف الأول: ناظم حكمت بريشة والدته الفنانة جليلة.

* الغلاف الأخير : مرايا نجيب محفوظ بريشة الفنان سيف وانلى.

* الرسوم الداخلية : للفنانين الكبيرين ورسام الكاريكاتير : عفت

أول الكتابة

فريدة النقاش

يقولون إن كثرة الضحك تميت القلب ، فهل تميت القلب أيضا كثرة الألم؟ يبدو أن الإجابة هي. لا، فكلما كان الإيلام زائدا كان الوضع أكبر..

أكتب الآن وأمامي على شاشة التلفزيون دبابات إسرائيلية تحاصر مقر الرئيس الفلسطيني «ياسر عرفات» في مدينة « رام الله» بعد أن كان الجيش قد قام بإخلاء مقر التلفزيون والإذاعة الفلسطينية وزرعه بالقنابل ثم أشعل فيه النيران ونسفه .وأظل أقول لنفسي طيلة الوقت وأنا أتفرج عاجزة : ما جدوى الكتابة؟ هل بوسع الكتابة أن تسهم في تغيير المشهد؟ وأجيب لنفسي : بل لابد أن تسهم الكتابة في تغيير المشهد ، وإلا فلا جدوى منها .. لكن التغيير بطئ على عكس الإيقاع العالمي المتسارع وتبدلات المشهد اليومية التي تكثف الشعور بالسكون العربي المميت ، وبحقيقة أن رد الفعل على المستويين الرسمي والشعب هو أدنى كثيرا من جسامة الفعل الصهيوني ،وأدنى من قدرة الشعب الفلسطيني على الصمود وحيداً في قلب المحنة ، وأدنى من لامبالاة العالم بمأساة آخر شعب على الأرض لا يزال يعاني من احتلال أراضيه ، وأدنى من عجز الأمم المتحدة عن تنفيذ قراراتها الواضحة التي تقول بعدم شرعية الاحتلال ،وتدعو لتصفيته دون أن تخطو خطوة عملية واحدة... ولكن رد الفعل هذا هو أقرب للواقع الموضوعي الذي يقول إن بلداننا أصبحت محميات أمريكية.

ومع ذلك فإن الفرجة على المشهد مثلها مثل السكون العربي المميت هي جريمة

..والحد الأدنى من المساندة للشعب الفلسطينى هى عمل ضرورى ،ونحن نعرف أن مبادرات جماعية وفردية تنطلق كل يوم وفى كل مكان ويموت معظمها فى المهد بسبب ذعر الحكومة من تفاقم الوضع الاجتماعى -الاقتصادى المأزوم، ومن التوتر المكتوم فى أوساط الشعب ،وهو توتر قابل للاشتعال فى أى لحظة ..لكن ذلك كله لا يجوز أن يدفعنا إلى اليأس أو يحطم معنوياتنا ..إننا مدعوون لأن نستكشف تلك الأرض المشتركة بين كفاح الشعب الفلسطينى للتحرر من الاحتلال ،وبين كفاح الشعب المصرى لانتزاع حقوقه الديمقراطية فى التعبير والحركة والثروة ،فثمة ارتباط وثيق بين كل جوانب الظاهرة التحررية ، ارتباط تبرزه لنا على أفضل نحو التجربة المعرفية والعملية لتحرر الشعوب من الاستعمار وهى تواصل كفاحها الآن للتحرر من قبضة العولمة الرأسمالية ابتغاء تحويل مسارها لتصبح عولمة للشعوب وتضامنها ، وليكون الإنسان هو السيد لا السوق، ولتكون القيمة العليا هى العدل لا المنفعة حتى تحقق سيطرتها على مصيرها فى عملية نفى جدلية للنهب والاستغلال والاستبعاد الذى تمارسه الإمبريالية العالمية باعتبارها البلطجى الحامى للصهيونية والتوسعية الإسرائيلية ومشروعها للهيمنة الإقليمية.

إننا مدعوون للعمل بلا كلل، لا من أجل فلسطين فقط وإنما من أجل عالم جديد وجميل .. فنحن رغم كل شئ لم نفقد الثقة فى المستقبل ولا فى اليوم الأجمل الذى لم يأت بعد -على حد تعبير الزميل العزيز «طلعت الشايب» الذى اختار لنا الديوان الصغير من ناظم حكمت وقدم له بمناسبة الذكرى المائوية لميلاد الشاعر التركى العظيم.

ويقدم لنا الزميل أشرف أبو اليزيد صورة قلمية للفنانة «جليلة» أم ناظم حكمت التى يزينه رسمها لأبنها غلاف عددنا هذا.

وما أحوجنا الآن لاستدعاء الفنانين والشعراء التقدميين العظام الذين أسهموا بإبداعهم فى إغناء الوجدان الإنسانى على امتداد المعمورة ،حين أنشدوا ورسموا وغنوا لكل الشعوب ممجدين الإنسان ذلك الكائن الفريد. يقول «ناظم حكمت» إنه كان

مسحورا بالناس على الدوام .. فهل نستطيع نحن الذين نقرأ أشعاره الآن إلا أن نكون مسحورين أكثر بالإنسان الفلسطيني ..بل وبالانسان فى كل مكان وحيثما يكافح من أجل الحياة وضد الموت من أجل الخبز والورود الذى كان شعارا لآلاف النساء العاملات فى صناعة الغزل والنسيج واللاتى أضربن فى مدينة لورنس الأمريكية فى بداية القرن الماضى مطالبات برفع أجورهن ونجحن ، ولكن قد أتين من ثلاثة وعشرين قومية هاجر بعض أبنائها لأمريكا .

يقول «ناظم حكمت» أيضا إنه« دأب بواسطة الشعر على تمجيد نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافى وقوميتها وعرقها فى سبيل الاستقلال القومى والعدالة الاجتماعية والسلم»..

وحين نقرأ كلماته هذه **نتذكر جيدا- أنه بالرغم من توحش الامبريالية الأمريكية والدولة الصهيونية -هناك آلاف البشر على امتداد المعمورة يبتكرون الطرائق لمساندة الشعب الفلسطينى رغم التعتيم والتزييف الإعلامى، وهناك مئات منهم ذهبوا إلى فلسطين يتظاهرون** وهم مثلهم مثل« ناظم حكمت» نفسه الشاعر الذى ولد لأسرة ثرية خرجوا على طبقاتهم ونمط حياتهم المريح فى بلدانهم الغنية ليكون هاديهم فى العمل والحياة ،هو الوعى النقدى والضمير اليقظ والبحث عن الحقيقة والعمل على هداها .. فقطعوا آلاف الأميال قادمين إلى فلسطين ليواجهوا جيش« الدفاع» بصدور عارية ومعهم نفر من الإسرائيليين محدود لكنه يبقى رمزا لاحتمال التغير فى وعى الشعب الذى كان أجداده وآباؤه قد عانوا الأهوال على أيدى العنصرية النازية، وهاقد أتى زمن تمارس فيه مؤسسته العسكرية فظائع مشابهة ضد شعب آخر باسم الأمن الذى يخفى وراءه حقيقة المشروع الجهنمى للتوسع والاستيطان.

فآلا تحفظون بعض الشعر لتوقفوا المذبحة.. هكذا يقول «محمود درويش» أحد أكبر الشعراء العرب المعاصرين الذين نحتاج لاستدعاء روح المقاومة التى يؤججونها مثلما نستدعى «آراجون» و«لوركا» و«بابلو نيرودا» وأمل دنقل» و«الجواهرى» و«البردونى» ، «وصلاح عبد الصبور» و«سميح القاسم» ،و«مئات من الشعراء الجدد على الساحة

العربية لتتبنى معهم قوة للروح وطاقة للتجديد حتى نبطل سموم الهزيمة ، ونخرج من أسر الكآبة والركود ، ونراكم أعمالا صغيرة سوف تكبر من أجل حرية الشعب الفلسطيني وحريتنا فانتصارنا له هو قبل كل شئ رد اعتبار للنفس ولكل أفكار التحرر العظيمة التى أخذ يكسوها غبار العولمة الرأسمالية والهيمنة الأمريكية والاستغلال الوحشى .

إنه زمن جديد لإعادة التأسيس بدأب والذود عن كرامة الأفكار الكبيرة والقيم العليا لا بمجرد التأمل الحزين إنما أيضا بالممارسة الفعالة.

إن أخطر ما أنتجته الليبرالية الجديدة وهى تحرر الأسواق وتلجم الدولة وتخفض العملات الوطنية وتلقى بالعاملين إلى طرقات البطالة والضياع هو هذه النزعة الأنانية الضيقة والفردية الغليظة التى تجعل لسان حال كل إنسان يقول : يا رب نفسى أنا ومن بعدى الطوفان ،وتتكفل حالة الطوارئ وممارسات الشرطة ببث الرعب داخل النفوس والحض على المشى جنب الحيط وإذكاء روح المالأة والنفاق للمسئولين صغارا فينغمس فى ذاته وفى أسرته على الأكثر ،ويصبح متفرجا على ما يجرى فى الدنيا لا شأن له من قريب أو بعيد ،فإن أحداً لا يطلب مشورته أو مشاركته ، وتصبح غربته مركبه وتشيع حالات التدين الزائد عن الحد وصولا فى أحيان كثيرة إلى التطرف والعزلة ومعاداة المجتمع وتكفيره ،وتتخذ القضايا الصغيرة والجريئة سمت القضايا الكبيرة والكلية فتمتص الطاقات المعطلة وتملأ فراغ الروح.. وتطرد الوحشة حين تنشغل جماهير عريضة بثياب المرأة أو بتفسير كلمة من كلمات القرآن الكريم أو مسلسل تلفزيونى تافه ،وهكذا تتم عملية التعويض وملء الفراغات ولعب الأدوار ومع ذلك فإن الواقع أكبر من التزوير والمراوغة إنه يفرض نفسه وقضاياه الكبرى على اهتمام الناس ..فينشغلون بما تفعله إسرائيل بالفلسطينيين ، ويتابعون بكل جديد آلاعيب الحكومة والتجار لتخفيض سعر الجنيه ورفع أسعار السلع الأساسية وينفثون غضبهم بوسائل شتى إلى أن يكون انفجاراً ، ويدور صراع مكتوم أو معلن بين إرادة الجماهير وقوة الدولة حول مشروعية التعبير والاحتجاج الذى يتخذ أشكال هبات

وانتقاضات واضرابات، المشترك الأساسى فيها جميعا هو أنها تتم وفق تنظيم جماعى كانسة فى طريقها النزعة الفردية الغليظة والحلول الفردية الشائعة.. هكذا خرجت جماهير غفيرة من أجل فلسطين فى كل المواقع ورغم الحصار وعرفت المصانع ومؤسسات العمل بل وغيطان الفلاحين أشكالا من الاضرابات والاعتصامات رغم إغلاق الأبواب أمام التحرك السلمى وفتحها أمام عنف المؤسسات المالية الدولية ومطالبها القاسية التى تحول المجتمعات إلى غابات يصارع فيها الضعفاء للبقاء على قيد الحياة وملهثون من أجل النجاة.

وفى هذا الصراع الممتد والمتشعب تبرز مسألة التناقض بين حرية الفرد الإنسانى وتجليها كأحد مقتضيات الحداثة وبناتها وبين الروح الجماعية التى يشترطها تحرير الأوطان والمجتمعات حيث يكون الفرد مرشحا للذوبان فى المجموع ضابطا حركته على إيقاع عمل مشترك طويل المدى متعدد المستويات ، ولا يندر أن يكون مهددا بفقد حريته أو جزء منها أنها منطقة للتوتر بوسع الأدب أن يدخل إليها ليضيئها بأدواته وطاقاته الجمالية ويدخل بها إلى ساحة الجدل العام ويحرر الأدباء أنفسهم من بعض غربتهم القاتلة وينتج لنا أعمالا جميلة ودالة.

يواصل الباحث العراقى المقيم فى موسكو «ميثم الجنابى» معالجة موضوع الأمة الثقافية التى يرى فى العالم الإسلامى نموذجا لها تجسد فى إنتاج الفقه والفلسفة والتصوف والأدب .. ورغم أن البحث يعالج موضوعات شتى مهمة فسوف أتوقف فحسب أمام النتيجة التى توصل إليها وهى تخص العمل الراهن والملح من أجل الديمقراطية فى العالمين العربى والإسلامى ، ففى متابعته لما أسماه بثنوية الدينى والدنيوى يرى«ميثم » أن «**ليست الدولة سوى أداة النظام والمصلحة ، وبالتالى لاتعارض بين المبدأ والمؤسسة .فالمؤسسة تمثل أساسا تجارب الماضى والحاضر بما يخدم وحدة المجتمع والدولة .والمبادئ الكبرى للدين الإسلامى تدعو أساسا للوحدة على مثال الواحد الحق ، ومن ثم فلا معنى «لمجتمع مدنى» لأنه جزء من الدنيوى الإسلامى**»..

فإضافة إلى حقيقة أن كل المجتمعات الإسلامية عربية أو غير عربية قد تطورت عبر القرن العشرين في إتجاه الرأسمالية التى يتخلق ضمنها المجتمع المدنى شاءت الدولة المهيمنة أم أبت وسواء كان هذا المجتمع ضعيفا أم قويا بنقاباته وجمعياته وروابطه وأحزابه (إن وجدت) ومؤسسات الخير التى يخلقها ومن ضمنها حتى مؤسسات الزكاة والوقف الإسلاميتين إضافة إلى ذلك فإن الدول الإسلامية العشائرية الأموية الاستبدادية قد استخدمت الدعوة للوحدة على مثال «الواحد الحق» المتضمنة فى هذا البحث لتمنح لنفسها -دون أى سند شرعى أو قانونى حق تمثيل المجتمع كله وكأنها مفوضة من الله سبحانه وتعالى حيث تقوم بتأميم المجتمع المدنى الذى يتخلق رغما عنها وغالبا ما تنجح فى محاصرته وخنقه وتعطيل نموه. ويعيد هذا النص إلى الأذهان شعار جماعة الاخوان المسلمين الذى يقول إن الإسلام دين ودنيا والذى باسمه يفرضون سلطانهم فرضا على سلوك الناس وطريقة حياتهم وعلاقاتهم ويستبدون بهم حتى وهم- أى الإخوان- ما يزالون خارج السلطة وقد رأينا ماذا حدث فى السودان من عدوان على الحريات العامة وعلى مناهج التعليم وعلى النساء والأقليات الدينية بعد أن توالت الجبهة القومية الإسلامية الحكم وحلت النقابات والأحزاب والجمعيات والروابط والاتحادات الطلابية والنسائية مبددة تراثا عظيما للمجتمع المدنى السودانى بدأ الشعب فى إنجازه حتى منذ ما قبل الاستقلال لاشك أن ما يقدمه «الجنابى» حول مثال «الواحد الحق» هو حقيقة فى الثقافة الإسلامية ربطت الدينى بالدنيوى لكن هذا الربط هو فى أمس الحاجة للانتقاد من على أرضية الحداثة والديمقراطية.

كنا قد نشرنا فى العدد الماضى فقرة فى أول الكتابة عن مقال «لنجلاء أبو عجاج» عن« أدب السيرة الذاتية فى ضوء ما بعد الحداثة ولكن المقال لم ينشر لأسباب فنية وها هى الفقرة مرة أخرى لعلنا ننعش أذهاننا معا للتفكير فى موضوع الواقعية التى تتلمس الكاتبة مظاهر صعودها مجددا وتقول فى تقديمها للموضوع إن الفكر الغربى قد دأب على وضع حدود فاصلة بين أمرين هما الذات والموضوع ، فالذات تخبر العالم وتكون أفكارا عنه ، أما الموضوع فهو عبارة عن الأشياء الخارجية ، وينبع قصور هذه

المقولة من وجهة نظرى عن التعميم ، ذلك أن الفكر الغربى ليس شيئا واحدا ،فهناك الفكر المثالى والفكر الوضعى والفكر المادى التاريخى الاشتراكى وهذا الأخير لا يضع حدودا فاصلة بين الذات والموضوع بل يرى أن الذات بوسعها أن تغير الموضوع فى مجرى الممارسة بحيث يتلاءم مع أهداف البشر ،وتتغير الذات نفسها أيضا حين تظهر لديها أهداف ومتطلبات جديدة وتدخل فى علاقات جديدة سواء مع الطبيعة أو مع الأشياء التى خلقتها هى نفسها فى عملية جدلية دائبة حيث تشكل الذات والموضوع نقيضين فى وحدة يتبادلان التأثير والتأثر ويتغيران حيث لا شئ ثابت ،وحيث تتطور الحقيقة الموضوعية دوما وأبدا ،وهذه الحقيقة الموضوعية هى أمر عيانى ملموس يرتبط بظروف المكان والزمان ، ويكن دائما اختبار الصحة الموضوعية لمعارفنا لأن الممارسة من وجهة نظر الفكر الاشتراكى هى معيار الحقيقة ، أى أن الذات تلعب دورها عبر الوعى والفعالية فى تغيير الواقع الذى يؤثر تأثيرا عميقا فيها..

وربما تتوافر لنا فرصة قادمة لمناقشة مقولات ما بعد الحداثة فى ضوء التطور الواقعى فى الأحداث والأفكار على الصعيدين العالمى والمحلى والكيفية التى انعكست بها أفكارها فى أعمال الأدباء الجدد وعلى نحو خاص هؤلاء الذين تواصلوا مع الفكر والإبداع العالميين فى طورهما الجديد وأخذوا يكشفون فى إنتاجهم عن الروابط العميقة وغير المرئية بين الظواهر الواحدة التى تتخذ فى كل بلد شكلا مميزا خاصا به ..أليست هذه هى ضالة المبدعين الأصلاء فى خاتمة المطاف أن يلتقطوا دبيب الحركة الكلية الدائبة فى روح العالم ويعطوها شكلا يحمل لهيب أنفاسهم وينسجونه من التفصيلات اليومية فى واقعهم المحلى؟.

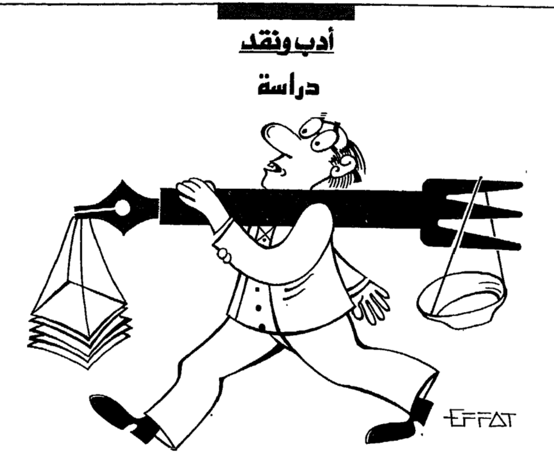
سوف يكون العدد ما بعد القادم أى أبريل ٢٠٠٢ هو عددنا المائتان .ونود أن نذكركم أننا احتفلنا بالمائة الأولى بطريقتنا ونريد هذه المرة احتفالا أكثر ديمقراطية تكون أفكاركم ومقترحاتكم فى القلب منه .ولنخطط معا للمائة الثالثة..

وكل مائة عدد وأنتم بخير.

المحررة

أدب ونقد

دراسة



الحضارة الإسلامية -الواحدية والروح الثقافى

*** ميثم الجنابى**

ليست الواحدية الثقافية قولبة للثقافة ، بل هى الوحدة المعتدلة لنسبها .لأن الجوهرى فى الثقافة الإسلامية هو روح النظام،. والنظام فيها هو اعتدال محدد بأولوية العدل .مما يجعل من العدل موشوراً تتكسر فيه قيم الوجود الاجتماعى والسياسى والأخلاقى.

فالصراعات الاجتماعية والسياسية الكبرى للقرن الأول الهجرى (قرن الصيرورة العاصفة للخلافة الإسلامية) ارتبطت بفكرة العدل، باعتبارها إحقاقا للحق .وكان الخوارج والشيعة الأطياف الأولى لانكسار الرؤية الاجتماعية والأخلاقية فى منشور

العدل الإسلامي.

تبلورت هذه الأطياف الأولى في البداية بهيئة إحساس مرهف تجاه معالم الابتعاد الجزئي عن مبادئ العدل الإسلامي في خلافة عثمان بن عفان .فقد كان الاحتجاج الأول صامتا ثم خافتا ثم مدويا كما هو الحال عند أبي ذر الغفاري، الذي جعل من الآية القرآنية (والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم» ،شعاره العلني .وشكلت الثورة على عثمان وقتله أسلوبا لشرعية الحديث القائل(لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق) .وليست الطاعة والمعصية هنا سوى أطراف العلاقة الوجدانية والأخلاقية بالعدل .وتأطرت هذه المواقف الفعالة والإيجابية في البداية بروح الإدانة والاعتراض والمشاكسة ، باعتبارها صيغا مباشرة لتحسس الانحراف والابتعاد والزيغان عن الحق.

وليس مصادفة أن تستثير الوعي الاجتماعي والأخلاقي حينذاك قضايا التكفير والكبائر والوعيد والخروج(معارضة التقية)والتوبة والإيمان والإمامة والواجب معرفته والخير والشر.

فقد ارتبطت ظاهرة التكفير بمسألة الكبيرة باعتبارها ابتعادا عن الحق .لذا كفروا في بادئ كل من يقترف ذنبا ومعصية .واعتبروا من ارتكب الكبيرة كفر« كفر ملة» (خروج عن الإسلام) .وأحيانا «كفر نعمة» كما هو الحال عند الأباضية.

وعارض أغلبهم التقية .فقد شددت فرقة الأزارقة على تكفير «القعدة» ،الذين لا يقاتلون الظلم والجور، وجعل بعضهم الإيمان علم كل حق وباطل ،كما هو الحال عند البيهسية، بينما اعتقدت الفرقة النجدية ،معرفة الله والرسل وتحريم دماء المسلمين المعرفة الواجبة على كل مسلم.

وتحسسوا قيمة السلطة والدولة بالنسبة للعدل، بحيث جعلت بعضهم يقول« إذا كفر الإمام كفرت الرعية الغائب منها والحاضر» (كما هو الحال عند البيهسية) .في حين اعتبرت الفرقة الأباضية «دار مخاليفهم من أهل الإسلام دار توحيد، إلا معسكر السلطان فإنه دار بغي» بينما توصل بعضهم(كالنجدية) إلى إمكانية الاستغناء عن الإمام في حال تمسك الأمة بالقرآن بينهم .كل ذلك يكشف عن أن الهاجس الأعمق في أخلاق الخوارج ورؤيتهم الاجتماعية والسياسية محدد بفكرة العدل .وهي حصيلة وضعوها في سلسلة المواقف من النفس والمجتمع والسلطة.

وهي ذات الحوافز الجوهرية في التشيع ،الذي جسد القيم الوجدانية للحق من خلال

نمذجتها فى شخصية الإمام ،باعتباره التحقيق المتسامى للأنا الإسلامية .ووجد ذلك انعكاسه فى منطق التشيع ،الذى جعل من الإمامة والإمام قضايا أصولية وليست فرعية فى الدين .فقد أعطى التشيع للإمام بوصفه تجليا للحق(الله) قيمة جوهرية فى ضبط نظام الوجود .بينما تراوحت آراء الجهمية والمرجئة بمختلف مدارسهم عن تيارى الخوارج والشيعة.

لقد جهد كل اتجاه كبير لتأسيس حقيقة العدل باعتباره اعتدالا .وجسدت المعتزلة فى بداية أمرها آنذاك الإدراك لهذه القضية للمرة الأولى فى فكر الخلافة نظاما فكريا متجانسا عن العدل .وجعلت منه مبدأ نظريا وعمليا عاما فى مواقفها من قضايا الملك (الوجود الطبيعى) والملكوت (ما وراء الوجود الطبيعى) والجبروت (الفعلى الإنسانى).

ووضع المعتزلة العدل فى أول مبادئهم وأكملوه بالتوحيد لهذا سموا أنفسهم بأهل العدل والتوحيد وهى تسمية تعكس الإدراك العميق والشامل لماهية الإسلام وحقيقته .لقد آرادوا إعطاء الأبعاد الطبيعية ووالما .وراء الطبيعة قيمة متجانسة من حلال جعل التوحيد عدلا والعدل توحيدا .وهو توليف أدى تاريخيا إلى تأسيس الروح الثقافية فى الإسلام.

كان التوحيد المعتزلى يرمى إلى جعل الله متساميا عن إرادات الناس المتغيرة ، وذلك عبر تجريده المتسامى ، باعتباره كيانا مطلقا قائما بحد ذاته، وعقلا كاملا وخيرا شاملا وجمالا تاما ، يعطى للإنسان إمكانية سموه بالعقل والإرادة المعقولة .والعقل الإرادى المتربى بقيم الخير والصلاح والجمال قادر على صنع نظام الوجود وضبطه باعتباره عدلا. من هنا اجماعهم على أن الإنسان قادر وخالق لأفعاله خيرها وشرها .وأن الله منزه أن يضاف إليه شر وظلم وفعل هو كفر ومعصية، لأنه لو خلق الظلم كان ظالما ، كما لو خلق العدل كان عادلا. وأجمعت المعتزلة على أن الله لا يفعل إلا الصلاح والخير. إذ يجب ممن حيث الحكمة رعاية مصالح الناس .وهى أمور تعرف كلها بالعقل أيضا قبل ورود الأنبياء والرسل. وذلك لأن أصول المعرفة وشكر النعمة واجبة بالعقل ،كما يقول المعتزلة ، وينطبق هذا أيضا على قضايا الحسن والقبح الأخلاقيين .إذ ليس ورود الأنبياء سوى ألطاف إلهية .لهذا اعتبر أبو الهذيل ،أن للكفر ثلاثة أوجه وضع فيها «من يجور على الله فى الحكم أو يكذبه فى خيره» ،فى حين قال النظام ، إن الله لا يقدرَ أن يفعل بعباده إلا ما فيه صلاحهم .واعتقد الإسكافى أن الله لا يقدر على ظلم العباد .واستنبط المعتزلة من آرائهم هذه فكرتهم العامة القائلة، بان عالمنا هو أفضل العوالم ومدرك بالعقل

،ومن ثم فإن النظام المعقول هو النظام الموجود ،وإن الإنسان قادر على إقرار العدل فيه ،لأن وجود العالم يفترض سيادة العدل فيه سواء من حيث أصل وجوده(الإلهى) ،ومن حيث استمراره فى عقل الإنسان.

وشاطرت فرق الكلام الإسلامية بهذا القدر أو ذاك آراء المعتزلة سواء من حيث الإقرار ببعض منها ، أو من خلال تحويل إشكالية العدل التوحيد إلى محور تأملاتها اللاهوتية .

أما الفلسفة الإسلامية فقد سعت أيضا لتأكيد قيمة العدل الشامل فى الوجود من خلال تركيزها على قضايا العقل والوجود المعقول (الإلهى والطبيعى) .فقد جعلت الفلسفة الإسلامية من العدل العقلانى –الأخلاقى أصل الوجود والوجوب فى العالم ،وعليه بنت تصوراتها وأحكامها ومواقفها عن الله والإنسان والمجتمع والدولة والحياة والموت والخير والشر والجميل والقبيح .فقد أسس الكندى آراءه عن العقل والعدل ، بينما وضعها الفارابى فى تصورته وأحكامه عن الدولة المثلى ، بينما وضعها ابن سينا فى نظريته عن نظام الوجود والمعرفة ،فى حين آلف ابن رشد بين التقاليد والحقيقة فى مختلف تجلياتهما .لقد ساهمت هذه الآراء والإنجازات الفكرية جميعا فى ترسيخ منظومية الرؤية الإسلامية عن الوجود باعتباره عدلا وعن العدل باعتباره واجبا.

أما التصوف فقد نشأ بحد ذاته كبحث عن نسب العدل من أجل الانتظام فيها .فالله هو مطلق التجانس ووحدة المتضادات ،والتناسب الذى لا ينفد فى إشعاعه على كل وجود وموجود .من هنا تسمية أنفسهم بأهل الحق. والحق هو النسبة العادلة فى كل شئ ،ومن هنا أيضا تلقائية النسبة الحية فى ملكوت (ميتافزيقا) التصوف وملكه (انطولوجيته) وجبروته(أخلاقه العملية) ونموذجيتها فى وحدة الطريقة والشريعة والحقيقة .أى أن للحقيقة قانوناً وطريقاً جسده المتصوفة من خلال شريعة الثقافة (الإسلامية) وطريقهم الخاص فيها ،إذ الحقائق الكبرى هى حقائق ثقافية ،وأصالتها فيها ،ومن خلالها يتراكم الروح الإنسانى الأشمل باعتباره عن العدل والنظام ،ولعل منظومة الغزال وابن عربى من بين أعظمها إنجازا.

إن سيادة العدل والنظام فى مختلف الاتجاهات والعلوم والفنون الكبرى للثقافة الإسلامية يعكس أولا وقبل كل شئ إدراك قيمة النسبة .فالعدل والنظام هما أولا وقبل كل شئ نسبة والنسبة هى ليست الكمية المعقولة والضرورية لوجود الأشياء فحسب ، بل والأسلوب الأمثل لفاعليتها المتجانسة .وبهذا المعنى فإنها تنشأ وتتطور على قدر وكيفية

حل معضلة الطبيعى وما وراء الطبيعى فى الثقافة.

فقد نشأت الثقافة الإسلامية نفسها على مثال وحيها القرآنى ،باعتباره ممثلا للصراط المستقيم.فالصراط المستقيم وسط، والوسط اعتدال ،والاعتدال عدل، والعدل حق، والحق هو النظام الأمثل .بصيغة أخرى ،لقد تغلغل إدراك الاعتدال باعتباره النسبة الضرورية والمعقولة لوجود الجماعة والأمة فى علاقتها بنفسها (المستوى الطبيعى) وعلاقتها (الماور الطبيعى) . وشق ذلك لنفسه الطريق فى العبادات (الروح) والعادات (الجسد) .ففى العبادات انطلقت الثقافة من الفكرة القرآنية القائلة، بإن الله يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر. وحاولت أن تعطى لعلاقة الظاهر بالباطن ،والروح بالجسد ونسبتها الضرورية فى الصلاة والصوم والحج والزكاة .فالصلاة هى حركة الجسد واللسان والقلب فى المكان والزمان(ثلاث أو خمس مرات فى اليوم) ،والصوم هو حركة الجسد فى المكان والزمان(شهر فى السنة) بالخضوع لله. والحج هو حركة الجسد فى الزمان(مرة فى السنة أو العمر) فى توجهه لله، والزكاة هى حركة الجسد (المالى) فى الزمان (مرة فى السنة) تزكية وتطهيرا.

ذلك يعنى أن الإسلام أشرك الجسد الفردى والجماعى فى حركة متناسقة ودائمة وموحدة للسان والقلب والمعدة والنفس فى خضوعها للمبدأ الأسمى .أى أنه وحد فى الحركة الجسد والروح ،والزمان والمكان، وخلق منهم كلا واحدا فى العبادة مجسدا لنسب المثال الأعلى فى الله الواحد ،والجماعة الواحدة ،والروح الواحد ،والجسد الواحد ، أى كل ما يبدع الوحدة فى الجماعة وتنوعها فى الأفراد .من هنا قول ابن عربى «الطرق إلى الله بعدد الخلائق ، ولا تعارض» وينطبق هذا على العادات أيضا.

فالفقه الإسلامى هو نموذج لوحدة العقل والأخلاق فى تناول الحياة الاجتماعية والاقتصادية والحقوقية .بمعنى جمعه النسب المعقولة فى حل المشاكل بمقاييس المصلحة والأحسن.وفيه أيضا تتجلى وحدة الأصول (القرآن والسنة) وتنوع الاجتهادات ،وشرعيتها فى المدارس المتنوعة من شافعية ومالكية وحنفية وحنبلية وثورية وجعفرية واباضية وظاهرية وغيرها.

إن تنوع الانتماء للوحدة (الإسلامية) هو تجل للبحث عن النسب المتنوعة للنظام الأمثل .مما أدى إلى أن تبدع الثقافة فى مجرى صيرورتها مرجعيات خاصة بها أثمرت سيادة روح النسب والنظام، وإبداع ثنويات كبرى ساهمت فى خلق آلية الاعتدال (العدل) الانضباط (النظام) .ففى أسلوب المعرفة أبدعت ثنوية (أو وحدة) المنقول والمعقول

،والرواية والدراية ،وفى نمط الحياة وحدة الدينى والدنيوى ،وفى نمط التعامل مع« وحى الثقافة» ووحدة التفسير والتأويل، والظاهر والباطن ،وفى القانون وحدة الأصول والفروع ،والاجتهاد والإجماع . وطبقت ذلك على كل تجليات الحياة المادية والروحية.

فالرواية والدراية، والمعقول والمنقول يؤسسان لضرورة الربط بين الحاضر والماضى وبين التقاليد والمعاصرة ،وبين الإيمانى والعقلى بما يكفل عدم تضادهما وصراعهما الدموى .إذ لم تكن هذه الثنوية تعويضا علميا وضروريا عن غياب الكلمة المكتوبة فحسب ، بل وأسلوبا لحفظ كلمات اللسان الطائرة فى صحراء مقفرة أو المتغلغلة فى هوة سحيقة أو الصاعدة إلى ذروة جبل شاهق حالما يكون لها معنى يستحق النقل والرواية .انه أسلوب جمع كلمات الأسلاف باعتبارها روحا ،ونظمها فى الرؤية العقلية من خلال تشريح تاريخ الكلمة(قائلها وناقلها) ،وربطهم بسلسلة العلائق .بحيث تتحول جزئيات التاريخ إلى نظام مترابط مدرك فى الوجدان (الانتماء الثقافى) والعقل(الرؤية التاريخية) ،وطبقت الثقافة أسلوبها هذا على قضايا القرآن (من معرفة أسباب النزول ،ومعنى الكلمة، وكيفية القراءة،والناسخ والمنسوخ،والعام والخاص وغيرها من الجوانب)، وعلي الحديث النبوى والشعر الجاهلى وحكمة القدماء وأحداث التاريخ المنصرم وغيرها.

وتؤسس ثنوية الدينى والدنيوى بصفتها مرجعية كبرى لنمط الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والحقوقية الخاصة والعامة .إذ تغلغلت فى مسامات الكينونة الإسلامية وجمعت مكوناتها المادية والروحية فى وحدة معقولة للثابت والمتحول ،المطلق والعابر،ومن خلالها تناولت بالدرس والتحليل التناقضات الواقعية والمحتملة بين الوجدان والعقل ،وبين الأخلاق المتسامية والمصلحة .لهذا اضمحل تعارض الدين والدولة ،والعلم والإيمان وما شابه ذلك .فالدين (الدينى) هو ليس مؤسسة ، بل مبادئ كبرى جامعة للروح والجسد الإسلاميين ضمن حدود الفريضة (أو الواجب) .وليست الدولة سوى أداة النظام والمصلحة ،وبالتالى لا تعارض بين المبدأ والمؤسسة .فالمؤسسة تتمثل أساسا تجارب الماضى والحاضر بما يخدم وحدة المجتمع والدولة .والمبادئ الكبرى للدين الإسلامى تدعو أساسا للوحدة على مثال الواحد الحق .ومن ثم فلا معنى «لمجتمع مدنى» لأنه جزء من الدنيوى الإسلامى.

وينطبق هذا على وحدة العلم والإيمان وعدم تعارضهما .فالعلم هو صفة الله الجوهرية (حسب تقاليد علم الكلام الإسلامى) ،وهو أكبر فضيلة إسلامية (حسب تقاليد الأخلاق الإسلامية) .وهو الجزء الأساسى فى العقل الإنسانى (باعتباره أصلا من أصول

الإسلام فى الفقه والكلام والفلسفة والتصوف) .لذا ليست علاقة العلم بالإيمان سوى الصيغة الاكثر تجريدا لعلاقة العقل بالوجدان .ولكل منهما ميدانه ومستواه ، ووسيلته وغايته .ومبدآه ومنتهاه .فالعلوم ضرورية كانت أم تجريبية أم يقينية لا علاقة لنتائجها بالعقائد الكبرى . أى أنها مجردة عن القيم العقائدية الملزمة.فقد توصلت الثقافة الإسلامية عند أغلب علمانها إلى أن معطيات ونتائج العلوم الطبيعية ليست لها علاقة بقضايا الغيبيات الكبرى ،لآن «الميتافيزيقيا الإلهية» هى ميدان الوجدان .ومن ثم لا ينبغى آن يتعارض مع ما فى العقل من نتائج مترتبة على بحثه عن الحقيقة .إذ الحقيقة فى نهاية المطاف هى آيضا وجدان ممنطق كما أن الوجدان الخالص فى نهاية المطاف هو منطق الروح الباحث عن الحق والجمال والحسن.

وشكلت هذه الثنويات –المرجعية ،إلى جانب عشرات مثل ثنوية التفسير التأويل، والظاهر –الباطن ،والاجتهاد –الاجماع ،والطريقة –الحقيقة، والحكمة الشريعة، والفلسفة والدين ،والمنطق والبيان ،العناصر الجوهرية للروح الثقافى الإسلامى.

ترتب على حل الإسلام لإشكالية الطبيعى وما وراء الطبيعى فى مختلف جوانب مستويات الوجود الاجتماعى للفرد والجماعة والدولة، والميتافيزيقا الدينية والقيم الأخلاقية إلى آن تحولت الثنويات المرجعية الإسلامية إلى عناصر جوهرية مبدعة للروح الثقافى .من المعلوم أنه ليس كل مرجعية أو نظام للمرجعيات قادراً على إبداع روح ثقافى خالص. لآن جوهرية الروح الثقافى الخالص يقوم فى قدرته على تجاوز الإثنية ومتحجرات الأشباح الإنسانية (من دم ولون وأرض) إلى ميدان العقائد المتسامية.

فقد تبلورت الثنويات االمرجعية الإسلامية تاريخيا ،كأجزاء مكونة لنظام توحيدى . وصنع هذا النظام واحدية ثقافية أبدعت اعتدالا فى العقائد والأفعال ،والرؤية والمواقف من خلال نظام المرجعيات نفسه .وأدى ذلك بدوره إلى تفعيل التنوع ضمن الوحدة . وصب هذا التنوع بفعل الثنويات المرجعية المتكافئة من حيث أوزانها الداخلية ،فى اتجاه تأسيس معقولية البحث عن نسب فضلى ،وبالتالى عن نظام أمثل.

إن بلوغ الثقافة إدراك جوهرية النسب المعقولة للنظام الأمثل يؤدى إلى تسامى إدراكها وتنوع إبداعها فى توحيد الوسيلة والغاية ،والعلم والعمل تجاه النفس والآخرين .وتجلى ذلك فى وحدة الإبداعات المتنوعة للحضارة الإسلامية .الإبداع الأصيل يجرى ضمن معايير الثقافة الخاصة. وتكونت صيرورة الوحدة المتنوعة فى إبداعات المسلمين من خلال الفعل المباشر وغير المباشر للمرجعيات الكبرى فى الثقافة نفسها .وجعل ذلك

من الممكن تنوع مدارس الكلام وإجماعها فى الدفاع عن عقائد الإسلام الكبرى ،كما جعل ذلك من الممكن أيضا تنوع إبداع المتكلمين فيه .فالذى يجمع الجاحظ والباقلانى وابن حزم وابن الجوزى على سبيل المثال هو أن كلا منهم ممثل نموذجى لمدرسته الكلامية .فالجاحظ معتزلى المشرب والمنزع ،ولا يتعارض تمثيله لمبادئ المعتزلة مع تميزه الشديد أحيانا عن شخصيات الاعتزال وفرقه الكبرى .وينطبق هذا أيضا على خصوصية ابن حزم فى الظاهرية والباقلانى فى الأشعرية وابن الجوزى فى الحنبلية .وهو تنوع يكشف فى نفس الوقت عن نموذجيته فى إبداع كل منهم لحاله .فالجاحظ هو ليس فقط ممثل الفردانية المبدعة ضمن الاعتزال فحسب ، بل وممثل المعرفة الموسوعية الإسلامية .لقد أسس فى كتاباته للبيان العربى وطابق بينه وبين خصوصية العرب وإسهامهم فى الحضارة الإنسانية ،كما لو أنه أراد دمج روح الإسلام الثقافى فى القومية . وظل مع ذلك متعاليا عن الانتماء لأى كيان غير الحقيقة .وجعله ذلك يكتب (فضل الموالى على العرب) ،أن يذب فى نفس الوقت عن العرب ضد الشعوبية . وصنف أيضا كتبا فى الدفاع عن الترك (مناقب الترك) والزنوج (فل السودان على البيضان) وغيرها من المؤلفات التى يكشف فيها عن أن لكل قوم فضائل وحسنات خاصة بهم .ومن ثم لا فضل لجنس على آخر ،ووضع أيضا كتبا عن ذوى العاهات من العرجان والعميان والحولان والبرصان .لكى يبرهن على أن العاهة ليست عائقا أمام الإرادة الحرة .لأن الإنسان فى نهاية المطاف هو إرادة ،وما عداها طباع . ووضع هذه الفكرة فى قوله «ليس يقع من الإنسان فعل باختيار سوى الإرادة» ،وأنه «لافعل للإنسان إلا الإرادة» وكتب رسائل عديدة عن« اللصوص » و«غش الصناعات» و«القوانى» و«اللوطية» و«المعلمين» وعشرات غيرها يكشف فيها عن طبائع الناس ، باحثا عن صراع الطبيعى وما وراء الطبيعى فى الإنسان ،متجاوزا العلاقة الزائفة والتصورات الوهمية .فهو لا يكشف فى«اللصوص» عن ميولهم التخريبية وعما فى «غش الصناعات» من إفساد للمهن ، بل وعما فيها أيضا من «فنون متراكمة» فى تطور الرذيلة . وينطبق هذا أيضا على ما فى كتاباته عن القوانى واللوطية ،التى دافع فيها عن الحرية الجنسية وفضيلتها بالنسبة لرقى الأمم ،بوصفها ميدانا يكشف عن فضيلة الجسد .فى حين جمع حكمة الأمم فى(طبائع الحيوان) .أما الباقلانى فقد مثل نفس اتجاه الجاحظ ،ولكن ضمن تقاليد الأشعرية ، وذلك عبر تعميق روح الجدل والاحتجاج والدفاع عن العقيدة الدينية . ووضع لهذه الغاية كتاب(أدب الجدل) الذى جسده فى(التمهيد)و(الإبانة) و(كشف الأسرار فى الرد على الباطنية).

وجعل من مؤلفاته هذه نماذج فى كيفية الرد العقلى الفلسفى على المعارضين .ونعثر على نفس الاتجاه فى شحنة كتبه الكلامية اللاهوتية ،كما هو الحال فى كتابه (فى المعجزات) و(الانتصار فى القرآن) .وتناول أيضا قضايا السلطة والدولة كما فى كتبه(الإمامة الكبيرة) و(الإمامة الصغيرة) و(الأمير) .وكتب أيضا عن قضايا الفقه والأصول والديانات والعقائد والإعجاز البيانى فى القرآن وغيرها .ومارس السياسية دون الوقوع فى مخالب الانتقام والرشوة .بينما مثل ابن حزم نموذج الاتجاه الظاهرى على أكمل وجه، سواء فيما يتعلق بالموقف من المدارس والفرق الفلسفية والدينية والأديان ، أو فيما يتعلق بجدله اللاهوتى والفلسفى ،كما هو جلى فى (الفصل بين الأهواء والملل والنحل) .بمعنى سعيه للفصل بينها بما يستجيب لتصوراته عن الحق والحقيقة .من هنا حدة وصرامة التحليل والانتقاد والتقييم المميزة لكتاباته وجسد ذلك أيضا فى أحد أعظم أعماله الفقهية (المحلى) ،وفى سلوكه الشخصى ،الذى كلفه التنازل عن الوزارة فى الأندلس .ومع ذلك نراه يكتب (طوق الحمامة) بما فيه من رقة وشفافية وحب غرام. وهى ظاهرة نعثر عليها فى إبداع ابن الجوزى الحنبلى .فالتقاليد الحنبلية أصرم من أن يتجزأ قلم فيها على خط حروف التسامح والتساهل مع النفس والغير .ومع ذلك نعثر فيها على تنوع ضمن وحدتها .فنراه يكتب كتابا تاريخيا كبيرا مثل(المنتظم) الذى استعرض فيه تاريخ الإسلام وشخصياته .ووضع شأن الحنابلة أغلب كتبه ورسائله عن القرآن والسنة والحديث. ولكنه كتب أيضا أحد أفضل الكتب الساخرة، التى جمع فيها (نوادر الحمقى والمغفلين) ،باعتبارها ضرورية للروح والجسد ، انطلاقا من أن كتب الشجاعة تعلم الشجاعة، ومن يرى آثار الحمقى والمغفلين يعرف قدر العقل أدب التيقظ وإراحة القلب بالمزحة .حيث اعتبر المزاح صفة مميزة للأشراف وذوى العقول.

كل ذلك يكشف عن أن الوحدة الخفية القائمة وراء تنوع الإبداع الإسلامى تنبع من نظام النسب المعتدلة .فقد تمثلت الثقافة فى حركتها عناصر التهور والانضباط ،الحرية والصرامة ، البدعة والسلفية ،التجديد والتقليد ،باعتبارها نسبا طبيعية وضرورية للإبداع وهى نسب نعثر عليها فى جميع نماذج الإبداع الرفيعة بما فى ذلك فى الشعر والحكاية والموسيقى والخطط والعمارة.

ففى الشعر نعثر على النماذج الدنيوية واللهو كما هو الحال عند أبى نواس وأمثاله ونماذج الورع والزهد كما هو الحال عند أبى العتاهية ،ونماذج الفروسية والبطولة كما هو الحال عند أبى فراس الحمدانى والمتنبى ،ونموذج الحكمة كما عند المعرى ، أو على

وحدة هذه النماذج كما عند الخيام

ونعثر فى الحكاية على وحدة التجليات المتناقضة للحياة بأبعادها الثقافية كما هو الحال فى (ألف ليلة وليلة) .فالألف هو ليس عددا فقط، بل وحرف الهجاء الأول .والليلة الأخيرة ليست الأخيرة فقط بل والأولى بعد الألف ،كما لو أنها الصدى اللامتناهى فى الروح والزمن .وهى وحدة صورها أبو العلاء المعرى فى (رسالة الغفران) .وليس المقصود بالغفران هنا سوى الغفران الثقافى ،الذى ينظر إلى التاريخ الواقعى والمثالى بعيون الروح المبدع .إذ يستعيد فى رؤيته النقدية عن الإبداع الثقافى الإسلامى تاريخ الروح المجرد والمتسامى فى إخلاصه للأنا المتحررة من قيود المصالح العابرة وأباطيلها العديدة المتنوعة.إذ ليس مسار بطلها فى جنات عدن سوى الصدى اللامتناهى للسماع والزمن الإسلاميين فى تأملهما للقيم والمعانى الحقيقية كما هى. فالسماع والزمن هما شيئان لا كالأشياء مثل النغم والحقيقة. ففيهما تضمحل النسب ،لانهما أدق وأتم تجل للنسب نفسها والذى نعثر على نموذجه الرفيع فى تقاليد الحياة واليقظة، كما فى قصص (حى بن يقظان) لابن سينا والسهروردى المقتول وابن طفيل .فإذا كانت الصيغة الطبيعية لعلاقة اليقظة بالحياة تفترض أن تكون الحياة أبا أو أما لليقظة ،فإن استمرارها لما وراء الطبيعة هى الصيغة المتسامية لجوهرية اليقظة فى الحياة وجوهرية السماع فى الزمن .فالسماع فى الزمن هو كالصوت فى الوتر. فالوتر هو مادة (طبيعية) والصوت استمرارها المتسامى وما وراء الطبيعة) .والحياة طبيعية ،واليقظة استمرارها (لما وراء الطبيعة). ومن هنا توصل الصوفية إلى الحكمة القائلة ،بان «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا» .ذلك يعنى أن إدراك القيمة المتسامية للحياة مرتبط بإمكانية وقدر اليقظة ، باعتبارها إدراكا للعابر فيها .فالموت يكشف عن أن الحياة الطبيعية شئ عابر كما لو أنها لاشئ .ويمتلك هذا اللاشئ ،بوصفهما نسبا متعارضة .لذا ربطت التقاليد الكلامية والفلسفية والصوفية مفهوم الوحى باليقظة ،والإلهام بالحلم والمنام .وهى تقاليد كشفت عن أن المعنى التام هو ذاك الذى يضمحل فيه الواقع والخيال ،والأنا والهو ،أما فى إيمان مخلص أو عقل خالص أو ذوق تام باعتبارها تجليات للدين(النبوة) والعقل (الفلسفة) والحدس(التصوف) .وحصلت هذه التجليات على نموذجها الأمثل فى المراحل التى تتبعها ابن طفيل من حياة اليقظة الوجودية والمعرفية لابن يقظان بوصفها اكتشافا «خالداً» للنسبة المتجانسة بين الطبيعى وما وراء الطبيعى فى الإنسان.

ونعثر فى فن الرسم أيضا على نوازع البحث عن نسب الطبيعى وما وراء الطبيعى

عبر مجانستها فى النقطة والخط .من هنا سيادة التجريد المتسامى فى الرسم الإسلامى وليس مصادفة أن يصل الفكر الإسلامى إلى تصور الله باعتباره جلاء فى خفاء وخفاء فى جلاء ،وظاهرا فى باطن وباطنا فى ظاهر . أى التجلى التام للنسبة التامة والوحدة التامة للمتضادات .بمعنى اضمحلال النسبة نفسها والمتضادات فى الوحدة. فالخط هو الحركة الدائمة للامتناهى .وكل نقطة فى الزخرفة الإسلامية هى بداية الحركة ونهايتها ومبتدأ الصورة ونهايتها .فقد مثل الخط الإسلامى الاتجاه المتسامى لعلاقة الروح بالمادة بحيث استطاع تجسيد الله فى حروف تتوحد وتتكامل بهيئة طائر أو شجرة هائجة تتلذذ بها العين ويتيه فيها النظر. إذ لاحد متناه فى هذه الخطوط (الحروف) سوى الهوية المحيرة للجلاء والخفاء.

وشكلت العمارة الإسلامية فى بيوتها ومساجدها وأزقتها وساحاتها تمثيلا متجانسا لوحدة الظاهر والباطن ،بوصفها تجليا للنسبة بين المادى والروحى ،المتناهى واللامتناهى الطبيعى وما وراء الطبيعى.

كل ذلك يكشف عن أن سريان المرجعيات فى الكينونة الإسلامية أدى إلى تكاملها فى وحدة ثقافية متنوعة الاجتهادات .وكشف نظام وجودها الظاهرى والباطنى عن كينونة النسب المتوافقة فيه من مرجعيات كبرى .وأدى ذلك إلى ما يمكن دعوته بصيرورة روحها الثقافى المبدع .الذى صنع على مثاله نماذج واقعية وواجبة للأمة فى رؤيتها لنفسها وللآخرين.

ففى نموذجها الواجب هى« الأمة الوسط» ،كما صورها القرآن فى الآية « أنا خلقناكم أمة وسط» وتجلى هذا الوسط واقعيا باعتباره سعيا للاعتدال .وإذا كانت الأمة الوسط تحتوى فى مظهرها الأول على محاولة تذليل تطرف الصراع الأهوج بين اليهودية والنصرانية ففى باطنها تحتوى على تذليل الغلو تجاه النفس والله ،أى اتجاه الطبيعى والماوراطبيعى فى الفرد والجماعة.

فقد سعت الرؤية الإسلامية فى مبدئها عن الأمة إلى توحيد الجميع باسم المبدأ الأعلى ،معتبرة تضاد اليهودية والنصرانية انحرافا عن الحق. فالله هو الله ،والأنبياء رسله لاهم يهودا كما تقول اليهود ولاهم نصارى كما تقول النصارى. ومن ثم فلا أفضلية لأحد على آخر. وبالتالى لا أفضلية لأى كان من(دين أو جنس) إلا بالتقوى .وهو مبدأ وضعه القرآن فى البداية ضمن توحيده العملى (الدينى والدنيوى) .حيث نظر إلى تجارب الأنبياء نظرته إلى تجليات متنوعة للإرادة الإلهية فى نقل مسار البشرية إلى

الصراط المستقيم ،أى إلى الصلاح والخير بوصفهما كفتى الوحدانية .وهى رؤية حددت توحيدية الإسلام الصارمة فى تمثلها وتمثيلها لهذا الصراط. إذا لم ينظر إلى« خاتميته» سوى نظرته إلى طريق الحق فى تذليل الأنا الدينية الضيقة.

فالإسلام هو ليس اسماً، بل فعل الانتماء لله الواحد .لهذا اعتبر الإسلام أنبياء الماضى وعقلاءه وحكماءه .. اعتبرهم أنبياءه وعقلاءه وحكماءه وعقلائه وحكمائه . وجعل من خير الماضى وصلاحه خيره وصلاحه. ووجد ذلك تعبيره المكثف فى الحديث القائل بأن خيركم فى الجاهلية خيركم فى الإسلام فالإسلام بهذا المعنى هو كيان قادر على تمثل الفضيلة وصهرها فى نظامه الخاص. مما فسح المجال أمام إمكانية اشتراك العاملين ضمنه حسب قوانين «الروح الموحد» و«الشراكة العامة» .ما جعل من إبداعاته فى كافة الميادين إرثا مشتركا للجميع . وأدى هذا بالضرورة إلى اضمحلال روح الاستكبار فيه .لأن اشتراك الشعوب والأقوام فى بناء الروح الموحد هو اشتراك طوعى متكامل لم يتحدد بمؤسسة ما خارجية دينية كانت أو دنيوية .لذا تحولت الشخصيات الكبرى للثقافة الإسلامية إلى رموز لشعوبها ولعالم الإسلام جميعا .وهى حصيلة ارتبطت بإزالة الإسلام لروح الاستكبار الداخلى .إذ لا إسلام قومى ولا اثنى ولا مناطقى.والتنوع فيه هو تنوع اجتهاداته .فهو لا يقمع القومى ، بل يخضعه لروح العقيدة الوحدانية .من هنا استحالة صعود نظريات قومية منه أو نظريات استعلائية أو عنصرية أو فاشية أو ماشابه ذلك.

لقد أدى ذلك إلى انفتاح الثقافة على نفسها داخليا ،وانفتاحها الخارجى على الآخرين .مما حدد بدور تسامحها العميق فيه وتحقيقها المنظومى لإبداعات الأمم أيا كانت بما يستجيب لمرجعياتها الكبرى.

فقد نظرت الأمة الإسلامية إلى« وسطيتها » بين الأمم بمعايير العقيدة الدينية والدنيوية ،أى بمعايير ثقافتها الخاصة. إذ انطلقت فى موقفها من الأمم الدينية(اليهودية والنصرانية) من المبادئ الثلاثة الكبرى العامة التى بلورها القرآن وهى أولا : تأكيد مبدأ التاريخ الوحدانى الحق، الذى تمثله الإسلام، وثانيا، إظهار مبدأ الوحدانية باعتباره حقيقة أوسع من أن يمثلها ادعاء أى كان .وثالثا ،الإقرار بإن الإسلام هو التمثيل الخالص للوحدانية ،باعتبارها إسلاما لله الواحد الحق.

وشكلت هذه المبادئ أساسا للمواقف الإسلامية من اليهودية والنصرانية التى يمكن حصرها عموما فى خمسته مواقف عامة وهى أولا: ضرورة التمييز بين المهتدى والفاسق

فى الآمم السابقة انطلاقا من انه «ليسا سواء بسواء من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ويؤمنون بالله واليوم الآخر ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويسارعون فى الخيرات وأولئك من الصالحين «(ال عمران :٤٤) «ومنهم مهتد وكثير منهم فاسقون «الجديد:٢٦». وثانيا : ألا يجرى خوض الجدل معهم ،إنطلاقا من الفكرة القائلة «لنا أعمالنا ولكم أعمالكم. لا حجة بيننا وبينكم .الله يجمعنا وإليه المصير» «والذين يحاجون فى الله من بعدما استجيب له حجتهم داحضة عند ربهم» (الشورى ١٥-١٦) ثالثا : محاربة التعصب والغلو، إنطلاقا من الأفكار القرآنية القائلة بان الذين «قالوا لن يدخل الجنة إلا من كان هودا أو نصارى ، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين» «وقالت النصارى ليست اليهود على شئ «وهم يتلون الكتاب .كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم» (البقرة ١١٢-١١٣) «ووضع هذه الأفكار فى الحكم القائل «يا أهل الكتاب لا تغالوا فى دينكم غير الحق» (المائدة ٧٧) .رابعا إدانة الانحراف العملى الذى قام به« رجال الدين» عن حقيقة الوحدانية التى بشر بها الأنبياء .أى كل ما أدى إلى أن يتخذوا من «آحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا» (التوبة :٣١) .خامسا : الدعوة لقتال من لا يدين بدين الحق ،كما فى الآية القراية و«قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر ولا يحرمون ما حرم الله ورسوله، ولا يدينون دين الحق من الذين أوتوا الكتاب ،حتى يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون»(التوبة ٢٩).

تصيرت هذه المواقف فى مجرى تحقيق المبادئ الكبرى الثلاث عن وحدانية الاسم من آلأمم (الدينية) ،بمعنى تعبيرها عن الصيغة الملموسة (التاريخية) للإسلام لا المطلقة فيه .فالجوهرى فى الإسلام بهذا الصدد هو ثلاثية المبادئ الكبرى ،أى وحدة التاريخ الوحدانى الحق فى الإسلام ، وأن الوحدانية أوسع من أن يمثلها أى إدعاء دينى ، وأن الإسلام المحمدى (الحق) هو تمثيل للوحدانية الخالصة. ومن ثم فإن تجليها الممكن فى« أمة إسلامية» يعنى تمثلها حقيقة المبادئ الكبرى لا المواقف الجزئية . لأن الأمة الإسلامية المفترضة هى نموذج للواجب بوصفه وسطا عدلا حقا .وهو الأمر الذى يفسر تغير المواقف من الأمم الدينية جميعا فى وقت لاحق، بما فى ذلك من اليهود والنصارى ،فقد أصبحت هذه الأمم جزءاً من أمم دينية عديدة. ومن ثم تحول الجدل معها إلى أسلوب لتعميق الرؤية الفلسفية والدينية والأخلاقية والسياسية .أى أنها تحولت إلى جزء من تاريخ الرؤية الثقافية لأديان الأمم . وظهرت علوم المقالات والأديان فى استعراضها

تاريخ الفرق(الدينية) إلى جانب تاريخ المدارس الفلسفية . وتداخلت مع تاريخ فرق الإسلام الكلامية ومدارسة الفلسفية . ويمكننا الحديث فى الإطار العام عن أربعة اتجاهات كبرى،الأول استعراضى موضوعى كما هو الحال عند النوبختى فى كتبه (الآراء والديانات) و(فرق الشيعة) والأشعرى فى (مقالات الإسلاميين) ،واتجاه جدلى كما هو الحال عند الباقلانى فى (التمهيد) واتجاه تحليلى مقارن كما هو الحال عند الشهرستانى فى(الملل والنحل) وتراوحت بين هذه الاتجاهات الأربع الكبرى مدارس عديدة متمايزة من حيث مناهجها ومواقفها الجزئية ونتائجها .إلا أنها صبت جميعا فى اتجاه تعميق الرؤية الثقافية عن الأمم الدينية . من ثم ساهمت فى إرساء الأسس المعرفية لفكرة وحدة الأديان .بصيغة أخرى، لقد توصلت الثقافة الإسلامية ، بما فى ذلك من خلال رؤيتها العقائدية- الدينية عن الأمة إلى إدراك وتأسيس الوحدة الروحية المشتركة بين الأمم(الدينية)، والتى حصلت على تحقيقها الأكبر عن ابن عربى فى (فتوحاته المكية) وعند الجيلى فى(الإنسان الكامل). إن توصل الثقافة فى منظوماتها الفكرية إلى ضرورة تأسيس النتيجة الروحية لوحدة الأمم يعكس أولا وقبل كل شئ انفتاحها الداخلى .وكان هذا الانفتاح فى الحضارة الإسلامية مرتبطا أساسا بنظام الوحدانية المتجانسة .وهو الأمر الذى يفسر بحث الثقافة الإسلامية فى مجرى تناولها تجارب الأمم المدنية(الدنيوية) عن المعقول فيها والمرذول عقلا |(منطقيا) وروحاً (أخلاقياً) فعندما يتناول البيرونى على سبيل المثال تجارب الحضارة الهندية فإننا نراه يبحث عن « تحقيق ما للهند ممن مقولة مقبولة فى العقل أو مرذولة .لقد قدم تجارب الهند العقلية والروحية والعلمية ، باعتبارها نتاجا إنسانيا هائلا ،وأخضعها فى نفس الوقت لمنطق الإسلام العقلى والأخلاقى فى تقبل ما يمكن تقبله ورفض ما هو مرذول فيها .إذ ليس العقل الثقافى عقلا منطقيا خالصا ، بل هو مجرد تعميم لتجارب الأمم العلمية والعملية .وبالتالى ،فالانفتاح على تجارب الآخرين يفترض تقييمها الثقافى .وهى حصيلة تراكمت فى مجرى تطور الوعى الذاتى الإسلامى .فإذا كانت التجربة الدينية للإسلام عن الأمة قد توصلت فى أحد نماذجها الرفيعة إلى فكرة وحدة الأديان ،فإن تجاربه الدنيوية أبدعت نماذج عديدة عن الأمم شكلت مساهماتها العلمية معيارا لتحديد هويتها الحقيقية.

بلورت الثقافة الإسلامية فى تحديدها لهذه الأمم خمسة أنماط كبرى قسمتها على أساس جغرافى وآخر إبداعى وثالث ذهنى ورابع مذهبى وخامس علمى- فلسفى .وأدرجت فى التقسيم الجغرافى نوعين الأول مبنى على أساس تقسيم العالم إلى إقاليم

سبعة الجوهرى فيه إظهار ما أسموه باختلاف الطبائع والأنفس التى تدل عليها الألوان والآلسن ،والثانى بحسب الأقطار الآربع التى هى الشرق والغرب والشمال والجنوب الجوهرى فيه إظهار ما أسموه باختلاف الطبائع وتباين الشرائع.

أما التصنيف الذى وضعوا فيه معيار «الإبداع المتميز» ،فقد انطلقوا فيه من تقرير حجم المشاركة الجدية للآمم الحضارية الكبرى آنذاك ،فى التاريخ الإنسانى .لهذا قال البعض مثل ابن المقفع ، بأن كبار الأمم الأربعة هى العرب أهل الفصاحة والبيان والعجم آهل السياسة والأدب ،والروم أهل البناء والهندسة ،والهند أهل العقل والسحر ، وهى فكرة شاطرها الجاحظ باضافة أهل الصين إليها باعتبارهم أهل الأثاث والصنعة، وكذلك تقسيمه أهل الروم إلى قسمين الأول أهل يونان وهم العلماء والروم أهل الصنائع .فى حين اعتبر أبو حيان التوحيدى الفرس أهل السياسة والأدب والحدود والرسوم والروم آهل العلم والحكمة، والهند أهل الفكر والروية والخفة والسحر، والترك آهل الشجاعة والإقدام، والزنج آهل الصبر والكد والفرح، والعرب أهل النجدة والوفاء والخطابة والبيان.

آما التقسيم حسب الحالة الذهنية فانه تضمن نوعين ،الأول هو ذهنية أولئك الذين يتميزون «بتقرير خواص الأشياء والحكم بأحكام الماهيات والحقائق واستعمال الأمور الروحانية » كالعرب والهنود ، والثانى ذهنية أولئك الذين يتميزون «بتقرير طبائع الأشياء والحكم بأحكام الكيفيات والكميات واستعمال الأمور الجسمانية «كالفرس والروم».

آما التقسيم حسب آراء الأمم ومذاهبها فمبنى على أساس عقائدى مرتبط بدوره بوجود فرق(دينية) وأخرى غير دينية فى نمط تفكيرها حول اشكالات الملكوت (ما وراء الطبيعة) والوجود الاجتماعى والأخلاقى ،كما نراه عند الشهر ستانى.

وأخيرا تقسيم الأمم حسب معيار ما إذا كانت أمة علمية أو غير علمية ،كما نراه عند ابن صاعد الأندلسى فى(طبقات الأمم) .فقد انطلق الأندلس من أن الأمم وإن كانت نوعا واحدا فى إنسانيتها إلا أنها تتمايز بثلاثة أشياء وهى الأخلاق والصور واللغات . وإن أهم الأمم الكبرى فى التاريخ هى: الفرس والكلدانيون (ومنهم السريانيون والبابليون ومنهم هؤلاء العبرانيون والعرب) ثم اليونانيون(والروم والفرنجة والجلالقة ويتبعهم البرجان والصقالبة والروس والبرغر) ثم القبط (أهل مصر والسودان من الحبشة والنوبة) وأجناس الترك(الكيماك والخرز وجيلان وغيرهم) وأهل الهند وأهل الصين والفرق الجوهرى بينهم يقوم بمدى اهتمام كل منهم بالعلوم الفلسفية بالأخص .فالأمم

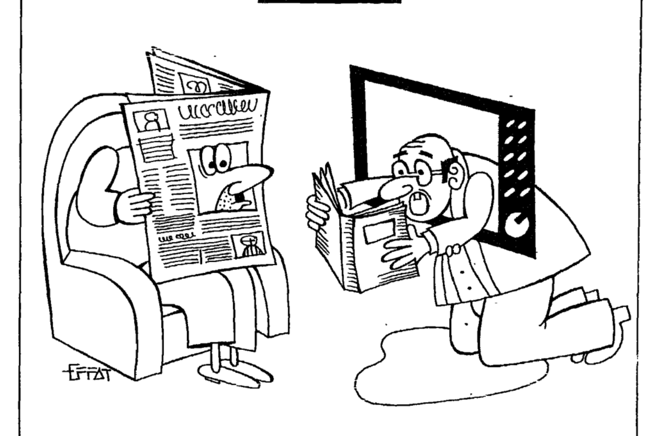
العلمية ثمان وهى الهند والفرس والكلدانيون والعبرانيون و اليونانيون والروم وأهل مصر والعرب .أما الأمم الأخرى فهى أمم لا تهتم بالعلم.(الفلسفة بالأخص) .فالصينيون ،كما يقول الأندلسى ، أكثر الأمم عددا وأفخمها ملكا وأوسعها دارا ، وحظهم من المعرفة إتقان الصنائع العملية وإحكام المهن التصورية . فهم أكثر الناس على مطاولة التعب فى تجويد الأعمال ومقاساة التعب فى تحسين الصنائع .والأتراك أمة كبيرة العدد وفضيلتهم التى برعوا فيها أحرزوا خصلتها معاناة الحروب ومعالجة آلاتها .ونفس الشئ يمكن قوله عن الأمم الأخرى(غير العلمية) وأرجع الأندلسى سبب ذلك إلى عم استعمال هذه الأمم لأفكارهم فى الحكمة ، ولا راضوا أنفسهم تعليم الفلسفة . وبنى استنتاجه هذا على معايير ثلاثة فى تقييم الأمم، الأول هو أن تنال الأمة درجات النفس الناطقة والزهد بالنفس الغضبية ،والثانى تعلمها وتعليمها للفلسفة، وثالثا موقع العلوم الطبيعية عندها.

كل ذلك يكشف عن أن تعمق الرؤية التاريخية عن الأمم يتناسق مع تراكم العناصر القافية المتناغمة مع الوحدانية الإسلامية .إذ لا تعنى الوحدانية الإسلامية تاريخيا واجتماعيا سوى وحدة النوع الإنسانى ومثالها فى الواحد(الله) .إنها كالحقيقة واحدة بذاتها متنوعة بالصور والتجليات .والتنوع فضيلة فى حال سعيه للخير العام وهى فكرة سبق آن بلورها القرآن فى آيته «إنا خلقناكم شعوبا وقبائل لتتعارفوا .إن أكرمكم عند الله اتقاكم». أى أن للتعددية منطقها الطبيعى والتاريخى .باعتبارها واقعا ،ومنطقها ما وراء الطبيعى والمثالى ،باعتبارها واجبا .وكل منهما يعكس مستوى من الإدراك لماهية الآمم ،آحدهما دينى(الأمة الدينية) وآخر دنيوى (الأمة الحضارية).

لقد أدت منظومة المرجعيات الكبرى فى الثقافة الإسلامية إلى رؤيتين متناسقتين عن نفسها والآخرين لا استعلاء فيهما ولا استكبار .حيث تجلتا بأسمى وجوهها فى إقرارهما بتنوع الرؤية الثقافية ذاتها عن الآخرين .فجميع التقسيمات الآنفة (الجغرافية والذهنية والإبداعية والمذهبية العقائدية) هى تقسيمات وتقييمات ثقافية . إذ لم تبحث الثقافة الإسلامية فى التقسيم الجغرافى عن صفات جوهرية غير أثر الجغرافيا على الطبائع والأنفس (اللون واللسان) والشرائع(القوانين ونمط الحياة) ،أى عن العناصر الطبيعية والعقلية لوجود الأمم ذلك يعنى أنها لم تبحث ولم تؤسس لعناصر اللاعقلانية فى وجود الأمم .وحتى فى حال اعترافها بوجود بعض منها ،فانها نظرت إليها باعتبارها نتاجا لضعف النفس الناطقة ولهيمنة النفس الغضبية .ومن ثم اعتبرتها صفات زائلة. وهى نظرة عقلانية وإنسانية فى مساعيها وغاياتها.

حددت هذه الرؤية الانعتاق الحضارى للثقافة الإسلامية .فهى لم تقر بتنوع الحضارات فحسب، بل وبنت مواقفها من هذا التنوع على أساس تمايزها بالفضائل.فعندما حاولت المطابقة ،على سبيل المثال ، بين حضارة الأمة وخصلة من خصالها مثل اليونان مع الفلسفة والروم مع العمارة والفرد مع السياسة والعرب مع البيان ،والصين مع الصناعة والترك مع الحرب ، والهند مع العقل والشعوذة ،فانها لم تسع فى الواقع إلا لإظهار تمايزها فى الفضائل ، لا بمعنى افتقادها لغيرها من الفضائل .إنها حاولت إظهار فضائل الأمم من خلال تأكيد تنوعها ،وبالتالى قيمتها بالنسبة للتاريخ الإنسانى ككل .لهذا أكد أبو حيان التوحيدى على أن «لكل أمة فضائل ورذائل ،ولكل قوم محاسن ومساوئ ،ولكل منها فى صناعتها كمال وتقصير» .وهى صيغة تعكس قبول الثقافة الإسلامية لإمكانية تعدد الأنواع وتنوع اجتهاداتها الثقافية فى ظل انتمائها للكل الإسلامى .بمعنى إمكانية توليف «مميزات» وفضائل الأمم من فصاحة وبيان وأدب وسياسة وغيرها فى كيانها الثقافى .وهى تعددية وانفتاح يتساويان مع إدراك جوهرية وقيمة الفضائل .لهذا لم تضع الثقافة الإسلامية نفسها وشعوبها فوق الآخرين ولا تحتهم ، بل طالبت نفسها والآخرين بادراك وتجسيد القيم العقلانية الآخلاقية للتكافؤ والمساواة.

إن إقرار الثقافة الإسلامية بتعدديتها (وتنوعها الداخلى) يعنى أيضا إقرارها بالتعددية الخارجية .وبالتالى بإمكانية بناء حضارة إنسانية كبرى ذات ثقافات متنوعة .مما يعنى احتواءها على معارضة القهر الثقافى و«الهيمنة القطبية» فى الحضارات .إذ لا يستلزم تطور الحضارات وازدهارها بمعايير العقلانية-الأخلاقية صراعها واحترابها ، بل تنافسها فى الإنسانية .لأن المعيار الحقيقى لها كما صاغته الثقافة الإسلامية فى تقييمها«العلمى» للأمم حسب عبارة الأندلسى ، يقوم فى «نيل فضائل النفس الناطقة الصانعة لنوع الإنسان والمقومة لطبعه ،والزهد فى أخلاق النفس الغضبية والتفاخر بالقوى البهيمية ». إذ حتى للنفس الغضبية «نظمها ومدنها السياسية» كما يقول الأندلسى ،إلا أنها نظم ومدن شبيهة بنظم ومدن النمل من حيث العدد والاتقان .ولكنها تبقى «مدنية النفس الغضبية والبهيمية» لا مدنية العقل الأخلاقى ،الذى هو قوام «نوع الإنسان» أو حقيقته.



فى أعدادنا القادمـــة

محمود عبد الوهاب

فخـــرى صـــالـح

عفاف عبد المعطـى

كمـــال رمـــزى

شـعبان يـوسـف

مصطفى الكيلانـى

محمـــد كمـــال

يكتبون عن

لـويـس عــوض

صلاح عبد الصبور

إدوار الخـــراط

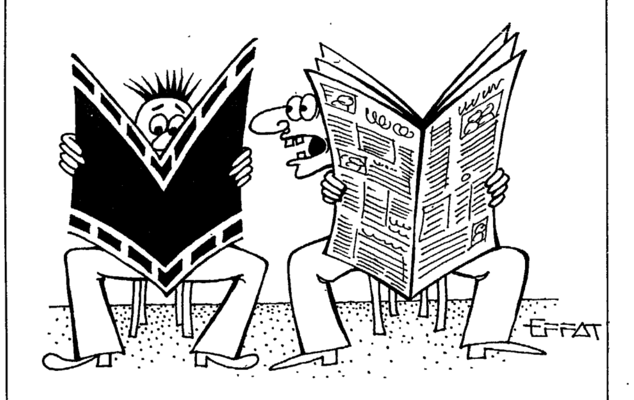
أحمد عمر شاهين

شـريـف حتـاتـه

عـــلاء عبد الهادى

محمـــد العـــلاوى

مقال



الأصولية السودانية وفردوس ماركس

عبد الحميد البرنس

هل يمكن اعتبار «الرؤية التوفيقية» ، التى ميزت خطاب معظم رواد النهضة العربية ، بمثابة «كعب أخيل» ،إذ لم تقم، وهى تبحث داخل التراث ، أو فى السلطة المعرفية السائدة، عن مشروعية ما، بوظيفتها المفترضة : **نقل تصور الإنسان لنفسه والعالم من «خارجه» إلى« داخله»** ،بما يسمح، فى التحليل النهائى ، بنقض المرجعيات القائمة فوق مستوى النقد ، أو بتحقيق «الحرية» ،كشرط محايث للتقدم، أو كجوهر لازم لتجسيد مفاهيم تنويرية جذرية مثل نسبية المعطى الاجتماعى كفعل تاريخى فى المكان(*)؟!.

مثل هكذا تساؤل ، يفرضه تراجع مشاريع التنوير والحداثة العربية من جهة ، وتفاقم

الأصوليات الدينية «الصريحة» كأشكال مؤسساتية وبنى ذهنية فردية محافظة من جهة أخرى، واكتشاف أن أغلب منتوجات المشاريع المذكورة تمت من خلال ذات مناهج الثقافة التقليدية السائدة من جهة ثالثة ،ما يجعلنا ضمن تيار يواصل التفكير أخيرا فى أصالة تلك المشاريع ،من حيث كونها تطرح نفسها كأنساق تشكل بدائل طليعية مغايرة للوعى الكائن ،فيما هى فى واقع الحال مجرد أيديولوجية أخرى ، لا تفارق آليات انتاجها أدوات النظام المعرفى القائم، وتعيد إلى الأذهان ضرورة التمييز بين الهوية بوصفها واقع الجماعة المادى العملى وبين تصور الجماعة لهذه الهوية **(برهان غليون)**».

(*) على سبيل المثال، يبرز هذا الإشكال ، بصورة دالة ،فى مقدمة قاسم أمين لكتابه «المرأة الجديدة» ،إذ لم يخرج ،فى طرحه البديل لوضعية المرأة آنذاك ،عن إطار المرجعيات المتعالية المحددة لماهية وضعيتها السائدة ،إلا على مستوى تأويل المرجعية نفسها ،للأسف ،قاسم أمين بلور طروحاته من خلال التبشير فبأحسن الأحوال بالتصور الغربى للمرأة، لا من خلال إحداث قطيعة معرفية مع التصور السائد لها ، وهذا مبحث آخر.

وعليه ، يسعى هذا المقال ،على خلفية ملابسات الأزمة السودانية الماثلة ، إلى مقاربة خطاب الحزب الشيوعى السودانى ، من خلال توصيف وتحليل بعض وحداته الدالة، فى سياقها العام، على كمون نزعته «اللاهوتية» ،التى عملت ، على صعيد حركة الواقع، وبواسطة مفهوم «النموذج» ،على تفريغ مفاهيم «التنوير والحداثة» كأجندة مجتمعية ذات أولوية قصوى ،من مضامينها العقلانية. ويعنى مفهوم «النموذج» ،ها هنا ،معالجة معطيات الواقع المتجدد ،وفق تصورات «الماركسية السوفيتية »، بوصفها «حقائق نهائية» ،حسبما يذهب إليه مسكوت ذلك الخطاب .ما يجعله ، برغم مظهره العقلانى ،خطابا ماضويا تابعاً ، يقيس «الشاهد» على«الغائب» ،على حد تعبير «الفقهاء».

المنحى اللاهوتى المتقدم، يكشف عنه ، بصورة بالغة الدلالة ،هذا المقتطف ، من قرار المؤتمر الدولى التداولى لكادر الحزب محل الاهتمام (١٩٧٠/٨/٢١) ، الذى يناقش قضية ما أسماه (قلب السلطة عن طريق العنف) (*) ،إذ يقول:

«يرتبط بهذه القضية قضية قلب السلطة عن طريق القوة. وهنا أيضا لا نضيف جديداً ،فالماركسية اللينينية واضحة فيما يختص بالشروط اللازمة لانجاح التمرد المسلح

مـادياً وسيـاسـيـاً : لكـى ينجح التـمـرد المسلح ينبـغـى ألا يعـتـمـد على التـآمـر ، ولا على الحزب، وإنما على الـطـبـقـة الطليـعـة. هذا هو الشرط الأول ...(ف. أ .لينين : الماركسية والتمرد المسلح) .هذه هى وجهة النظر الطبقية للأحزاب الشيوعية وهى تتقيد بها .وهذا هو الموقف الذى تمسك به المكتب السياسى لحزبنا وهو ينظر فى اقتراح تنظيم الضـبـاط الأحرار بالتحضير لتغيير السلطة عن طريق إنقلاب عسكرى».

(*) نلفت الانتبـاه ، برغم صـعوبة الفـصل ، إلى أننا لا نسعى ،عبـر هذا المقال ،إلى مناقشة المحتوى المضمونى ،للنصوص محل الاهتمام ، بقدر مـا نسعى ، إن أمكن ذلك ، إلى توصيف وتحليل الآليات المنتجة لهذه النصوص.

يحيل هذا النص ،عبـر صـيـاغـتـه اللغـوية الجازمة، إلى غـيـاب مـبـدأ «الخصوصـيـة التـاريخيـة» ، بوصفه أحد الأحجـار الأسـاسـيـة داخل بناء جـهـاز مفـاهيمى تشكله الرؤية العلميـة للواقع ،فـمـصـدر المعرفـة، ها هنا، وهو التـأويل السـوفـيتى الرسمى للـمـاركسيـة اللينينيـة ، يقـبـع ارج النسـبـيـة ، فى المطلق ، إذ لا يتم التـعامل معه« جدليا» ، ولا فرق ، وفق هذا السـيـاق (**هذه هى وجـهـة النظر الطبـقيـة للأحـزاب الشـيـوعيـة وهى تتقيد بهـا**)(*) ،ما بين المعطى الاجتماعى التـاريخى مجال حركة الحزب الشيوعى الجنوب افريقى وذلك المعطى مجال حركة الحزب الشيوعى الفرنسى ، أو السعودى ..إلخ.

هذا المعنى ، تدعـمـه مـاهيـة الآليـات المنتـجـة له، وهى ذات الآليات المنـتـجـة للـخـطـاب اللاهوتى ، الذى تحكمه رؤية مـانوية حادة ،حيث العـالم منقسم ، بصـورة مـسـبـقة أزلـيـة ، إلى وجهتى نظر، متعالية وخاضعة ،فهناك ، على سبيل المثال ،آليات :«النقل »/ «الشرح» / «الاتبـاع» / و« الالزام» ،وهى ، فى مـجـملهـا ، دوال ،أو شـواهد ،على مـعـرفـة «قـبليـة» ، وليست «بعدية» قائمة على التجريب ،والمقاربة النقدية لمعطيات الواقع.

ويمكن القـول ، بكلمـات أخـرى ، إن النص ، فى علاقـة اشـتـبـاكه اللاجدلية مع« النص اللينينى» من جهة و« مـقـتـرح الضـبـاط الأحـرار» من جـهـة أخرى ، عمل إسـتـخـدام المنتج اللينينى المشروط ، بسيـاقه الاجتماعى التـاريخى ،كما نح للشرعية الاجتماعية السياسية ، أو كسلطة نصـيـة ذات نفوذ مطلق ،فى مـجـابـهـة واقـع اجـتـمـاعى تاريخى مـغـايـر ، هـو الواقع السودانى ، بدايات حكم المشير **جعفر نميرى (٦٩-١٩٨٥)** ،وقبيل إعدام **عبد الخالق محجوب** السكرتير السابق للحزب محل النظر والاهتمام (٢٨/ يوليو ١٩٧١).

(*)تسويد النصو موضوع هذا المقال من عندي-الكاتب.

لقد قادت عملية إنتاج المعرفة، على هذا النحو« **الاتباعى»** إلى إحداث اختلال **جوهرى** ،في **وعى** هذا الخطاب ، **بالوظيفة** الاجتماعية والأيديولوجية لمفهوم« **الحزب»** ،فى « المجتمعات **اللارأسمالية»** ،بالمعنى **اللينينى نفسه** ،فبعيداً عن الاتفاق أو الاختلاف حول مفهوم **الطبقة الطليعة** في السودان كبلد زراعي -دعوى بامتياز، إلا أن التعويل على هذه الطبقة في تحركها **ذاتيا** ، (لكي ينجح التمرد المسلح) ، برغم **تخلفها** التاريخى ، ينفى تلك الوظيفة المرجعية المعتمدة لدى الخطاب محل الاهتمام **بلانقد** ، ألا وهى **جلب الوعى** إلى الطبقة صاحبة المصلحة فى التغيير من **خارجها** نتيجة ذلك التخلف؟!.

هذه النزعة « **اللاهوتية»** التى تسببت ، ضمن عوامل تاريخية أخرى ، مثل التعليم البنكى « **Banking Education**» ،كان لابد ، ايثما يكتمل النسق **الميتافزيقى** الدال عليها ،من رسم **فردوس مرتجى** ، يعطىّ للخطاب قوته الدافعة ، سواء على مستوى المؤسسة والأفراد الحاملين له **كعقيدة** ،أو على مستوى غمليات الاستقطاب الدائرة فى حقل الصراع الاجتماعى والأيديولوجى العام ، ويعمل من جهة أخرى على **استمرارية** ما يمكن أن نطلق عليه تعبير « **الإيماء الطليعى»** ،من حيث كونه فردوس **متحقق عيانياً**. ما وسم هذا الخطاب ، على صعيد تجلياته التاريخية ، بطابع « **التبشير»** ،فى حقل يضم مجتمعات متخمة بالمعتقدات ،**بالنموذج السوفيتى للماركسية** ،الذى يبدو ، فى كتاب **عبد الخالق** محجوب « **الماركسية وقضايا الثورة السودانية»** ،وهو فى الأصل نص التقرير المقدم إلى مؤتمر الحزب الشيوعى السودانى الرابع(أكتوبر ١٩٦٧) ،وكأنه **أداة** الخطاب محل الاهتمام **وموضوعه** فى آن ،ومن ذلك:

«إن ظهور (النظام) الاشتراكى كنقيض تاريخى للنظام الرأسمالى وتطوره (الهائل) هو (مكتسب ثورى) لعمال وشعوب(العالم) أجمع و(يوفر) إمكانيات النمو (اللاحق) للحركة الاشتراكية والتحريرية العالمية».

(*)التقويس من عندى -الكاتب.

لكن هذا الطابع « **التبشيرى»**، لم يتجل ،كما يوضح النص السابق ،على نحو صريح ، يكشف تهافته ،وإنما تبدى ،وفق المعلن دائما ،خلف ستار كثيف من **العقلانية الزائفة** ،وهى عقلانية قوامها: **استخدام**بالغ التعميم لا يتجاوز الدوال إلى مدلولاتها على الصعيد

المحلى للجهاز المفاهيمى للماركسية كرؤية بديلة تناقض فى جوهرها مختلف وضعيات الاستغلال . **تضخيم** المنجز السوفيتى المادى على نحو دعوى« والإيحاء) بوصفه نمو نظام ثان من المعانى حسب **بارت** بحتمية إتباع التصورات السوفيتية كطريق وحيدة لبلوغ (الفردوس الاشتراكى).

هكذا ،مرة أخرى ،حال هذا الاشتباك اللاجدلى ،ما بين الخطاب محل الاهتمام وهذه التصورات ،دون إدراك التحولات الجذرية ، التى كانت تتم داخل بنية ذلك الفردوس العيانى صوب(الانهيار) ،حيث ظل الخطاب يردد نغمته التبشيرية الحالمة ،حتى قبيل إعلان(البروسترويكا) ،مؤكداً فى إحدى وثائقه الداخلية بيقين لا يتسلل إليه الشك خلال العام ١٩٨٧ على أن «**المنظومة الاشتراكية حققت تقدماً ملموساً جميع فروع النشاط الإنسانى وانعكس (ذلك) فى تحسين ملموس لشعوب بلدانها اجتماعيا ومادياً وروحياً**. «وهو، كما نعلم، ما نقضته واقعات الانهيار المشار إليه ، بقسوة شديدة ، لا تزال صدمتها سائدة وسط أعداد كبيرة منع الاتباع الأيديولوجيين ،الذين رفض أغلبهم التسليم بما جرى دون إدخال مفهوم المؤامرة إلى مسرح الأحداث ،كأن يكون غورباتشوف أحد عملاء وكالة الاستخبارات الأمريكية «**السريين**»؟!.

إن اعتماد هذا النهج **اللاهوتى**، فى مقاربة معطيات الواقع السودانى ، لم يقتصر ،فى ختام التحليل ،على شقيه **الاتباعى والتبشيرى** فحسب ،وإنما تعداه ،كيما تكتمل الدائرة ،وعلى نحو سافر ،إلى وضع النموذج ،أو الفردوس الاشتراكى القائم ،فى موقع (المقدس)، بما لزم ذلك من حماية تجابه نقده ،أو المساس بحرمته ، بملاسنة لا تفتقر إلى العنف المادى داخل حقل الصراع الأيديولوجى أحياناً.

-حاولنا خلال المقال قدر الإمكان تجنب استخدام هذه الأداة الأيديولوجية **(إن)**.

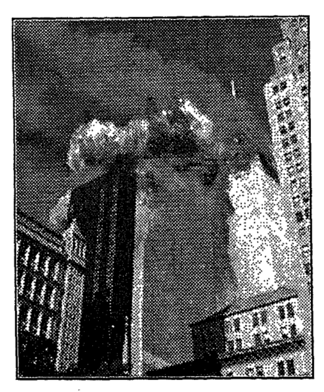
يبرز هذا الملمح ، بشكل دال ،خلال سبعينيات القرن الماضى ،حين أصدر **كاريللو** أحد قيادات الحزب الشيوعى الإسبانى كتابه الهام «**الشيوعية الأوربية والدولة**» حيث أوضح فيه ،كشاهد عيان ؛ إذ عاش حوالى أربعين عاما منفياً فى الاتحاد السوفيتى بعد الحرب الأهلية الإسبانية(١٩٣٦) ،مدى تكلس التجربة السوفيتية ، وصيرورتها دوغما ، بل ولا فاعليتها حتى داخل خصوصيتها التاريخية ، ناهيك بالتالى عن ضرورة تعميمها على صعيد عالمى .آنذاك آراء كاريللو ،التى أثبت التاريخ دقة أحكامها النقدية لاحقا،إلى

عدته اللاهوتية ذات الصيغة البلاغية القديمة ،منافحاً.

«**لو بعث تروتسكى من القبر لما عبر عن أفكاره بهذا الافصاح وقد يز كاريللو غلاة التروتسكيين المعاصرين فى صياغة الفكر التروتسكى الموغل فى الذاتية النابعة من الهزيمة الماحقة التى سحقت جذوره وثماره على يد لينين والبلاشفة**».

تقليدية هذا النص ، لا تتوقف عند حدود امتلائه ،على قصره ،بالاستعارات والصفات وآحكام القيمة المجانية والثنائيات المذهبية داخل حقل معتقدى واحد، هو حقل النظرية الماركسية ،كما لا تتوقف عند استعارة التكنيك اللاهوتى فى بيان العاقبة على مستوى الاختيار والسلوك ،حيث يتوعد النص المارقين ،من خلال مفهوم «**العبرة**» ،بما أسماه «الهزيمة الماحقة»،فحسب، وإنما تتجاوز كل ذلك إلى عملية تشكيل المعنى نفسه ، **فهو** جملة واحدة ممتدة من البدء إلى المنتهى ،مسار قدري بامتياز ،تغيب داخله الفواصل أو النقط أو علامات الترقيم ،ولا تتخلله وقفات ، أو جمل اعتراضية ، توضح نسبية الفكر وتعرجاته وتعقيده وحراك انتاجه **الجدلى** ،فالمنهج اللاهوتى المستخدم ،ها هنا، أى بوصفه رؤية مسبقة للعالم ،لم يضع ، فى صدارة اهتماماته ،وهو يقارب آراء كاريللو **المفارقة** ، سوى إعادة اعتبار **المقدس** ،كمفاهيم ومقولات **قبلية** واقعة فوق مستوى النقد.

من جهة أخرى ، يكشف ذات النص ، إذا استخدمنا بعض المصطلحات الإعلامية المتداولة ،عن ماهية«**القائم بالاتصال**» الذى يدرك هنا ، وعلى نحو مسبق ، أن **رسالته** ، **لاتستهدف** وصف وتحليل آراء كاريللو ،بما يسمح ،فى المحصلة النهائية، **بعرض** معالمها الجوهرية ، وفقاً لما يمكن أن نطلق عليه تعبير« **ديمقراطية الكتابة**» ، أو«**جدلية المعرفة**» ، فهو يؤدى وظيفته لا كقائم بالاتصال ، بل للبوابة »، كحارس للبوابة ، يقوم بمهام توجيه الجمهور المستهدف ك«قطيع» ، أو تأمين مصدر المعرفة الوحيد للأفراد حوامل الخطاب محل الاهتمام كعقيدة ،من تسلل معارف «**دخيلة**» ، قد تزرع بذور **اللاتناغم** بينهم ، وليس من بين الآليات المنتجة لها« **الإتباع**» ، أو«**الركون إلى المسلمات**» بأية حال ؟!.





جون إسبوزيتو

التهديد الإســـلامى: خرافـــة أم حقيقة؟

ترجمة: الدكتور قاســـم عبده قاســـم عرض : أحمد علي بدوى

هل هناك تهديد إسلامى ؟ إذا كان المعنى أنه يمكن أن يكون هنـــاك تـــهديد غربى أو تهديد يهودى مسيحى فالإجابة نعـــم . فالإســـلام مثـــل اليهوديـــة والمسيحية قدم طريقا للحياة وهداية حولت حياة الكثـــيرين ، إلا أن بعـــض المسلمين مثل بعض المسيحيين واليهود قد استغلوا أيضا دينـــهم لتـــبرير العدوان والحرب وإضفاء الشرعية عليه ، وكذلك الغـــزو والاضطـــهاد فـــى الماضى والحاضر.

" أدب ونقد "

جون إسبوزيتو استاذ بجامعة جورجتاون الأمريكية ؛ يدرس بها مادتين، قد تبدوان متباينتين... ولكن الحياة ما فتئت تثبت لنا ان الإلمام بهما معا ربما كان أهم ما يلزم المفكر المهتم بقضايا عصرنا، فاحداهما هي الفكر الديني، والأخرى هي الشئون الدولية! وتعرف عنه أعماله العلمية التي استهلها، سنة ١٩٨٠،بإشرافه على تحرير مؤلف جماعي بعنوان "الإسلام والتنمية : الديانة والتغير السياسي الاجتماعي Islam and Development : Religion and Sociopolitical Change، ثم شارك جون دونهيو الإشراف على تحرير مؤلف جماعي بعنوان "الاسلام في تحول : افاق مسلمة" Islam in transition : Muslim perspectives صدر في نيويورك سنة ١٩٨٢، وفي السنة التالية استقل بالإشراف على تحرير مؤلف جماعي اخر هو "أصوات الإسلام المنبعث" Voices of Resurgent Islam ، ثم أصدر سنة ١٩٨٧ مؤلفه "الإسلام في اسيا : الدين والسياسة والمجتمع" Islam in Asia : Religion, Politics and Society، وفي سنة ١٩٩٠ أشرف على تحرير مؤلف جماعي رابع بعنوان "الثورة الإيرانية : وقعها الشامل" Iranian Revolution : its Global Impact، ثم شارك جون فول وايفون حداد الإشراف على مؤلف جماعي خامس هو "الإحياء الإسلامي المعاصر : مسح نقدي وبيبليوجرافيا" The Contemporary Islamic Revival : A critical Survey and Bibliography صدر سنة ١٩٩١، وهي نفس السنة التي شهدت ظهور الطبعة الثالثة من مؤلفه "الإسلام والسياسة" Islam and Politics والطبعة الموسعة لمؤلفه "الإسلام : الصراط المستقيم" Islam : The Straight Path ثم في سنة١٩٩٢ أصدر جون إسبوزيتو كتابه The Islamic threat : myth or reality.

وقد قدمنا عرضا للطبعة الثانية (نيويورك – أوكسفورد ١٩٩٣) من الكتاب الأخير في مجلة "اخر ساعة" القاهرية على امتداد خمسة أسابيع بدءا من عدد ١٠ أكتوبر ٢٠٠١، وذلك استمرارا للالتزام بإطار أساسي هو، من حيث الموضوع، يحيط بالتراث الشرقي في مظانه الاصلية منظورا في مراة المراجع الغربية، على أن يستهدف الشكل الكيف لا الكم، إذ ينتظم، في بلوغه القراء، صف "أدب ونقد" أو ما لا يقل عنها مقاما، شأن "رسالة المشرق" (دورية مركز الدراسات الشرقية بكلية اداب جامعة القاهرة). بيد أن المجلات السيارة قد تؤدي، بفضل "انتشاريتها" إذا صح التعبير، شيئا من الغرض.

وليس من بين ما يمكن أن يرضي الباحث ما يفوق ظهور اكتمال تطبيقي لمجهوده بقلم مشهود له بالرفعة، وهو ما تم في نوفمبر ٢٠٠١ إذ صدرت ترجمة الأستاذ الدكتور قاسم عبده قاسم لأحدث طبعة للكتاب (نيويورك – أوكسفورد ١٩٩٩) إلى العربية بعنوان "التهديد الإسلامي : خرافة أم حقيقة؟"*، وإذا كان الرضا الأمثل وليد فضل الباحث نفسه في ذلك التضافر ؛ فإن ما يسمى بتوارد الخواطر يثلج الصدر أيضا ؛ لأنه مؤشر على عافية ذهنية ووعي فكري تتمتع بهما بيئتنا الثقافية ولا ينتظر، من كيان حضاري في عظمة مصر، ما هو دونهما.

وكتابات إسبوزيتو، بشهادة كثير من الباحثين العرب وغير العرب، تتسم بالحياد والموضوعية، وهو يستحق التقدير بكل من المقياسين الكيفي والكمي ؛ فهو حين يتصدى

لتحليل ظاهرة ما يفعل ذلك باناة ودقة وإنصاف، وفي الوقت نفسه يثري قارئه بكثير من البيانات والمعلومات العامة، وهو فى هذا الكتاب – الممتد على إحداثيين :
رأسى يصل الماضى العريق بالحاضر المتجدد، وأفقي يتيح مسحا شاملا لكل المناطق التي تعيش فيها الان من المسلمين اغلبيات أو أقليات -يجمع بين تأمله فـي تمـاثل المسـيحية بالاسلام اوتباينها عنه، وفى حركة دول عدم الانحيـاز، وفـي مشـروع عبـد النـاصر التاريخى. وفى الإسلام فى أفريقيا، وفي الحركة الأدبية للكتاب العرب المسـيحيين، وفـي دحض المسلمين للرأسمالية، وفى الصراع العربى الإسرائيلي، وفي حركة شباب مالاييزيا، وفى الحرب الباردة. وتترى فى سطوره أسماء "الإمام محمد عبده" و"السلطان عبد الحميـد الثاني" و"الامام على بن أبى طالب" و"منظمة أمل و"عيدي أمين و"كمال أتاتورك" و"قاسـم امين" والمفكر الفرنسى "ريمون ارون" و"ابن رشد" و"ابن سينا" و"أبو الحسن بنـي صـدر" (اول رئيس لجمهورية ايران) و"الرئيس السوداني عمر البشير" و"مهدي بازرجان" (رئيس حكومة ايران بعد الثورة) و"الرئيس التونسي زين الدين بن علي" و"المفكر مالك بـن نبـي و"بينظير بوتو" و"ذو الفقار على بوتو" و"بوكاسا" و"الحبيب بورقيبة" و"الرئيس الأمريكـي الأسبق جورج بوش" والأسبق عليه "جيمي كارتر" وكثير غيرها من الأسماء.

يقوم المؤلف باستقصاء للاصول التاريخية للاسلام بهدف أن يعرف بها عوام القراء فـي الغرب. اولئك الذين لا يعرفون عن المسلمين سوى انهم جماعة من المتظاهرين يـهتفون "الموت لامريكا" او يرفعون شعارات الإبادة باسم العقيدة، ولكن إسبوزيتو يهمه أن يذكـر هولاء القراء بأن رجالا ونساء من كل الأعراق والأصول والطبقات الاجتماعية والخلفيات الثقافية فى كل انحاء العالم وعلى مر كل العصور قد وجدوا في الإسلام يقينا أغنى حياتـهم وغير منها، وامدهم بمعنى لكلمات مثل "الجماعة" و"التضامن" و"المسالمة". ومن ثـم فقـد خصص جانبا من الكتاب لعرض تاريخي يبدأ من نشأة الإسلام الأولى – حيث رجع إلـى صحائف السيرة النبوية، كتلك التى أملاها ابن إسحاق – ثم يمر بعصر الخلفاء الراشـدين وتكوين الدولة الإسلامية على انقاض إمبراطوريتي الروم والفرس، ويختتم بتأريخ موجـز للامبراطورية العثمانية.

كذلك قد ألقى المؤلف الضوء في مواضع كثيرة من كتابه على كفاح الإسلاميين في الـهند، ومنهم احمد خان (١٨١٧ – ١٨٩٨) الذي كرس حياته، والاحتلال البريطاني في عنفوانه، لخلاص طائفة مسلمي الهند ؛ وكان له هدفان : أن يقوي عود تلـك الطائفـة المنكسـرة المندحرة، وأن يؤكد لسلطات الاحتلال ان الإسلام لا يشكل تهديدا للمصـالح البريطانيـة، وفى الوقت نفسه كانت جهوده للتصدي موزعة على جبهتين : علماء الدين الذين أنكـروا على البريطانيين اي صفة مغايرة لصفة "اعداء الإسلام"، والبريطانيين أنفسهم الذيـن لـم يعتدوا بالمسلمين الا على أنهم خطر سياسي متأصل بحكم عقيدتهم ذاتها، ولم تفلح حجـج احمد خان التي ساقها للاقناع بان المسلمين داخل دولة غير مسلمة أقرب إلـى الانخـراط ضمن القوى المسالمة منهم إلى أي توجه اخر، في حين أن معاصريه وأبناء دينـه أدانـوا مبالغته فى مهادنة الغرب ؛ حتى أن الأمر بلغ به قبول لقب "سير" من الملكة فيكتوريا.

واذا كان اسبوزيتو قد ربط بين احمد خان وجمال الدين الأفغاني بحكم تزامنهما واهتماماتهما الواحدة بمصير امتهما الإسلامية مهما كان الطريقان متباينين ؛ فانه قد ربط لنفس الاسباب بين طه حسين ومحمد إقبال (١٨٧٥ - ١٩٣٨) الذي كان هو الاخر "تحديثيا" في دعوته الى الإصلاح، كما جمع بين تلقيه تعليما تقليديا وتحصيله معرفة وثيقة بالغرب : كان قد درس في كل من انجلترا، التي نال منها شهادة في القانون، وألمانيا التي درس فيها الفلسفة ونال منها الدكتوراه وفي الهند عمل بالمحاماة ولكنه دخل التاريخ باشعاره الفلسفية، وقد عرف عنه رأيه في ضرورة استيعاب الصحوة الإسلامية للمنجزات الفكرية الاوروبية. وكان يقول ان المسلمين في أيامه يعيشون حقبة كتلك التي شهدت في اوروبا الاصلاح البروتستنتي وإن اضاعة فرصة الإفادة من دروس التاريخ حين يجلو صورة مارتن لوثر امر يؤسف له. وقد اراد اقبال للمسلمين ان يبعثوا من جديد كأمة قوية لا ان يبقوا في كنف مجتمع اكبر كاقلية مستكينة ؛ ومن ثم كان أقرب إلى الأفغاني منه إلى احمد خان.

وعند إسبوزيتو ان التحديث الإسلامي، وإن بدأ أساسا حركة ذهنية، قد كان له تأثير كبير على الجماهير التى امست تتصدى للغرب من موقع استعادة أمجاد الماضي ؛ وبذا ضخ الدماء في عروق نضال الشعوب ضد الامبريالية.

وكان اسبوزيتو قد افتتح كتابه بتحديد معنى "الأصولية" Fundamentalism، فذكر ان المصطلح ليس مقصورا في استخداماته على الإشارة إلى نهج المسلمين المتشددين وحدهم، ولكنه اصلا يتسع ليشير الي كل تمسك بحرفية ديانة ما أيا كانت تلك الديانة، بل انه مرتبط في ذهن المثقف الغربي باحدى حركات العقيدة المسيحية في القرن العشرين، ولذلك فان جون اسبوزيتو يؤثر منذ بداية الكتاب أن يعتاد قارئه مصطلحا بديلا هو "الاحياء الاسلامي Islamic revivalism أو اخر هو "النضالية الإسلامية" Islamic activism، وكل منهما أكثر ارتباطا بطبيعة الإسلام وتاريخه. وإذا كان جون اسبوزيتو يدقق في اختيار المصطلحات وتحديد مفاهيمها عن وعي بما عرف دائما عن الاسلام من الاخذ بتقليدي "التجديد" و"الإصلاح" فانه لم يغفل كون مفاهيم التطور في انحاء عالم ما سوى الغرب، بما فيها المناطق التي ضمت المجتمعات الإسلامية، قد شملت بلا فكاك "العلمانية" و"الاقتداء بالغرب"، على أنه يرصد أيضا تغييرا طرأ على تلك المفاهيم منذ بداية سبعينيات القرن العشرين، فزعامات تلك المناطق، سواء في الأنظمة الحاكمة أم على راس حركات المعارضة، باتت تحتكم إلى الإسلام كمرجعية في السياسة وليس في التشريع فحسب، ليس لأنه كان غائبا فظهر فجاة، ولكن، في تحليل إسبوزيتو، لنجاح التوسع بمنظومة للمفاهيم الذهنية كانت دائما ماثلة، وقد تباينت مواقف تلك الزعامات من قطب الامبريالية الغربية : الولايات المتحدة الأمريكية ؛ فمنها ما انجر إلى تحالف معه وثيق، شأن العربية السعودية وباكستان، ومنها ما عاداه بلا هوادة شأن ليبيا وإيران.

ويسترسل المؤلف في توصيفه للنموذج الإيراني، مشيرا الى ما سمي بتصدير ايران للثورة، وفي تحليله ان تصدير الاسلام الثوري قد نبع لدى الخميني من منظور إيديولوجي عام هو تفسير للإسلام يجمع بين أحد نباتات القومية الإيرانية ديني الجذور وبين يقين بأن مهمة المسلمين هي نشر الاسلام بالموعظة وضرب المثل الأعلى ،ولكن أيضا بالثورة المسلحة.

وقبل التعرض لمصر كنموذج لتربة انتجت نباتات مناظرة يمر إسبوزيتو بـــردود الفعـــل باسم الاسلام في بلاد الشرق التى نكبت بغزوات المحتلين، والحركات القومية التي تـأثرت بمحمد بن عبد الوهاب فى شبه الجزيرة العربية وبالمهدي في السودان وبالسنوسي في ليبيا وبالفولاني في نيجيريا وبحاجى شريعة الله في البنغال وباحمد برلوي في الـــهند وبجمـــال الدين الافغاني في مصر والدول التي جال بها.

ومن المناسب في هذا الموضع الإفساح لتحليلات جون إسبوزيتو للكفاح السياســي الــذي استظل في مصر بالاسلام، وبوجه خاص رصده لمسيرة كل من حسن البنا وسيد قطـــب ؛ فعنده ان حسن البنا.زعيم الاخوان حتى مقتله عام ١٩٤٩، ما كان توجهـــه السياســي إلا صوب مبادئ الاسلام الاولى. وانه إذا كان قد أدان الغرب، مثلما فعل معاصره أبو الأعلى المودودي. فانما لان تلك المبادئ تأبى ما في الغرب من استعمار أحمر (أي الشـــيوعية)، ولكن ايضا من استعمار أبيض (اي الرأسمالية، والتعبيران لجون إسبوزيتو). ولإســبوزيتو هنا "تخريج" جديد بالاعتبار : فهو يرى أن جماعة الإخوان المسلمين بعد مقتل حسن البنـا وإن ظلت في الظاهر نفس التنظيم، انقسمت مـــن الداخـــل إلـــى فصـــائل متعـــددة، وأن استراتيجية الاخوان السياسية غدت، بفعل ذلك الانقسام، غـــير محســـومة؛ تتذبـــذب بيـــن انموذجين متنافسين: التطور والطفرة ؛ وهذا لأنه بعد وفاة حسن البنا لم يتمتع زعيم مفـــرد بنفس سلطته؛ فخليفته في منصب المرشد العام، وكثرة من الإخوان معه، بقوا على حـــذر من مواجهة مباشرة مع النظام، وأغلب رجال الحرس الأقدم، عن وعي تام بسطوة الدولـــة، اثروا احداث التغيير عن طريق الموعظة والفعالية الاجتماعية. بينما استمال خطاب ســـيد قطب افراد جناح أشد نضالية، وبوجه خاص المتذمرين من الشبيبة.

وقد برز سيد قطب في الخمسينيات كصوت رئيسي لجماعة الإخوان وكأشد منظريها تأثيرا على الاطلاق : كان التزامه وذكاوه ونضاليته وأسلوبه الأدبي** قد جعلوه مؤثـــرا علـــى نحو خاص في سياق تصادم متزايد بين الجماعة ونظام حكم قمعي. وما جرى من تحـــرش الحكومة بالإخوان في سنة ١٩٥٤، على أثر محاولة اغتيال عبد النـــاصر، وســـجن ســـيد قطب وتعذيبه لما نسب اليه من تورطه في تلك المحاولة، لم يزد الرجل إلا راديكاليـــة ولا وجهة نظره الا حدة وتصادمية. وخلال عشر سنوات من السجن، داخل ما يشبه معســـكر الاعتقال، كتب بغزارة مستكملا اجزاء تفسيره للقران "في ظلال القران" وأيضا أهم كتاباتـــه السياسية في الاسلام العقائدي تأثيرا: "معالم في الطريق"، وقد بات فكره انذاك يعكس رؤية ثورية جديدة هي وليدة سنوات سجنه وتعذيبه الطويلة.

راى سيد قطب العالم الذي تحاول الحركات الإسلامية أن تجد لنفسها فيه مكانا عاليا تسوده مجتمعات غير اسلامية وتحكمه حكومات قمعية، والمجتمع راه منقسما إلى معســـكرين لا ثالث لهما: حزب الله وحزب الشيطان: اولئك المستمسكين بشرع الله والاخرين المناهضين له. والحركة الإسلامية هي قلة من الصديقين يريد بحر من الجهل والجاهلية أن يجرفـــها، وقد نسب الى الجاهلية مجتمعات الدول الإسلامية وحكوماتها لأنها في الحقيقـــة ملحـــدة أو كافرة. وهكذا استخدم التوصيف التاريخي الكلاسيكي للحقبة السابقة، تاريخيا، على الإســـلام لادانة المجتمعات الإسلامية بانها غير اسلامية أو ضد الإسلام. والسبب، عند سيد قطـــب، في انها كذلك هو أن العالم الذي محوره الله قد أحل محله آخر محوره الادمي. وأكد ســـيد قطب على تنشئة طليعة : جماعة من المسلمين المخلصين، في قلب المجتمع الأوسع الـــذي هو فاسد ولا ايمان له.

وقد تمسك سيد قطب بان انشاء نظام اسلامي للحكومات هو مشيئة إلهية، وبالتالي فهو ليس خيارا ولكنه قضاء. وخلص سيد قطب، من اعتباراته لواقع الأفعال السياسية على يدي الانظمة السلطوية اللااسلامية. الى ان محاولات القيام بتغيير من داخل الانظمة السياسية القمعية السائدة في الدول الإسلامية هي محاولات عقيمة. وأن الجهاد هو السبيل الوحيد لترسيخ نظام اسلامي جديد. اصبح الجهاد كنضال مسلح يدفع عن الإنسان الظلم هو الذي يشار لصادقي الايمان اليه كمخرج من الأزمة الراهنة، وقد وقف الإسلام على حافة الكارثة، تتهدده الحكومات المناهضة له وقوى الاستعمار الحديث؛ وأي من المسلمين رافضي المشاركة او المترددين عليهم أن يعدوا ضمن اعضاء الله. وباتت صيغة سيد قطب نقطة البدء لكثير من الجماعات الراديكالية. وهكذا تعايش الخياران : التطور، وهو وسيلة تركز على التغيير الثوري للمجتمع من أدنى إلى أعلى، والثورة: الإطاحة عن طريق العنف بانظمة الحكم (غير الاسلامية) السائدة. هذان طريقان، شبيهان بالتوأمين، تستثمر فهما حركات الاسلام السياسي.

وعند سيد قطب ان الغرب هو عدو الاسلام والمجتمعات الإسلامية التاريخي والمتغلغل، وهو خطر سياسي وثقافي ديني في نفس الوقت؛ وخطورته الجلية والحالية ناجمة لا عن سطوته السياسية والعسكرية والاقتصادية فحسب،.ولكن أيضا عن قبضته على النخب المسلمة التي تحكم وتوجه بمقاييس اجنبية تعرض هوية مجتمعاتها وروحها للخطر. بل إن سيد قطب كان اكثر تماديا من مقتفي اثره اللاحقين حين اعلن نخب الدول الإسلامية وحكوماتها ملاحدة ينبغي على كل المؤمنين ان يشنوا عليها الحرب، حربا تكتسب صفة القدسية من هذا الاسم : "الجهاد".

وفي سنة ١٩٦٥ قامت الحكومة المصرية على نطاق واسع بعمليات قمع ضارية استهدفت الاخوان المسلمين اذ اتهموا، من جديد، بتدبير مؤامرة أخطبوطية على حياة عبد الناصر وعلى نظام الدولة . واعتقل منهم الالاف وعذبوا، بينما فر الاخرون إلى خارج البلاد أو اصبحوا، بالمصطلح المعروف في دوائر الكفاح السياسي، "تحتيين". أما سيد قطب فقد مات،مع من ماتوا، على المشنقة بعد اتهامه بتزعم تلك المؤامرة التي قال عنها جيل كيبيل سنة ١٩٨٦ في كتاب له عن "التطرف الإسلامي في مصر: النبي وفرعون" (وقد ترجمه احمد خضر الى العربية بعنوان "النبي والفرعون". الناشر : مكتبة مدبولي سنة ١٩٨٨.) "إن ما سمي بمؤامرة الإخوان المسلمين الجديدة قد أتاح كبش فداء نموذجيا من شأنه أن يمكن الزعيم من ان يعيد توحيد الشعب خلفه". (والفقرة مأخوذة من النص الإنجليزي لكتاب اسبوزيتو الذي يؤمن على كلام كيبيل قائلا إن الذين تامروا من بين الإخوان لقلب نظام الحكم قد امدوا عبد الناصر بوسيلة ملائمة يحول بها الانتباه بعيدا عن مشاكله المحلية والدولية).

وفي ظرف خمس سنوات من اختفاء سيد قطب، وتشتيت الإخوان، فوجئ أولئك الذين ظنوا انفسهم عليمين بخفايا الحركة فاعلنوها ميتة برؤية العنقاء تنبعث من رمادها، ولدهشة الكثيرين غدا خليفة عبد الناصر في رئاسة مصر، وهو أنور السادات نائب رئيس الجمهورية حتى موت عبد الناصر في سنة ١٩٧٠ ورفيق كفاحه، والذي كان عضوا بهيئات المحاكم التي أدانت الإخوان المسلمين، راعيا لانبعاث مصر الإسلامي ،فرد لجماعة الاخوان اعتبارها وأسبغ على التنظيمات الطلابية الإسلامية رعايته.

وبدءا من سنة ١٩٧٠ اخذ الإخوان المسلمون يعيدون بناء التنظيم، معتنقين عن وعي سياسة اصلاح معتدل في ظل حكم الرئيس السادات. وكانت صورتهم أصلا في أذهان الكثيرين كتلك التى لفلول من رجال مسنين مهزومين مذعورين. وإلى حد ما بدت هذه الروية صحيحة فى اوائل ايام السادات. وقد أسست الحكومة علاقة عمل مع المرشد العام للاخوان المسلمين، عمر التلمسانى، الذي كان السادات قد اطلق سراحه. أما الجماعات الراديكالية فقد رات قيادات الاخوان أن انكسارها تحت وطأة تجربة السجن هو الذي اغرى الحكومة باستلحاقها. وفي الحقيقة ان الفصيل المعتدل من الجماعة هو الذي تغلب بينما كون الاعضاء الأصغر سنا، وقد دفعتهم تجربة السجن نحو الراديكالية ومثلت تفسيرات سيد قطب الحرفية والنضالية الهاما لهم، جماعات سرية تحتية همها هو الاطاحة، عن طريق العنف، بالنظام. وقد توصلت الجماعة إلى تعايش سلمي مع حكومة السادات.
وفى حين انها ظلت غير معترف بها كحزب سياسي فإنها تمكنت ثانية من العمل في العلن : تنشر رسالتها وتصدر المجلات وتنشئ مؤسسات مالية وأخرى للشئون الاجتماعية. وقد عاد عندئذ الاخوان المسلمون الذين بقوا طويلا تحتيين، وأولئك منهم الذين قضوا سنوات فى المنفى، ليعملوا مرة اخرى إلى جانب زملائهم الذين أفرج عنهم من السجن، واستمروا فى استقطاب اعضاء جدد من بين رجال الأعمال والموظفين والأطباء والمهندسين والمحامين الذين ترجع جذورهم الاجتماعية إلى الطبقة الوسطى أو ما يدنوها. وتدفق التمويل من "الاخوان" الذين يعملون فى بلاد النفط الغنية، مثل دول الخليج والعراق، ومن رعاة مثل العربية السعودية. وفي حين أن الجماعة لم تلتزم الصمت فإنها خافتت من نقدها للحكومة، مشددة على التعاون. وتحاشت قيادة الإخوان باستمرار العنف والتصادم وجهرت بانتقادها للجوء الجماعات الراديكالية إلى العنف. وإذا كانت الفترة الممتدة بين سنتي ١٩٥٤ و١٩٦٥ قد تميزت بتصادمات متناثرة ومجابهة لنظام الحكم بالعنف؛ فإن الإخوان المسلمين فى الحقبة اللاحقة لعام ١٩٧٠ قد مروا بتحول لا مراء فيه؛ منحازين بوضوح الى أسلوب التغيير السياسى الاجتماعي عبر سياسة اعتدال وتدرج تقبلت التعددية السياسية والديمقراطية البرلمانية، وداخلين في تحالفات سياسية مع أحزاب وتنظيمات سياسية لادينية وبالمثل مقرين حقوق الأقباط. وحتى في أواخر السبعينيات، عندما استشعروا حنق السادات من جراء تزايد استقلاليتهم (استنكارهم اتفاقيات كامب دافيد وتعديلات قانون الاحوال الشخصية، وشجبهم المرير للولايات المتحدة وإسرائيل)، فإنهم واصلوا رغم كل شيء التزامهم بخط جماعات الضغط والنقد. وجماعة الإخوان المسلمين، وإن أبدت تعاطفها مع انشغالات الجماعات المتطرفة، فإنها ظلت صامدة في إنكارها للعنف والارهاب وبقيت بدقة بالغة داخل حدود القانون المصري.
على ان جون اسبوزينو يرى أن الجماعات المتطرفة التي تحدت سلطة السادات في أواخر عهده، ومنها تنظيم الجهاد. هى التي استرعت القدر الأكبر من الاهتمام ؛ فقيادات تنظيم الجهاد، وما هو إلا استنهاض لفلول تنظيم سابق اعدم زعماؤه بعد إحباط مؤامرتهم التي عرفت باسم قضية الفنية العسكرية في سنة ١٩٧٤، قد تكونت، هي وغالبية أعضائه، من شرائح من فئات المجتمع المدنية والعسكرية والدينية، وجمعت بين رجال من أفراد الحرس الجمهوري والمخابرات العسكرية، ومن الموظفين والعاملين بالإذاعة والتليفزيون، وبين جامعيين اساتذة وطلابا.

وقد نطق بمبررات اعمالهم منشور عنوانه "الفريضة الغائبة" حرره أحد المنظرين لهم هو أصلا، بحكم مهنته، كهربائي. وقد جاء فيه أن الجهاد هو السادس من أركان الإسلام وأن الكفاح المسلح قد كتب على جميع المسلمين المخلصين حتى يداووا مجتمعا فاسداء وأن ساحة الجهاد الاولى يجب ان تشهد القضاء على الكفرة من الحكام، فتلك هي نقطة البداية. والى جانب تنظيم الجهاد وجدت تنظيمات اخرى، حملت أسماء من قبيل "التكفير والهجرة" و"الناجون من النار". لم تجد وسيلة للنضال السياسي سوى العنف والإرهاب. وكما قال روبن رايت في كتابه "السخط المقدس: حنق الاسلام النضالي" فإن "اغتيال أنور السادات، واحتجاز الرهائن في لبنان، وحوادث اختطاف الطائرات، كل هذا يجسد حنقا إسلاميا لم تعد تنقصنا الفة به لصيقة".

الا ان جون إسبوزيتو، الذي يلح في كتابه على التفرقة بين إسلام متطرف واخر معتدل تحيا في الشرق وفق تعاليمه مجتمعات مسالمة وحكومات معتدلة، يتخذ وجهة نظر مغايرة لما يقول به روبن رايت وكثير من أضرابه في الغرب، ومن أبرزهم برنارد لويس الذي درج في كل كتاباته على تصوير الإسلام ضاغنا على الغرب عن غيرة من هويته الماضية اليهودية المسيحية وهويته الحالية العلمانية. كما أنه يذكر أصحاب أقلام في الغرب، منهم وليام فاف ومورتون زوكرمان (صاحب مقال "حذار من الستالينيين المتدينين") وأيموس بيرلموتر ودانييل بايبس ووليام سافاير وتشارلز كراوتهامر (صاحب مقال "ايران : الموزع الأوركسترالي للشغب")، استثمروا غفلة قرائهم عن حقائق الأمور كي يزيفوا الامور ويشبهوا الإسلام، لأنه الان قوة عالمية، بقوة عالمية فقدت وجودها تماما أو كادت، هي الشيوعية. أفيريدون إذن أن يروا مواطنيهم اليوم مرتعبين من الإسلام كما كانوا بالامس مرتعبين من الشيوعية؟ أو، بتعبير جون إسبوزيتو نفسه، أن "يحل الخوف من الخطر الاخضر محل الخوف من الخطر الأحمر؟ !".

وإذا كان جون اسبوزيتو، على طول صفحات كتابه هذا، قد دلل على عبثية هذا التصور: فانه قد استهل الكتاب بكلمة موجزة وثاقبة لكاتب اخر هو باتريك بوكانان الذي قال في مقالة له باحدى الصحف الامريكية: " إن الإسلام، في عرف بعض الأمريكيين الباحثين عن عدو جديد نختبر فيه جلدنا وقوتنا، هو الخصم الأثير. على أن إعلان الإسلام عدوا للولايات المتحدة هو رجعة بالعالم إلى ما عاناه من حروب، منها ما سميت بالباردة، في عصر كنا نظنه قد انقضى. اما إذا لاح احتمال لعودة ذلك العصر فهذا ما لا يتمناه احد.لأنه من غير المنتظر أن يحرز الغرب في هذه المرة نفس النصر المدوي الذي أحرزه في سابقتها".

* "التهديد الإسلامي : خرافة ام حقيقة؟". تأليف جون ل. اسبوزيتو. ترجمة د.قاسم عبده قاسم. (٤٢٠ صفحة من القطع الكبير). الطبعة الاولى. دار الشروق ٢٠٠١ (١٤٢٢ هـ).

** كان سيد قطب في مقدمة من التفتوا مبكرا الى ابداع نجيب محفوظ، بشهادة نجيب محفوظ نفسه الذي ضم إليه انور المعداوي.

ندوة

[صدام الحضارات.. مرة أخرى!]

على مدى أسبوعين نشرت مؤخرا جريدة (القدس العربي) التي تصدر في لندن استفتاء موسعا استطلعت فيه آراء عدد كبير من أبرز المفكرين في الوطن العربي والعالم حول الاعتداءات التي شهدتها امريكا في ١١ سبتمبر الماضي، وكيف أنها أعادت تسليط الضوء علي أطروحة الباحث الامريكي صموئيل هنتنغتون الموسومة بـ صدام الحضارات التي تنبأ من خلالها ان يكون الصراع الكوني القادم، في جانب منه، هو بين الاسلام من جهة والغرب من جهة أخري، بعد انتهاء الحرب الباردة وزوال الصراع بين الغرب الرأسمالي والمنظومة الاشتراكية بقيادة الاتحاد السوفيتي.
القسم الثقافي في الجريدة، والذي يشرف عليه الشاعر والكاتب أمجد ناصر، قدم عددا من الأسئلة، فيها: هل تعطي الحرب الراهنة أطروحة هنتنغتون التي بدت قبل أحداث ١١ سبتمبر مجرد فرضية خيالية مصداقية الآن، وهل نعيش حربا لها فعلا مقومات ثقافية ودينية كما تصورها بعض القوي والأقلام العربية، وهل حرب لها هذه الملامح من مصلحة العالمين العربي والإسلامي، فإذا كان الجواب بالنفي كيف يمكن تفادي الإنجرار إليها، وما هي الصورة الممكنة لتعايش الثقافات في عصر العولمة؟ وفي الصفحات التالية تقدم (أدب ونقد) مقتطفات مختارة من هذا الاستطلاع الهام، الذي شارك في إعداده شاكر نوري ويحيي القيسي ومحمود قرني وحكمت الحاج والطاهر الطويل، كما تابعت الكاتبة الاردنية فادية فقير الجانب الانكليزي من هذا الاستفتاء.

إبراهيم العجلوني
أنور الزعبي
إيتيل عدنان
توماس فريدمان
جمال سند السويدي
جورج طرابيشي
حازم صاغية
حسين الهنداوي
خالد الحروب
روجر أوين
صبحي حديدي
صبري حافظ
طلعت الشايب
علي حرب
غازي القصيبي
غي هينيبل
كامل شياع
ليلى صبار
مالك شبل
محمد سبيلا
محمد عابد الجابري
محمد ناصر النفزاوي
مكسيم رودنسون
موفق محادين
ناصر الدين الأسد
وليد نويهض

العالمان العربي والاسلامي هما هدف الصراع

اذا ربطنا بين الدوافع والنتائج قد نذهب الي ان ما حدث في العقود الاخيرة منذ اتفاقية سايكس بيكو ووعد بلفور ثم قذائف اف ١٦ وصواريخ مروحيات الاباتشي وب ٥٢ في فلسطين والعراق وافغانستان وسواها. انما هو تدمير للبني والهياكل الاساسية وانتزاع لمكامن القوة من الاعماق في البلاد التي تقف او قد تقف في وجه الدولة الكبري ومصالحها. وبذلك تتهيأ لها السيطرة علي تلك البلاد وعلي ما يجاورها ويحيط بها وتصبح وحدها المتحكمة بمصائرها ومقدراتها!! ولا يستطيع العالمان العربي والاسلامي تفادي الانجرار الي هذا الصراع لانهما هما هدف الصراع. وهما في صميم معتركه. ولكنهما يستطيعان مداورته وتجنب بعض آثاره اذا اتيح للقادة والحكام فيهما توحيد الكلمة والصف. وخوض هذا الصراع بموقف موحد صادق.

ناصر الدين الأسد

مفكر من الأردن

الإسلام لا يمتلك الوسائل

السياسة الأمريكية لم يعد بإمكانها أن تدعي بأنها تدافع عن الحرية و العالم الحر، والذين يواجهونهم هم عبارة عن وحوش. والمأساة أن القوة الوحيدة القادرة علي إيقاف الأمريكيين هي القوة الإرهابية التي تدعي الإسلام. وكلنا يعلم أن الإسلام ليس حركة بسيطة أو موحدة عبر العالم، ونعلم بأن هناك الإسلام الإصلاحي والحديث. ولكن هذا الإسلام لا يمتلك الوسائل من أجل ضمان استقلالية اقتصادية وسياسية للبلدان المسلمة كما يطمح المواطنون، دولة تتوفر فيها حرية التعبير ويسودها القانون وتتعايش فيها الاقليات والثقافات المختلفة. والأمريكيون لا يريدون فهم أن دعم إسرائيل اقتصاديا وعسكريا، كما يفعلون منذ عقود متعددة، يكرس سياسة إسرائيل الاستعمارية والإجرامية ضد الفلسطينيين، ويكرس مشاعر الظلم التي يشعر بها العرب الفلسطينيون والعراقيون والمصريون.. ومسلمو ايران وآسيا. نظام عالمي جديد سيقوم في العالم لكن الأمريكيين لا يصبحون أسياده.

ليلي صبار

كاتبة من الجزائر تقيم في باريس

حقيقة الوحدة والتعدد

الراهن ان اصرارنا علي اننا واحد متماسك، متجانس ومميز، ومضينا، باسم رسالة خالدة ما في سياسات كبت الاقليات وقمع المعارضين والمنشقين، لا يفعلان الا تنميطنا بوصفنا جوهرا نقيا لا تدانيه الاخلاط والمغايرة.وفي هذا، نقوم نحن بتنميط انفسنا، قبل ان يبادر الي تنميطنا اي عدو، عنصريا كان ام شبه عنصري.واما تفادي الانجرار الي ذلك فيبدأ من ادراكنا لحقيقة العلاقة بين الواحدية الانسانية، وبين التعدد والتنوع داخل كل واحد من مكونات هذه الواحدية.والادراك مسؤولية أولها الجهر بحقيقة الوحدة والتعدد، وهو ما تتفرع عنه سياسات لا تأخذ أيا من الاديان (اليهود مثلا) بجريرة بعض معتنقيها. ولا تأخذ ايا من الشعوب (الامريكان مثلا) بجريرة بعض منتسبيها.وبالطبع لا تبرر القتل العشوائي للمدنيين كائنة ما كانت الاسباب السياسية والذرائع.

حازم صاغية

كاتب من لبنانِ يقيم في لندن

لماذا كل هؤلاء الارهابيين مسلمون؟

لا أحد يستطيع القول ان المسلمين ارهابيون، هذا شيء سخيف، ولكن البعض يتساءل: لماذا كل هؤلاء الارهابيين مسلمون؟ هذا يدفعهم للتساؤل مرة اخري عن صلة هذه الاعمال ليس بدينهم بالضبط ولكن بالطريقة التي لقنوا من خلالها الدين.هناك ارهابيون يهود وقد كتبت عنهم عندما كنت مراسل النيويورك تايمز في اسرائيل، منهم اولئك الذين قاموا بتفجير رئيسي بلديتي نابلس ورام الله. وانا اسمي ذلك، علي سبيل المثال، ارهاباً يهودياً.ليس سؤالا غير منطقي بالنسبة للأمريكيين ان يتساءلوا لماذا كل هؤلاء الذين قاموا بتفجيرات ١١ أيلول (سبتمبر) ينتمون الي الدين الاسلامي.لا استطيع، كأمريكي، ان أجيب علي هذا السؤال اظن ان المسلمين هم اجدر مني بالاجابة عنه.

توماس فريدمان

كاتب صحفي امريكي

تفاوت مستويات

صدام الحضارات قائم إذن ولم تصنعه نظرية الطرف القوي ولا هواجس الطرف الضعيف. وهو باق وسيبقي ليس بقوة أو بمقاومة الثقافات والأديان التي أكرر القول بأنها ليست وحدات متجانسة، بل نتيجة تفاوت مستويات التطور الاقتصادي والتاريخي الذي يفرض تعارض المصالح والسياسات.

كامل شياع

كاتب وباحث من العراق يقيم في بروكسل

لا يحق لنا أن ننتقد الإسلام

في بلد فولتير وديدرو لا يحق لنا أن ننتقد الإسلام. يمكن أن نهين البابا والكاثوليكية ولكن لا يحق لنا لا انتقاد الإسلام ولا اليهودية. وأعتقد أن المسيحية هي الديانة الأكثر تطورا بين الديانات الثلاث لأنها الأكثر تقبلا للنقد والنقد الذاتي. أعتقد أن الإسلام يمكن أن يتطور أكثر فأكثر. لنأخذ مثال برلسكوني الذي قال: إن الغرب يتفوق علي الآخرين. ويمكن أن يكون برلسكوني لصا ولكنه محق. عندما نقول إن الحضارة العربية في الأندلس كانت متفوقة علي الحضارة الغربية آنذاك، فهذا صحيح. إذن في فترة من الفترات تكون حضارة معينة أكثر اكتمالا وإنجازا من الحضارات الأخري. في الوقت الحاضر الألمان أكثر اكتمالا من الفرنسيين.

غي هينبيل

كاتب ومحلل فرنسي

سكتت عن الإرهاب أو صنعته

في الغرب، وفي الولايات المتحدة بالذات يوجد كتاب ومفكرون وساسة وناشطون مدافعون عن حقوق الانسان او عن مصالح الشعوب، وهؤلاء يقفون موقفا نقديا مما يجَري. انهم يعارضون الحرب الدائرة في افغانستان ويوجهون اللوم للمؤسسة الامريكية الحاكمة، بحزبيها، اذ هي قد سكتت عن الارهاب او صنعته ورعته، ثم تأتي الآن لتطالب بمحاربته بعد وقوع الكارثة.

والانسان يسأل ليس فقط عن العمل الذي ينفذه، بل يسأل ايضا وخاصة عن العمل الذي يخلق شروطه أو يسهل قيامه أو يحض عليه ويمهد له. بهذا المعني تحمل الولايات المتحدة المسؤلية عما جري لها ولو كان المنفذون من الخارج، تماما كما ان بن لادن قدم الذريعة لامريكا لكي تشن الحرب علي افغانستان. ومن المفارقات في هذا الصدد ان افغانستان قد صدرت لنا جمال الدين الافغاني زعيما من زعماء النهضة الفكرية، فيما نحن صدرنا لها من يعمل علي تدميرها مثني وثلاث ورباع.

علي حرب

فيلسوف من لبنان

التصفيق الشارعي

الخطاب الهانتغتوني يلف الغالبية الكاسحة: من خطباء المساجد الي رؤساء الاحزاب الشعبية، الي كتاب الاعمدة في الصحف الي مقدمي برامج الحوارات الفضائية ووصولا الي جمهرة من المثقفين يكتبون وعينهم مسددة علي التصفيق الشارعي والاستحسان التجييشي الذي ستلقاه كلماتهم عند السامعين من دون ان يشعروا بوخزة ضمير لمشاركتهم في جريمة تشويه الوعي والدعوة الي حروب الاديان. علينا ان نقول بملء الفيه ان العفن الذي يترعرع بيننا يتيح لكل خصم وفرة في العتاد ويكفي اي عدو مؤونة البحث عن دلائل وشواهد تثبت ما يريد ان يثبت من تهم وأوصاف.

خالد الحروب

كاتب وباحث من فلسطين يقيم في بريطانيا

أطروحة تستهدف التبسيط

تتضمن أطروحة هنتنغتون مغزي براغماتيا لا علاقة له بالفلسفة لأنها أطروحة تستهدف التبسيط، وهذا التبسيط لا يمكن أن يتيح التأمل في موضوع هام كموضوع الحضارات. ولا اعتقد أن هناك صراع حضارات بل هناك حلقات متسلسلة من الحضارات لا يوجد إحداها يتفوق علي الآخر كما يتصور بعض الأغبياء لأن كل حضارة تحمل في أعماقها بذور حياتها واستمراريتها وعصرها الذهبي.

مكسيم رودنسون

مفكر فرنسي

الغرب يعاني

إن الغرب الآن يعاني من نتاجه السياسي والحضاري علي المستوي البشري. ولكن، يعاني ايضا من انتاجه التكنولوجي، والذين ضربوا نيويورك لم يضربوها بتقنية اسلامية ولا بعلوم اسلامية ولا حتي بعقلية اسلامية، ضربوها بآخر ما انتجه الغرب من تقنيات. التاريخ هكذا، العالم في صراع. فاذا اراد الغرب واراد العالم والمسلمون واراد كل من في العالم من اصناف البشر التعايش، وهذا شيء اصبح يفرض نفسه، فيجب ان تحل مشاكل الماضي.

محمد عابد الجابري

مفكر من المغرب

صدام

في الحقيقة ثمة صدام بين الفقراء والأغنياء، وهذا الصدام يصبح صداما بين القوي والعاجز.

ايتيل عدنان

شاعرة من لبنان

مصالح ذات تدرّج هرميّ

هنتنغتون نفسه يضطرّ إلي الإعتراف بأنّ ما ينتظم اليوم ليس حالة صراع/صدام بين الحضارات، بل هو هيكلية مصالح ذات تدرّج هرميّ، يضمّ الولايات المتحدة في الرأس، تليه طبقة تضمّ مجموعات ودولا مثل أوروبا وروسيا والصين والبرازيل والهند، تليه ثالثاً طبقة ناجمة عن امتزاج أو تنافر مصالح القوي الإقليمية في علاقتها بالجوار: بريطانيا مع المحور الفرنسي ـ الألماني، اليابان مع الصين، الأرجنتين مع البرازيل، الخ...

صبحي حديدي

ناقد من سورية يقيم في باريس

جميع الأصوليات

من سوء الحظ أن فرضية هنتنغتون هذا التي تمثل نزعة انغلاقية ونزعة حضارية مركزية من نوع ما يطلق عليه المركزية الاثنية ، أراد من خلالها هنتنغتون أن يؤكد علي تفوق حضارة بعينها وقوة دولية بعينها، هي امريكا. من المؤسف أن هذه النظرية نفسها وجدت لها في السوق الثقافية العربية أنصارا كثرا يتبنونها عن وعي أو عدم وعي وعن طيب نية أو سوء نية، بمعني آخر أن نظرية هنتنغتون ساقت المياه إلي طاحونة الأصوليين من جميع الدروب سواء كانوا من الأصوليين الإسلاميين أو الاصوليين اليهود أو الأصوليين الهندوس أو الأصوليين الكاثوليك أو البروتستانت أو الأصوليين السيخ ، فجميع الأصوليات بلا استثناء، يجمعها قاسم مشترك واحد رغم ما يمكن أن يكون بينها من عداء أيديولوجي وديني، هذا القاسم الذي يجمعها هو الاعتقاد بأن العالم بالفعل مؤلف من خنادق ومن قلاع متحاربة وليس لها من جامع سوي الحرب. فجميع الأصوليات، بطريقة ما، تحلم بتجديد نوع من الحروب الصليبية أو الجهادية التي تعيد تأسيس العالم في أجنحة أو في فضاءات منغلقة متحاربة ومتصادمة.

جورج طرابيشي

مفكر من سورية يقيم في باريس

افتراضات

لما كان نموذج الحرب الباردة الذي كان سائدا في الفترة الماضية لم يعد مؤهلا لتفسير الوقائع والاحداث المعاصرة وبالتالي لم يعد مناسبا للتوقعات فان افتراض نماذج اخري بات امرا ملحا لانجاز المهمة.. والنماذج المرشحة والتي يمكن طرحها هنا عديدة منها نموذج (نهاية التاريخ) الذي يفترضه فوكوياما.. او نموذج (الفوضي) الذي يفترضه

بريجنسكي، ونموذج (العولمة) علي اساس واحدية الثقافة او امركة العالم الذي يفترضه البعض، ونموذج انقسام العالم قسمين علي اساس الغني والفقر او الشمال والجنوب او التقدم والتخلف، ومن ثم نموذج (صدام الحضارات) الذي يطرحه هنتنغتون.. لقد ناقش هنتنغتون جميع هذه الفرضيات ليخلص الي ان نموذج صدام الحضارات هو الاكثر قدرة علي تفسير ما يجري من احداث ووقائع والتنبؤ بأحداث المستقبل.. وحين وصل هنتنغتون الي هذا لم يكن يقصد تكريسه نموذجا حتميا تنتهي اليه الامور كما قد يشاع ولكن كنموذج معتمد يمكن في ضوئه تعديل المسار نحو توجهات معدلة ومقومة او صنع نموذج يكون اكثر ايجابية منه ويتمثل النموذج المطروح بالسعي الي التعددية الثقافية بدلا من الصدام.. وبالتالي تصور نظام يقوم علي ست او سبع حضارات معترف بها في آن. يقول هنتنغتون في اخر كلام له ان صدام الحضارات هو الخطر الاكثر تهديدا للسلام العالمي والضمان الاكيد ضد حرب عالمية هو نظام يقوم علي الحضارات .

د. أنور الزعبي

كاتب وباحث من الاردن

أطروحة عزلة غربية

تبدو أطروحة هنتنغتون في جانبها النظري أطروحة عزلة غربية ـ مسيحية متعالية بالمعني الحضاري والديمقراطي، وتسعي لبرمجة علاقاتها مع خطوط التصدع باختصار شديد تاركة الجنوب والشرق خارج التاريخ، كما فعل فوكوياما.. غير ان هذا الخطاب الاقصائي المفعم بالداروينية الاجتماعية، سرعان ما يكشف عن قلب الظلام داخله، ويستعير من التوراة لعبة المستعمرين الاوائل، وهم يتحدثون باغتباط عن تنظيف المستنقعات من الحشرات والبرابرة باسم الرب والذهب.

موفق محادين

كاتب وباحث من الاردن

سلة واحدة

لقد وضع صاموئيل هنتنغتون المسلمين والكونفوشوسيين، علي ما يمايز بين هذين العالمين، في سلة واحدة، فما هو السبب في ذلك؟ الجواب هو: صحيح أنهما عالمان مختلفان تماما، ولكنهما يمثلان العدد ، أي الكثرة. وكم تخاف القلة القليلة المتخمة حتي في البلد الواحد من العدد .. إن القلة القليلة من سكان الأرض تودّ أن تروض الكثرة الكثيرة انطلاقا مما يسمي بالعولمة الرأسمالية وأن توجهها في كل ما يتعلق بحياتها ووجودها، تماما مثلما فعلت الديانات المختلفة، وكأننا اليوم بإزاء دين دنيوي جديد يقوم علي الرأسمالية. وكان يمكن للعولمة أن تكون خيرا محضا لأغلبية سكان المعمورة مقلصة الفوارق بين الأعراق والديانات بتقليص الفروق المجحفة بين مستويات العيش في مختلف أرجاء الأرض. ولكن هذا لم يكن، فقطار العولمة السريع لا يمكن هذه الأغلبية الكاثرة من الصعود اليه دون شروط قاسية.

د. محمد ناصر النفزاوي

كاتب واكاديمي من تونس

ليست الحقيقة كلها

ما قاله هنتنغتون ليس كله خارج الموضوع. فهناك الكثير من المقومات الثقافية والدينية في لعبة صراع الامم الا انها ليست الحقيقة كلها.. فالي جانبها هناك لعبة المصالح الكبري ومحاولات القوي السيطرة علي مصادر الطاقة (القوة) لمنع الضعيف من التقدم وقطع الطريق علي الشعوب صاحبة الارادة من استكمال عناصر قوتها. والمشكلة ان بعض القوي والاقلام العربية لم تفهم من الاطروحة سوي قشورها الصدامية و الحضارية بينما عمقها الحقيقي يطال الصراع الاستراتيجي علي الخطوط الجغرافية (الفاصلة والرابطة) في منطقة يعتقد انها ستتحول الي مركز ثقل اقتصادي ـ بشري في القرن الجاري، فالاكتشافات الجغرافية في نهاية القرن الخامس عشر نقلت الثقل الاقتصادي من البحر المتوسط وطريق الحرير (طرق التجارة القديمة) الي الاطلسي (امريكا ـ اوروبا) فظهر العالم الجديد علي حساب القديم، والان بدأ موسم الهجرة الي الشرق اذ ان مختلف الدلائل تشير الي انتقال الثقل الاقتصادي من المحيط الاطلسي الي المحيط الباسيفيكي. والحرب الجارية الان في افغانستان وجوارها لها تداعيات كبري سياسية وثقافية وهي في عمقها الاستراتيجي طويلة ليس في جانبها العسكري بل في قدرتها علي تعديل الموازين لمصلحة كفة الاطلسي.

وليد نويهض
كاتب وباحث من لبنان

هدف سياسي

الأحداث الحالية تتشابك فيها مجموعة من العوامل، ويلعب فيها الدين دورا، الا ان الدور الاكبر، والاخطر، يبقي للسياسة. ارهاب بن لادن لا يستند الي الوهابية ولكن الي تجربته السياسية في افغانستان. وارهابيو مصر لم يخرجوا من تعاليم القران الكريم ولكن من تعاليم سيد قطب، وهي مصبوغة تماما بطابع الاضطهاد السياسي الذي عانت منه حركة الاخوان المسلمين وقتها. ومذابح الجزائر يجب ان تفسر في ضوء التجربة السياسية الجزائرية، لا في ضوء الايات والاحاديث، وقضية فلسطين ليست صراعا بين الاسلام واليهودية، ولكنها مواجهة بين القومية الصهيونية والقومية العربية (ومن المعروف ان القادة البارزين في كل من هاتين القوميتين لم يكونوا من الاصوليين!). ولا يختلف الامر عند الانتقال الي المواقف الغربية. امريكا الان ليست معنية بالقضاء علي الاسلام، وهي مهمة مستحيلة علي اية حال، ولكنها بصدد تحقيق هدف سياسي وهو رد الاعتبار اليها بعد الاحداث التي هزت مكانتها كدولة عظمي. والغربيون الذين سارعوا الي تأييد امريكا لا يعنيهم ان يحكم افغانستان الملا عمر او الجنرال دستم بقدر ما يعنيهم الا يصيب لندن ما اصاب واشنطن ونيويورك.

غازي القصيبي
شاعر وكاتب وسفير المملكة العربية السعودية في بريطانيا

مع الغرب أم مع الشرق؟

من ضمن الطرح الصحيح الذي طرحه هنتنغتون ان اقوي حضارتين الان تشكلان خطورة علي الحضارة الغربية هما الكونفوشوسية والاسلامية في هذا العالم الذي انفردت فيه الولايات المتحدة بالسيادة او انفردت فيه الحضارة الغربية بالسيادة بدأت الحضارات الاخري تستدعي المقدس لديها وتستدعي ماضيها وتتمسك به لكي تجيب عن سؤال من نحن بدلا من السؤال السابق نحن مع من: مع الغرب ام مع الشرق؟ الكونفوشوسية التي تنتظم عدة دول من جنوب شرق آسيا تشكل تهديدا بسبب نموها الاقتصادي الذي يعتقدون انه لم يتحقق الا لانهم مختلفون عن الحضارة الغربية.الحضارة الاسلامية تشكل خطورة علي الغرب لعدة اسباب اهمها النمو السكاني الرهيب مع الفقر.الاقتصادي الذي يمكن ان يؤدي الي هجرة الي الغرب او بروز توجهات يسميها الغرب توجهات ارهابية لتغيير انظمة الحكم وتصدير الافكار التي تتمحور حول الجهاد وتحقيق العدالة الاجتماعية من وجهة نظر دينية وخاصة بعد ان فشلت جميع انظمة الحكم في هذه المجتمعات في الخروج بها من ازمتها الاقتصادية.

طلعت الشايب

مترجم كتاب صدام الحضارات الي اللغة العربية

انقسامات بين العرب والمسلمين

ما من ثمة نزال بين الثقافات بل هو ادراك متزايد لنقاط القوة والضعف لدي الاخر. بعض المسلمين قد يحسون بالغضب، واعتقد ان لدي الاغلبية احاسيس متضاربة جدا، التعاطف مع ضحايا الهجوم علي نيويورك، والاعتقاد بأن امريكا تستحق ما حل بها، واحساس بالعار ان مسلمين فعلوا ذلك باسم الاسلام.ليس هذا ذا علاقة بالتحديث والحداثة، كما اراد لنا البعض ان نفهم، انما بالاخفاق في إنجاز نمو سريع ثمة ايضا ضعف الممارسة الديمقراطية، حكام في منتهي الرداءة، وانقسامات بين العرب والمسلمين كما رأيناه متجليا في حرب الخليج. التغطية الاعلامية متضاربة بدءا بالتغطية الفجة نفسها مرورا بخطف الاعلام وجعله منابر لآراء وتعليقات تنبئية عما ستؤول اليه الحرب وعما يجب القيام به لاحقا.علي المثقفين ان يتحدثوا ويكتبوا بصراحة.

روجر أوين

أستاذ ببرنامج الدراسات العربية المعاصرة بجامعة هارفرد

الحروب القذرة

الذي لا ريب فيه ان صموئيل هنتنغتون رجل محظوظ الي ابعد درجة في حظوظ المغامرين، والا فما شأن مقالة ينشرها قبل عشر سنوات ثم يطورها الي كتاب حتي تكون لغو الليل والنهار علي مدي البسيطة كلها؟

وكيف يمكن لامشاج من متهافت الافكار ان تغذو خطابا للعولمة العسكرية التي تقودها الولايات المتحدة، وان كان خطابا مسكوتا عنه في معظم الاحيان، ومزورا دون تلفيقات اعلامية كأنها المخازيق بأيدي اللاعبين؟كان اول حظوظ هنتنغتون ان الغرب اليوم، سواء الامريكان أو الاوروبيين، قد عدم الفلاسفة الكبار امثال شبنغلر وشوبنهور وجون ديوي ووليم جيمس، وان المشتغلين بتاريخ الفلسفة من الاكاديميين لم يتناولوا اطروحته ـ لسبب او لاخر ـ بالنقد والتحليل، وان السوية الذهنية للسياسيين الامريكان متدنية الي الحد الذي يسمح باحتساب كلامه في صراع الحضارات نظرية ذات طابع فلسفي شمولي، ناهيك بها تعلة ومسوغا للمطامع الاستعمارية المتجددة، وللحروب القذرة التي يشنها الغرب ضد العرب والمسلمين.

ابراهيم العجلوني
كاتب ومفكر من الاردن

تناقضات

لا أعتقد بأن هناك ما يسمي بـ صدام الحضارات ، بل إنها أطروحة مصطنعة من أجل تبرير الأزمة. بلا شك هناك تناقضات بين العالم المادي والعالم الروحي. وهذه التناقضات موجودة في الغرب أيضا والتوجه المادي هو الطاغي. ليس هناك صدام حضارات بين شرق وغرب فيما عدا القول إننا في وضعية الحرب وهناك شروحات يجب أن تقدم بالنسبة للجماهير في الغرب. والعنصر الثاني الذي يؤكد علي عدم وجود صدام الحضارات هو وجود تكامل الحضارات اليوم. ونري ذلك في مسألة السياح وتبادل الأفكار والتجارة والدبلوماسية والثقافة في عالمنا الحالي. بل هناك نوع من التوحيد، مثل العولمة التي تعمل علي توحيد العالم وجعله قرية صغيرة.

مالك شبل
مفكر من الجزائر مقيم في باريس

بناء حوار ومناقشة علمية وموضوعية ومسئولة

ان هناك وسائل كثيرة لتجنب الانجرار الي ما يسمي بـ حرب الحضارات ويتوزع الجهد الرئيسي في ذلك بين الحكومات ونخبة الاكاديميين والمثقفين، ولوسائل الاعلام ومراكز البحوث والدراسات دور مهم ايضا، وتفرض الامانة العلمية والمسئولية الملقاة علي عاتق هذه الجهات ان تؤدي دورا في بناء حوار ومناقشة علمية وموضوعية ومسئولة لاشكاليات العلاقة بالغرب، وربما يكون جزء من الازمة التي يعانيها من يحاول ان يتعامل بشكل موضوعي مع هذه الاشكالية انه يجد نفسه محاطا بتراث طويل من الخطاب العدائي الذي انتجته رؤي ايديولوجية اختلفت كثيرا ولكنها اتفقت في هذه الناحية، وعلي سبيل المثال فان الجماعات التي ناصبت الغرب عداء مطلقا مع اختلاف دواعي العداء لدي الغربيين، وانتج ذلك مشكلة اخري هي ان عقلية القارئ العربي العادي تشكلت عبر قراءة هؤلاء وهؤلاء، واعتادت هذا الاسلوب.

الجانب الاخر من الصورة ان الغرب بمفكريه وخبرائه وحكوماته واعلامه لابد ان يتحمل مسئوليته التاريخية والانسانية عن ايقاف سيناريو الصراع، وعليه ان يبذل جهدا حقيقيا لتفهم طبيعة الفكر العربي والاسلامي وازالة الشكوك ازاء سياساته التي تثير حفيظة العرب والمسلمين وتؤكد صورته لديهم كطرف لا يهتم بقضاياهم ومصالحهم.

د. جمال سند السويدي

مدير مركز الامارات للدراسات والبحوث الاستراتيجية

مقولة متهافتة

لا شك ان انجرار كثير من المعلقين العرب الي ترديد مقولة صراع الحضارات المتهافتة، ينطوي علي قدر من الافلاس الفكري. فقد انجرت نفس الاقلام من قبل الي ترديد مقولات نهاية التاريخ، والنظام العالمى الجديد، والشرق اوسطية وغير ذلك من المقولات التي يبلورها مفكرو المؤسسة الامريكية، او حتي ذيولها الصهيونية في منطقتنا العربية. ثم تروج لها المؤسسة الاعلامية التابعة للمؤسسة السياسية في منطقتنا العربية، والتي لا استقلال لها باستثناء منابر نادرة لم تسلم عقليتها النقدية للمؤسسة السياسية، ولم تقع في وهاد تبني فكر العدو، والتحول الي حصان طروادة له. وربما يعود مثل هذا الانجرار الي تبعية المؤسسة العربية ومنظريها للمؤسسة الامريكية والصهيونية. وربما يكون سببه هو غياب المشروع العربي المستقل وتلقف مشاريع الاخرين لان الطبيعة تكره الفراغ، ومن لا مشروع له عرضة لتبني مشاريع الاخرين. وربما يرجع هذا الانجرار الي تفشي الانحطاط الفكري، والكسل العقلي في الواقع العربي الذي يعاني من التردي السياسي والحضاري علي السواء. وربما يكون احد تجليات ما يمكن دعوته بعقلية الهزيمة المنافقة التي خربت اللغة، وزيفت الالفاظ وخلطت بينها ببذاءة صفيقة. فتسمي الهزيمة انتصارا، والتبعية لمخططات العدو وعيا بالمتغيرات الجديدة، وخيانة المبادئ الوطنية مرونة استراتيجية، والاستسلام الذليل سلام الشجعان، والهرولة للارتماء في احضان العدو بعد نظر واستجابة للغة العصر. وكل ربما من هذه الربمات تحتمل التأمل والتفكير.

د. صبري حافظ

أستاذ الأدب العربي الحديث في كلية الدراسات الشرقية والافريقية بجامعة لندن

ابتزازات فلسفية

نظرية صدام الحضارات، فهي في نظري، كانت مستنفدة بالقوة قبل احداث ١١ سبتمبر لتصبح مستنفدة بالفعل بعد الاطاحة بحكومة طالبان وشبه احتلال افغانستان من قبل الولايات المتحدة. ولا استبعد شخصيا ان يخرج علينا هنتنغتون بعد سنوات وربما قليلة بكتاب اخر يتبرأ فيه من نظريته هذه كما فعل تماما قبله زميله مفكر مؤسسة راند التابعة للبنتاغون فرانسيس فوكوياما الذي اعلن العام الماضي عن براءته جملة وتفصيلا من نظرية نهاية التاريخ والرجل الاخير التي صار يسفهها بعد ان ظل يمطرنا لعشرة اعوام بالعد والتمام عبر محاضرات وندوات و مقالات انترنت لا تحصي ولا تحصر بابتزازاته الفلسفية عن مطلقية انتصار جثة سماها بوش الاب النظام العالمي الجديد . فهناك في الولايات المتحدة طريقة تعتنق قيم السوق في الفكر ايضا.

حسين الهنداوي

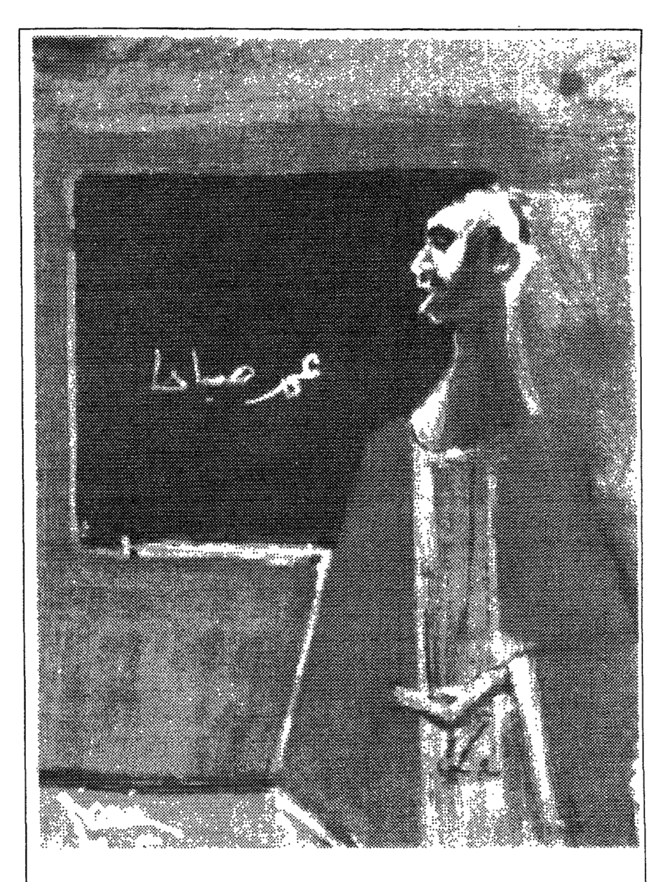
رئيس تحرير القسم العربي بوكالة يونايتدبرس انترناشنال

إما التكيف أو الأفول

من البديهي إذن أننا أصبحنا اليوم أمام حضارة واحدة ساهمت فيها كل الحضارات الكبري السابقة، الصينية والهندية والعربية الإسلامية... هذه الحضارة الحديثة رائدها الغرب بشقيه الأوروبي والأمريكي، حتي وإن ذابت فيها مساهمات الحضارات السابقة. لكن مقابل وحدة الحضارة الحديثة التي يتحكم فيها الغرب، هناك الثقافات المعروفة التي ذابت مساهماتها الحضارية السابقة في مصهر الحضارة الحديثة التي أصبحت ذات ملمح غربي، والتي أصبحت اليوم في وضعية دونية رغم إصرارها ومثابرتها ومعاناتها من أجل استدراك تأخرها التاريخي، ومن أجل اللحاق بركب تطور تاريخي يتزايد كل يوم تسارعا. وعندما نقول حضارة واحدة، فالمقصود أن هناك طريقة واحدة للتحليل الكيميائي للمادة، وقوانين فيزيائية واحدة، وتركيبا واحدا للخلية، وطريقة واحدة لصناعة الكمبيوتر، وأسلوبا واحدا لارتياد الفضاء. وبعبارة أخري، فالأساس الفلسفي لوحدة الحضارة هو وحده العلم نفسه. مقابل ذلك، نجد أن الثقافات العريقة دخلت في دينامية تنافسية جديدة قاتلة، ووجدت نفسها في وضعية تمزق بين ماضيها وحاضرها، بين صورتها المثالية عن ذاتها وواقعها الدوني، مما بيسر لها تطوير آليات دفاعية وتبريرية قوية.هذا التحدي طرح علي الثقافة المسيحية ذاتها، لأن الحضارة العلمية التقنية الحديثة لا تستثني أية ثقافة، فهي تضع كل الثقافات في وضعية حرجة ومحرجة، إما التكيف أو الأفول.الثقافة العربية الإسلامية، من حيث هي إحدي أقوي الثقافات العريقة، وجدت نفسها أمام هذا التحدي الكوني القاتل. في مرحلة أولي، أبرزت وطورت آليات توفيقية مع الحضارة الحديثة ككل، وركزت علي مساهمة الحضارة العربية الإسلامية في إنشاء الحضارة الغربية الحديثة، لا فقط بنقلها للتراث اليوناني والشرقي عامة، بل عبر مساهماتها الخاصة في الطب والفلك والرياضيات والكيمياء والفلسفة وغيرها. كما ركزت ـ بجانب إبراز أسبقية العرب ـ علي عدم التناقض بين الإسلام والعلم، وعلي عدم التناقض بين الثقافة العربية الكلاسيكية.لكن، في مرحلة ثانية، مع تلاحق الهزائم وخيبات الأمل والتعثرات في اللحاق بنقطة التطور المتحركة، دخلت الثقافة العربية الإسلامية في مرحلة رد فعل سلبي، وفي الارتداد إلي كنف الماضي دون أن تتوقف أو تتخلي عن مطمح اللحاق بالغرب، لكن مع غلبة آليات دفاعية ثقافية. ولعل الثقافات العريقة ذات الطابع التقليدي، ستجد نفسها اليوم، أمام تحد جديد قوي، يتمثل في أن مواكبة الحضارة التقنية الحديثة، تتطلب أيضا تطوير آلية للتحديث الثقافي والفكري، والخروج من دائرة رد الفعل السلبي تجاه الثقافة الحديثة.

محمد سبيلا

مفكر من المغرب



للفنان سيف وانلي: المرايا ـ

الديوان الصغير



ناظم بريشة الفنانة مها طلعت، مصر



ناظم بريشة الفنان هكتور، بولندا

ناظم حكمت
واليوم الأجمل
الذى لم يأت بعد...

طلعت الشايب

١٩٠٢ - ١٩٦٣



الأيام بذور . .

تنبت وتزدهر فى أكف أطفال العالم

١

العودة إلى ناظم حكمت ضرورة .هى احتياج دائم لا ينبغى أن يكون مرتبطا بذكرى ميلاد أو غياب ، فالشعراء الذين خرجوا من رحم الحياة ينشدون للناس وللحياة لا يغيبون. كلماتهم باقية على الجدران وفوق الأرصفة وفى الميادين كما هو باق عزفهم على الكمان للصامدين فى المعركة الأخيرة. العودة إلى ناظم حكمت وغيره من شعراء الكون ضرورة واحتياج ،ذلك لأننا لم نفقد الثقة فى المستقبل ولا فى اليوم الأجمل الذى لم يأت بعد. ولأن قصائد شعراء الإنسانية الذين أطلقوا أغنية الإنسان حمامة بيضاء فى فضاء العدل والحرية قادرة على طرح الأسئلة الكبرى وعلى تجميع كل أحزمة الضوء فى سبيل

واحـد، وعلى رؤية العدو المقترب ،وعلى أن تعطى كل مـا لديهـا ..عقلهـا وفكرهـا ،للحـرية العظيمة، حتى لا يتبقى وطن واحد أسيرا ولا إنسان واحد مستعبداً على وجه الأرض.

آغنيات ناظم حكمت تخرج إلى الهواء الطلق ، فهى لا تستطيع أن تظل حبيسة قلب وحيد ستائره مسدلة خلف باب الزمن ،وصوت مثل صوت ناظم حكمت لا يغيب ما دامت فى البحار أسماك تشرب القهوة بينما أطفال فى فلسطين والعراق وأفغانستان لا يجدون الحليب!.

هذا الشاعر الفذ الذى لم يكن يحب أن يتكلم عن فنه كثيرا ،أجبره بعض الأصدقاء ذات يوم على كتابة مقدمة لبعض أعماله فكتب:

«إن كاتب هذا الكتاب شاعر تركى عادى يعتز بأنه أعطى قلبه وعقله وقلمه وعمره كله لشعبه .من جهة أخرى فإن هذا الشاعر دأب بواسطة الشعر على تمجيد جميع نضالات كل الشعوب مهما كان اسمها وموقعها الجغرافى وقوميتها وعرقها فى سبيل الاستقلال القومى والعدالة الاجتماعية والسلم ،وقد اعتبر انتصارات هذه الشعوب انتصارات لشعبه هو، وهزائمها هزائم له ، كما اعتبر أفراحها وأتراحها أفراحا وأتراحا لشعبه بالذات(...) .إن جذور شعرى تضرب عميقا فى تراب وطنى ،غير أننى أردت أن أستطيل بأغصانه إلى كل الأراضى ..تلك الأراضى الواسعة دون حدود فى الشرق والغرب ،فى الشمال والجنوب ..إلى الحضارات التى شيدت فوق هذه الأراضى ..إلى عالمنا الكبير».

وهكذا كان يرى نظام حكمت فى المبدع الحقيقى صورة مصغرة للحياة ذاتها ببعديها الطبيعى والاجتماعى ،الأمر الذى جعله يحاول أن يبتكر فى شعره صورة جديدة لهذا العالم المفكك من حولنا، بإعادة تركيبه وإعطائه معنى جديدا انطلاقا من الواقعى ووفقا لرؤية وتجربة خاصة. وهكذا جاءت قصيدته ممارسة كيانية وأخلاقية ،ممارسة فى معرفة أغنى للعالم ،وفى كشف أوسع عن جمال الحياة ،وفى «تحويل الوجود إلى نشيد» كما يقول أدونيس.



جـاء ناظم حكمت المولود فى سـالونيكا (١٩٠٢/٢/٧) إلى الإبداع من عـائلة

أرستقراطية مثقفة ،كان جده ناظم باشا المولوى يكتب القصائد الدينية والتعليمية بلغة تركية بها قدر كبير من الكلمات العربية والفارسية، كما كان والده حكمت ناظم باشا قنصلا فى هامبورج ومديرا فى الخارجية التركية وواحدا من أبرز قيادات حزب الاتحاد والترقى ،وكانت أمه جليلة رسامة وقارئة جيدة ذات اطلاع واسع على الثقافة الفرنسية. يتذكر ناظم أنه كتب قصيدته الأولى فى استنبول وهو فى الثالثة عشرة من العمر ،كان حريق هائل قد شب فى المنزل المقابل لهم فتملكه الفزع ،وبعد أن تحول المنزل إلى رماد كتب قصيدة بعنوان «الحريق» ،جاء وزنها مطابقا لتلك الأصوات الباقية فى مسمعه من قراءة جده لأشعاره .قصيدته الثانية كانت وهو فى الرابعة عشرة تقريبا وكانت عن الحرب العالمية الأولى التى مات فيها خاله .بعدها جاءت قصيدته الثالثة وهو فى السادسة عشرة على الأغلب وكانت هذه المرة عن قطة أخته ،قرأها الشاعر التركى الكبير يحى كمال(كان صديقا لأمه) أستاذه فى مدرسة البحرية ، فطلب أن يرى تلك القطة الموصوفة فى القصيدة ،وبعدها تنبأ له بأنه سيكون شاعرا جيدا... ذلك لأنه استطاع أن يجمل «تلك القطة القذرة» ويجعلها تبدو رائعة فى قصيدته على عكس حقيقتها .وفى السابعة عشرة نشر ناظم أولى قصائده «عند أشجار السرو» التى صححها له الشاعر الكبير.

ترامى إلى سمعى أنين ينبعث من غابة السرو سألت نفسى : أيبكى أحد فى هذا المكان؟ أم أنها الريح.وحيدة تردد هنا ذكريات حب عتيق ؟ ظننا أن الموتى يضحكون ،حين تسدل فوق عيونهم الستارات .

السود ،أم ترى أن الموتى الذين أحبوا فى حياتهم ،ما زالوا بعد موتهم ينوحون مع أشجار السرو؟) .

ومع احتلال استنبول من قبل دول الوفاق ، توالت قصائده ضد الاحتلال مواكبة مع النضال فى الأناضول .درس ناظم لفترة قصيرة فى« ليسيه جالاتاسارى» فى استنبول ،ولفترة أخرى فى مدرسة البحرية التى تركها لاعتلال صحته .وفى الأناضول اكتشف أن بلاده كانت تخوض حربها ضد الجيوش اليونانية بخيول هزيلة وأسلحة عتيقة.«اكتشفت الأمة وحربها ،ذهلت ،خفت ،أحببت ،وأصبت بالدوار فأحسست بضرورة كتابة كل ذلك

بصورة مختلفة ولكننى لم أفعل ،فقد كنت لا أزال بحاجة إلى هزة عنيفة أخرى» .

عمل ناظم بالتدريس فترة من حياته فى« بولو» ،حيث جعله الاتصال المباشر بالشعب ،وبالفلاحين بخاصة ،وسماعه المباشر لما يحدث فى روسيا السوفيتية ،جعله يشعر بضرورة التعبير شعرا عن أشياء كثيرة مسكوت عنها، أشياء جديدة.

بدأ ناظم حكمت نشاطه السياسى عام ١٩١٨ مسئولا فى تحرير «المطرقة والمنجل» جريدة الحزب الشيوعى التركى الذى انضم إليه فى العشرينيات ، ودرس الاقتصاد والاجتماع فى جامعة موسكو (١٩٢١- ١٩٢٤) ،وبعد عودته وعمله بالكتابة حكم عليه بالسجن والنفى لكنه استطاع الهرب إلى موسكو ، وبعد أن عاد« سرا » هذه المرة فى عام ١٩٢٨ تم اعتقاله ولم يطلق سراحه إلا فى عفو عام سنة ١٩٣٥ ، ثم حكم عليه بالسجن مرة أخرى فى عام ١٩٣٨ لمدة ٢٨ عاما وأربعة أشهر لقيامه بنشاط معاد للنازية ولفرانكو قضى منها ١٢ عاما فى سجون مختلفة قبل أن يطلق سراحه على أثر موجة احتجاج عالمية وحملة واسعة للإفراج عنه نظمتها لجنة فى باريس كان من بين أعضائها بيكاسو وبول روبسون وسارتر .كانت التهمة المباشرة الموجهة إليه هى تحريض جنود البحرية التركية على التمرد عن طريق قصائده التى وجدوها معهم وبخاصة «ملحمة الشيخ بدر الدين» (نشرت عام ١٩٣٦) وهى عن فلاح ثائر على الحكم العثمانى فى القرن الخامس عشر.

وقد وصف صديقه «بابلو نيرودا» معاملة السلطات له بعد القبض عليه ومحاكمته وتعذيبه على سفينة حربية ،وكيف كان ناظم يقاوم ذلك كله بالغناء! نعم بالغناء ..فقد استطاع أن يقهر معذبيه بترديد أناشيد الجنود ومواويل الفلاحين كما يقول هو فى روايته «العيش شئ رائع يا عزيزى».

وفى السجن ،تعلم ناظم الرسم والنسج وحفر الخشب وأخذت قصائده التى كان يتم تهريبها طابع المباشرة والتحريض مع تفاؤل لا حدود له .فى رسالة إلى زوجته من السجن يقول إنه فى الأيام الأولى لم يكن يعرف شيئا عن الذين يشاركونه السجن، لم يكن مسموحا له بالكلام مع أحد.. كان يكلم نفسه وعندما يكتشف أنها ثرثرة ذاتية

فارغة..يتحول إلى الغناء ،وبعد وقت قصير تحول السجن إلى ساحة عمل وإبداع ،فقد «حول صموده وحبه للحياة السجناء والسجانين من حوله إلى أصدقاء» كما يقول «سارتر» .كانت قصائده تهرب من سجن «بروصة» لتنشر فى أنحاء بلاده (سرا) ومنها إلى العالم الواسع بعد أن خصص لها الشاعر «أراجون» زاوية بارزة فى مجلة «ليتراتيرفرانسيز» .أما عن فترة السجن الثانية فى حياة «ناظم» والتى امتدت اثنى عشر عاما متصلة ،فيقول : بمقدار ما كانت سنوات سجنه مريرة كانت مبدعة، كان يفهم أنه حتى بعد اندحار الفاشية فى الحرب العالمية الثانية أن فاشية جديدة ستظهر ، وأن سجنه سيطول. إنه يوصى بالعمل من داخل السجن ورغم المرض والأبواب الحديدية والجو الرصاصى الثقيل الذى يطالعه من النافذة ،والحر الشديد الخانق فى الصيف ومرض ابنه «محمد» بالسل والتواطؤ على قتله بيد بعض السجناء ،فقد ظل متفائلاً محبا للحياة. مهتما بكل ما يدور من حوله فى السجون التركية وما يدور خارجها فى وطنه والعالم ،يكتب ويترجم وينظم الشعر ويساعد زملاءه السجناء وزوجته ووالديها ويناضل عبر ظروف صعبة ومعقدة ضد الظلم الواقع عليه وضد عدالة خاطئة ،وضد كل ما يشوه الحياة ويجعلها تعيسة إلى حد مريع» .وفى السجن دخل فى إضراب عن الطعام امتد ١٨ يوما بالرغم من إصابته بأزمة قلبية حادة ،وبعد الإفراج عنه فى عام ١٩٥٠ هرب فى قارب صغير خوفا من محاولة اغتياله.

تتذكره «سيمون دوبوفوار» فتقول :«روى لى ناظم أنه بعد عام من الإفراج عنه كانت هناك محاولتان لقتله بسيارة فى شوارع استنبول الضيقة ،وبعدها حاولوا ارساله لاداء الخدمة العسكرية الاجبارية على الحدود الروسية بالرغم من انه كان فى الخمسين من العمر ، لكن الطبيب الذى فحصه وقال له إنه يمكن أن يموت بعد نصف ساعة فى الشمس ، أعطاه شهادة إعفاء طبى.

هرب ناظم عبر البسفور فى ليلة عاصفة قاصدا بلغاريا حيث التقطته سفينة شحن رومانية .وفى كابينة الضباط وجد نفسه أمام مفارقة ساخرة ... ملصق كبير عليه صورته وتحتها عبارة «انقذوا ناظم حكمت» .والمضحك المبكى- كما يقول- هو أنه كان قد أطلق سراحه قبل عام. وفى الخامس والعشرين من يوليو ١٩٥١ أسقطت عنه الجنسية وعاش حتى آخر العمر بين صوفيا ووارسو وأخيرا موسكو، وبالرغم من اصابته بأزمة قلبية حادة

للمرة الثانية فى ١٩٥٢ إلا أنه كان كثير الأسفار «حاملا أحلامه معه» .ذهب إلى روما وباريس وهافانا وبكين والقاهرة وغيرها .. «الأمريكيون فقط هم الذين لم يعطونى تأشيرة دخول» .«كنت مسحورا بالناس على الدوام» .«اخوتى ..لا تنظروا إلى شعرى الأشقر ..فأنا آسيوى .لا تنظروا إلى عينى الزرقاوين ..فأنا أفريقى .الأشجار عندنا لا تظلل جذوعها تماما كما هى حالها عندكم ..كسرة الخبز فى بلادى عالقة بين شدقى الأسد ،عند المناهل تنام الغيلان ..يأتى الموت قبل بلوغ الخمسين فى بلادى أنا ، تماما كما يفعل عندكم» .وهكذا بقى ناظم حكمت حتى آخر يوم فى حياته محبا للإنسان وللحياة ،مليئا بالأمل والتفاؤل ،لم تستطع قضبان السجون الصدئة أن تمنعه من رؤية أبعد نجم فى السماء .«أحب وطن إلى هو الأرض.. حين يأتى أجلى ..غطونى بسطح الأرض».

إلى جانب الشعر ،كتب ناظم حكمت المسرحية والرواية والقصة والنادرة الطريفة والرسائل .فى المسرح سار على نهج برخت فى المسرح الملحمى منذ مسرحيته الأولى« الجمجمة» (١٩٣٢) ،وفى العام نفسه أصدر «منزل رجل ميت» التى ركز فيها على جشع ونفاق أسرة من الطبقة المتوسطة . بعد ذلك وتوالت أعماله المسرحية: «آدم المنسى» -١٩٣٥ ، «فرهاد وشيرين» -١٩٦٥ «سبحات» و«البقرة» -١٩٦٥ ، «بجوار المدفأة» و«المسافر» ١٩٦٦ ، يوسف ومينوفيس ١٩٦٧ وله فى الرواية «سيف ديموقليس» ١٩٥٩ - و«الدم لا يقول ١٩٦٥ و«العيش شئ رائع يا عزيزى» ١٩٦٧ وهى الرواية التى كان قد فرغ من كتابتها قبيل وفاته فى ١٩٦٣ و«جاءت ناطقة باسمه تترجم حياته وتحكى خصوصيات كان قد أخفاها حتى عن المقربين والأصدقاء.. ولتتحدث عن كفاحه السياسى وتضاريس حياته ..عن فرحه وحزنه» «كان ناظم قد أسرّ بفكرة الرواية لصديقة الرسام الباريسى -التركى الأصل «عابدين دينو» ثم حمل المسودة معه إلى باريس بعد أن وضع لها عنوانا : «أى المرافئ تعبر هذه السفينة بآلاف الأشرعة» ،وعند قراءة النص من قبل الأصدقاء الباريسيين أقروا بأن العنوان طويل وأن هناك فراغات لابد من امتلائها من قبل المؤلف نفسه ،وفى ربيع ١٩٦٣ ،أى قبل وفاته بشهور أرسل النص منقما إلى باريس واضعا له عنوانا جديدا « العيش شئ رائع يا عزيزى».

ولناظم أعمال فى القصص والنوادر منها: «الكلب ينبح والقافلة تسير» -١٩٦٥ -و«سحابة حزينة» ١٩٦٣ وعدد كبير من الرسائل التى نشرت بعنوان «رسائل من السجن

إلى كمال طاهر» ١٩٦٨ و«ابنى «حياتى «طفلى محمد» ١٩٦٨«و رسائل إلى أسرة فالانور الدين» ١٩٧٠.

٣

قبل وفاته بعامين، كتب ناظم حكمت فى الحادى عشر من سبتمبر ١٩٦١ وفى برلين «الشرقية آنذاك» قصيدة بعنوان «سيرة ذاتية» تنتهى بعبارات تقول «خلاصة الكلام أيها الرفاق ..هى حتى لو كنت اليوم سأموت غما فى برلين ، فاننى أستطيع أن أقول بأننى عشت إنسانا ، أما كم سأعيش «وماذا ينتظرنى بعد، فلا أحد يعرف» «وقبل الوفاة بفترة قصيرة كتب (فى ١٩٦٢) قصيدة بعنوان «مراسيم جنازتى» «وفى السابع من مارس فى العام نفسه «توقف قلب الشاعر الإنسان« تلك التفاحة الحمراء» على أثر أزمة قلبية ثالثة «لم تودعه نافذة المطبخ بنظراتها ولم ترفع الشرفة الغسيل المنشور قليلاً حتى يمر جثمانه . دفن ناظم حكمت فى« موسكو» وتصاعدت الحملة التى كان يقودها شقيقه فى تركيا لإعادة الاعتبار والجنسية إليه ، واستعادة رفاته لكى يضم تراب قرية صغيرة من قرى الأناضول جسد شاعر إنسان عاش الحياة نضالا وشعرا ولم يعشها نزوة عابرة «بكاه الفقراء والشرفاء والمناضلون فى أربعة أركان المعمورة «ورثاه صلاح جاهين فى قصيدته الشهيرة «بكائية إلى ناظم حكمت » :

مت متأثر بجرحك القديم؟.

بعدما قلنا خلاص،

عم ناظم طاب وقاعد فى الجنينه

يقرا فى الجرنال «ويكتب جوابات...

قالوا : مات

مش خلاص كنا انتهينا؟.

مش مسحنا مطرح القضبان بتبسيمة عينينا..

مش دواك جبناه م الهند ، م الصين واليابان

من بلاد التلج «من باندونج وجزيرة سيلان

من هنا فى القاهرة؟.

مش صحيت ومشيت وجيت طليت علينا؟.

من سنة ومش جيت وطليت ع الغيطان

ولقيتها بين إيدين الفلاحين؟.

من سنة ،مش جيت وطليت ع المصانع

ولقيتها بين إيدين العاملين؟.

من سنة، مش جيت ودورت هنا

ع الولد اللى فـ قصيدتك «بورسعيد»

قلبه كان تفاحه خضرا ومات شهيد

مش لقيته من جديد؟.

ولقيت قلبه حديد؟.

ولقيت شعرك على لسانه نشيد؟.

ولقيت شعرك بيتجسد على مر الزمان؟.

ليه تموت ياعم ناظم،

قبل ما «أزمير» تغنى لك كمان؟.

كنت عشت.

ذهب الشاعر، وعاشت قصيدته .. روحه .. التى نعود إليها لإعادة حرث الأرض مرة أخرى لكى تعود الطيور للشدو والأطفال للفرح و«الغيطان للفلاحين» و«المصانع لأيدى العاملين».

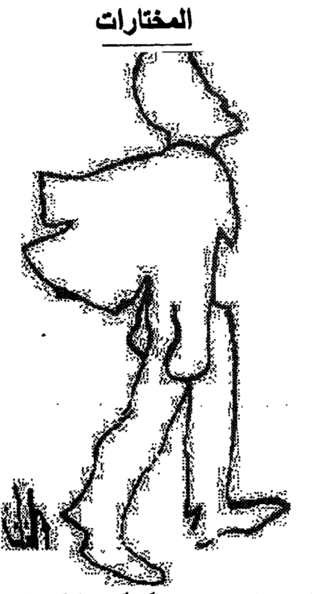
و«ياعم ناظم».

يا من آمنت بأن الأيام بذور سوف تنبت وتزدهر فى أكف أجمل الأطفال الذين لم يولدوا بعد، فى اليوم الأجمل الذى لم يأت بعد، ما أروع أن نفكر بك عبر ضوضاء الموت وفوضى الحياة وغطرسة القوة وعولمة الاستغلال وعبث السنوات الأولى من القرن الواحد والعشرين.

ط. ش



المختارات



خطوات ناظم بريشة رسام الكاريكاتور التركي: فانو علي

ديوان ناظم حكمت
ترجمة

* فاضل لقمان
* واكيم استور
* نزيه الشوفى
* طلعت الشايب

قصائد ليلة ٩/١٠

(١)

أجمل البحار

ذلك الذى لم يزره أحد بعد،

أجمل الأطفال :

ذلك الذى لم يكبر بعد،

أجمل أيامنا :

تلك التى لم نعشها بعد.

أحلى الكلمات التى وددت قولها لك:

هى تلك التى لم أقلها بعد.

(٢)

تهـــاويت على الأرض ورحت أتـأمل التراب،

أحدق فى الأعشاب

أمعن النظر فى الحشرات،

أنظر إلى الأغصان المكسوة بالأزاهير الزاهية

أنظر إليك يا حبيبتى

يا من تشبهين الأرض الربيعية

مستلقيا على ظهرى أرقب صفحة السماء

أتأمل أغصان الشجر

أتابع أسراب البجع الطائرة

أراك أنت ،حبيبتى

يا من تشبهين صفحة السماء الربيعية

مشعلا نارا فى البرارى ليلا ،

ألامس النار،

ألامس الماء

ألامس القماش الحرير

ألامس الفضة

ألامسك أنت حبيبتى

يا من تشبهين النار المتقدة تحت النجوم

أنا محاط بالناس ،إننى أحبهم

أحب الحركة ،أحب الفكر ، أحب نضالى

أحبك أنت يا حبيبتى

فأنت إنسان فى قلب نضالى..

(٣)

الساعة ٢١

صفير البوق غمر الساحة

هاقد أوصدت أبواب المهاجع

طالت مـــرة الســـجن هذه المرة.. ٨ سنوات!.

الحياة مفعمة بالأمل يا حبيبتى

الحياة مسألة بالغة الجدية مثل حبى لك.

(٤)

جميل أن أفكر بك

ذلك يبعث على الأمل

إنه أشبه بسماع أجمل الأغنيات

يصدح بها أجمل الأصوات فى الدنيا
غير أن الآمل وحده لم يعد يكفينى
حرفتى أن أنشد الأغانى
لا أن أبقى أستمع إليها فقط.

(٥)

قلما أحزن على ما فات
-باستثناء تلك الليلة الصيفية
فحتى آخر ومضات عينى الزرقاوين
تحمل إليك بشرى الأيام المقبلة

(٦)

«الخلية ملأى بالعسل»

أعنى: عيناك مغمورتان بالشمس
عـيناك يا حـبـيـبـتى ،عـيناك غـدا ستصبحان ترابا
فى حين سـيبقى العسل مستمرا يملأ أعدادا جديدة من الخلايا

(٧)

أمنا الطبيعة ستعلن ساعة الانصراف ذات يوم
قـائلة:«لقـد انتـهى الضـحك والبكاء يا ولدى»
وستعاود الحياة التى لا ترى .ولا تتكلم .ولا تفكر.. دورتها اللامحدودة.

(٨)

حبى لك حبيبتى
يثير فى أعماقى سعادة،
مـثل سـعـادة التنفس العـميق فى غـابة الصنوبر
مـثل سعـادة غرس الأسنان فى تفاحـة مكتنزة تكاد تنفجر ،
فى يوم شتوى شفاف كبلور ناصـع ..لا خدش فيه!!.

ترجمة فاضل لقمان

*** ذبحة صدرية**

إذا كان نصف قلبى هنا أيها الطبيب
فنصفه الآخر هناك فى الصين..
مع الجيش الزاحف نحو النهر الأصفر،
وكل صباح أيها الطبيب
كل صباح ..عند شروق الشمس
يعدمون قلبى فى اليونان
وفى كل ليلة أيها الطبيب
عندمـا ينام السجناء ، ويغادر الجـمـيع المستشفى
يطير قلبى
ليحط على منزل مهدم فى «أستنبول»
وبعد عشر سنوات

ليس لدى ما أقدمه لشعبى الفقير
سوى هذه التفاحة
تفاحة واحدة حمراء هى قلبى
هذا هو سبب الذبحة الصدرية أيها الطبيب،
ليس النيكوتين وليس السجن .وليس تصلب الشرايين.
فى الليل ، أحدق عبر القضبان..
ورغم الثقل الذى يطبق على صدرى
إلا آنه ما زال ينبض
مع النجوم البعيدة ..البعيدة..
ترجمة: ط. ش

رباعية

مادمت تحب،
ويقدرما تحب،
وما دمت مستمرا فى تقديم كل شئ لمن تحب،
وعلى قدر عطائك ..أنت شاب!.

ترجمة: ط. ش

*** بورسعيد**

هناك لاتحصى السفن
هناك تدنو الشمس، دون سحب
فى بورسعيد ،كان «منصور» يطوف الشوارع
يكسب العيش بمسح الأحذية..
حافى القدمين ،ورأسه حليق،
عمره عشر سنين
منصور النحيل الأسمر
كنواة البلح
ساحر الصوت ، ينشد دوما دون انقطاع
تراتيل لم تبرح فمه: «ليل ياعين»
أشعلوا النيران لتشتعل بورسعيد..
مات منصور فيها ،ورأيت اليوم وجهه
كان فى صحيفة .وسط الموتى .صغيرا..
مستدق الصغر ..«ليل يا عين ..كنواة البلح».

ترجمة: نزيه الشوفى

*** التفاؤل**

أكتب أشعارا
لاتصل إلى المطبعة ،ولكنها ستطبع
أنتظر رسالة تحمل بشرى
قد تصل يوم وفاتى .ولكن وصولها مؤكد
سيغدو العالم تحت إمره الإنسان،

دونما نفوذ للدولة أو للمال
ربما بعد مائة عام.. لابأس
ولكن ذلك سيتحقق دون ريب
ترجمة : ف. ل

*** حلم إبراهيم**
رأيت حبيبتى فى الحلم
رأيتـهـا عـارية الصـدر تسـيـر وسط السحب
مثل القمر
أقف ، تقف .أنظر إليها ،تنظر إلىّ
الدموع تنثـال قطرة قطرة ،على أسـلاك الهاتف
سلك الهاتف يعنى نبأ
والدموع تعنى الفرح
وابراهيم على اسـتـعـداد لأن ينام فى السجن
عشر سنوات أخرى
شريطة أن يكون حلمه حاملا لبشرى!.
ترجمة ط.ش

نصائح إلى مرشحى السجون
إذا ما كفوا عن تعليقك على المشنقة
لأنك لم تيأس من العالم
ومن وطنك ومن الإنسان،
واكتفوا بالقائك فى غياهب السجون
فإنك ستنام هناك عشرا من السنين
بل خمس عشرة سنة إضافة إلى المدة
التى ستقضيها بعد،
دون أن تقول:
«ليتنى لحت معلقا بطرف حبل
مثل راية ترفرف»
إنك ستبقى مصرا على الحياة بعناد
قد لا تكون الحياة مليئة بالفرح بعد،
غير أنها دين بذمتك
أن تعيش يوما إضافيا
كيدا للعدو
واجب عليك .
قد تبقى فى أعماق السجن وحيدا
متكئا على أحد جنبيك
كما لو كنت صخرة فى أعماق بئر،
ولكن على جنبك الآخر
أن يندمج بزحمة الحياة الصاخبة
حتى ترتجف مستجيبا لأبسط حركة
تحدثها ورقة ذابلة.
عـــذب أن تنتظر الرســـائل وأنت فى الداخل
أن تنشد الأغانى العاطفية
أن يطلع الصبح وأنت مثبت ناظريك

على السقف ،

ذلك عذب، ولكنه محفوف بالأخطار

انظر إلى وجهك بعد كل حلاقة

آنس عمرك

احترس من القمل

ومن نسمات آمسيات الربيع الباردة

آحرص آيضا

على تناول حصتك من الخبز حتى اللقمة الآخيرة،

واحذر من نسيان الضحك ملء الفم...

فمن يدرى؟.

قد تقلع المرأة التى تحبها عن حبك

لا تستهن بالأمر!

فتلك مسألة جادة تحدث لدى السجين

شعورا كما لو أن غصنا أخضر قد قصف.

سئ أن تحلم بالورود والبساتين وأنت فى الداخل

جيد أن تحلم بالغابات والبحار الصاخبة.

آوصيك بالقراءة والكتابة على الدوام

إضافة إلى تعلم الحياكة ،وصب المرايا

ليس مستحيلا أن تقضى فى السجن

عشرا من السنين ،خمس عشرة وأكثر،

ذلك ممكن ..شريطة ألا تسودّ تلك الجوهرة

النائمة تحت ثديك الأيسر!

ترجمة : ف. ل

*** أسد فى قفص حديدى**

انظر إلى الأسد فى القفص الحديدى

حدق فى عينيه عميقا:

مثل خنجرين من الصلب العارى

تلمعان بالغضب

لكنه لا يفقد كبرياءه

رغم أن الغضب ينتابه ويزول عنه

يزول عنه وينتابه!.

لن تجد مكانا لطوق

تضعه حول رقبته الغليظة

التى يكسوها الشعر

رغم أن آثار السوط

مازالت تلهب ظهره الأصفر

إلا أن أرجله ممتدة

وتنتهى على شكل مخالب نحاسية

وخصلات لبدته تنتصب شعرة شعرة

فوق رأسه المختال

الغضب ينتابه ويزول عنه،

يزول عنه وينتابه،

وطيف أخى على جدار الزنزانة

يظهر ويختفى..

يظهر ويختفى..!

ترجمة : ط.ش

* اليوم «الأحد»

اليوم الأحد

اليـــوم، ولأول مـــرة ، أخـــرجـــونى إلى الشمس

ولأول مـــرة فى حـــيـــاتى ، نظرت إلى الشمس:

أذهلنى أنها بعيدة هكذا،

زرقاء هكذا

شاسعة هكذا!

وقفت ساكنا

ثم جلست بـخـــشـــوع على الأرض السمراء

أسندت ظهرى إلى الجدار..

الآن... لا أفكر فى الموت..

لا أفكر فى الحرية .. ولا فى زوجتى

أنا والشمس والأرض..

ما أسعدنى !.

- ترجمة : ط. ش

* الكلام

يتعفن الكلام فى الفضاء.

إذا لم يكن مأخوذا من التراب،

إذا لم يكن موغلا فى أعماق التراب،فى

إذا لم يكن مادا جذورا قوية فى التراب!

ترجمة: ف. ل.

* قصائد صغيرة

عزيزى كمال،

لقد شجعنى كل ما تقوله عن قصائدى الصغيرة .إنها لم تعجب «رشيد» فانتقدها ،إنما بطريقة المديح قائلا إنها لا تليق بى. لكن، فى هذا المجال أنا أعتمد عليك وعلى «بيرايه» وهذا يأخذ منى ساعة واحدة ،لذلك فأنا لا ألحق الضرر بأى إنسان، فهذه الساعة الصغيرة أستطيع أن أحتفظ بها لنفسى (.....) والآن إليك بعض العينات من القصائد الصغيرة من الساعة ٢١ إلى الساعة ٢٢:

(١) ٢٦ أيلول ١٩٤٥

لقد جعلوا منا أسرى

لقد رمونا فى السجن:

أنا من هذه الجهة من الجدران

وأنت من تلك

مايحدث لنا ليس خطيرا إلى هذا الحد

الأسوأ بالنسبة للإنسان

هو أن يحمل السجن فى داخله

بوعى أو دون وعى
هاهنا سقط أغلب الناس،
أناس شرفاء مجدون وطيبون،
ويستحقون أن نحبهم كما أحبك

(٢) ٣٠ أيلول ١٩٤٥

ما أجمل أن أفكر بك،
إنه شئ ملئ بالأمل
كمن يضغى إلى أحلى الأغنيات
ينشدها أحلى الأصوات فى الدنيا
لكن الأمل لم يعد يكفينى،
فأنا لم أعد أريد سماع الأغنيات،
أريد أن أغنيها بنفسى

(٣) ٢ تشرين الأول ١٩٤٥:

الهواء يجرى ويغيب
والنسمة نفسها لاتحرك أبدا غصن الكرز نفسه
والعصافير تزقزق على الشجرة:
الأجنحة تريد أن تطير
الباب موصد: نريد أن نقتحمه ونفتحه
وأنا إنما أريدك أنت:
لتكن الحياة جميلة مثلك،
وصديقة مثلك،
وحبيبة مثلك

أعرف جيدا بأنه لم ينته بعد
عيد الشقاء هذا
لكنه سينتهى يوما..
حلمت بك هذه الليلة:
كنت جالسة على ركبتى .
رفعت رأسك وأدرت نحوى عينيك الواسعتين من ذهب.
وكنت تطرحين على الأسئلة
شفتاك الرطبتان تنفتحان وتنغلقان
لكننى لا أسمع صوتك
وفى الليل ، فى مكان ما، مثل نبأ مضئ
تدق الساعة.
أنا أسمع فى الهواء ضجيج اللانهاية
ضجيج الخلود
وفى قفصه الأحمر صوت «ميمو» كنارى
وقرقعة البذور التى تشق التراب
وترتفع فى حقل محروث
وضجيج جمهور، قوى بحقه ،مظفر
شفتاك الرطبتان تنفتحان ،وتنغلقان دون انقطاع،
لكنى لا أسمع صوتك
لقد أفقت غاضبا،
كنت قد نمت على كتابى
وأتساءل ،كل هذه الأصوات ..هل كانت

صوتك؟.

ترجمة: واكيم استور

*** خائن الوطن**

«لا يزال ناظم حكمت مصرا على خيانة الوطن،

فقد قال : أصبحنا شبه مستعمرة للإمبريالية الأمريكية»

هذا هو ما نشرته إحدى صحف أنقره على ثلاثة أعمدة

بأحرف سوداء ..سوداء صارخة!.

فى إحدى صحف أنقره بجانب صورة الأدميرال «وليمسون» وهو يضحك ،محتلا مساحة ٦٦ سنتيمترا مربعا ضحكة عريضة

أوصلت فم هذا الأدميرال إلى أذنيه.

الميزانية الأمريكية منحتنا ١٢٠ مليون ليرة هبة ١٢٠ مليون!

قال «حكمت» :نحن شبه مستعمرة أمريكية

نعم ! أنا خائن للوطن إذا كنتم أنتم الوطنيين

وإذا كنتم أنتم من محبى الوطن..

فأنا خائن لهذا الوطن!

إذا كان الوطن يعنى : مزارعكم

إذا كان الوطن يعنى : ما بداخل صناديقكم المقفلة.

وما فى دفاتر شيكاتكم

إذا كان الوطن يعنى: الموت على الأرصفة جوعا،

إذا كان الوطن يعنى : ارتجافا من البرد شتاء، وموتا بالملاريا فى الصيف،

رذا كان الوطن يعنى : أن تشرب دماؤنا القانية فى لمعامل.

إذا كان الوطن يعنى: مخلبا بأيدى الأغوات،

إذا كان الوطن يعنى : كتابا أصفر وكرباجا بيد البوليس،

إذا كان الوطن يعنى: قواعد أمريكية ،قنبلة أمريكية ،أسطولا أمريكيا ومدافع،

إذا كان الوطن لا يزال يرزح تحت كابوس ظلامكم العفن ،

فأنا خائن لمثل هذا الوطن.

هيا اكتبوا المانشتيات السوداء

واملأوا الصحف الصفراء فناظم حكمت

لا يزال مصرا ،كل الإصرار،

على خيانة هكذا وطن!.

ترجمة : ف. ل




برعت الفنانة جليلة خانوم في رسم البورتريهات والصورتان لإبن أخيها وأمها

المصادر:

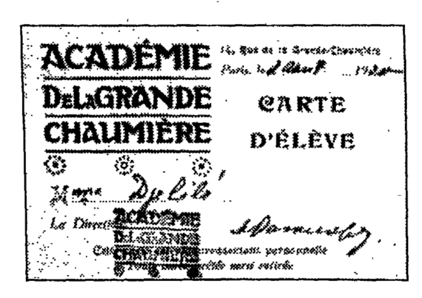
١- مجموعة الأعمال الشعرية الكاملة لناظم حكمت ترجمة فاضل لقمان(دار الفارابى -الجزء الأول(١٩٨٧)-الجزء الثانى(١٩٨١) -الجزء الثالث (١٩٨١)-الجزء الرابع (١٩٨٧)-الجزء الخامس(١٩٨٧) -الجزء السادس(١٩٨٧).

٢- رسائل من ناظم حكمت -ترجمة واكيم استور -منشورات وزارة الثقافة السورية -١٩٩٥.

٣-العيش شئ رائع يا عزيزى- رواية ناظم حكمت -ترجمة نزيه الشوفى.
دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع -بيروت- ١٩٨٩.

٤- ناظم حكمت :السجن ،المرأة ،الحياة -حنا مينا -دار الأداب- ١٩٧٨.

٥- «ناظم حكمت» : أشعار تسهر على الإنسان -جابر المعايرجى -أدب ونقد -يوليو ١٩٩٠.



بطاقة عمرها أكثر من ٨٠ عامًا حملت اسم (الطالبة) جليلة!

جليلة خانوم أم ناظم حكمت رائدة الفن التشكيلي في تركيا

* أشرف أبو اليزيد

كرست جليلة خانوم حبها لابنها الشاعر ناظم حكمت، وكانت سنده في أكثر من مناسبة، وهو شاب غض، أو حينما بادرته الحياة بمصاعبها بسبب آرائه وأشعاره، وخاصة أنها انفصلت عن والد ناظم في سن صغيرة. ولا شك أن تمرد الشاعر التركي المعروف كان يستمد عنفوانه من أمه.

فخلال سنوات سجنه في مدينة بورصة التركية، ولكي تكون إلى جواره، استأجرت جليلة بيتا قريبا من السجن. وكان من بين مواقفها الأشهر للدفاع عن ابنها حين علقت لافتة على جسر (غلطة) تعلن دعوتها لجمع توقيعات لدعم ناظم حكمت الشاعر السجين، وكان قد بدأ إضرابه عن الطعام. أثارت دعوتها الكثيرين، وسدت الجماهير الطريق فوق الجسر. وحين ظهرت الشرطة، وأخذت جليلة للسؤال عن مدى تورطها في المظاهرة، وعمن وضع اللافتة لها فوق الجسر، أجابت بأن التوقيع على اللافتة يقول: جليلة الرسامة.

البدايات: اكاديمية فنون نسوية!

تعد الفترة الواقعة بين العام ١٩٠٨، والعام ١٩٢٣ وهي ما سميت بمرحلة الدستور الثانية أحد أهم الفترات في تاريخ تركيا وتحولها إلى النموذج الغربي وهي المرحلة التي شهدت ظهور الحركة الفنية النسوية في تركيا. ففي العام ١٩١٤ أنشئت أكاديمية الفنون الجميلة النسائية والتي استمرت حتى العام ١٩٢٦ (وكانت في مقابل ما يسمى أكاديمية الفنون الجميلة للرجال) وارتبطت حركة الفن النسوية في تركيا باسم الفنانة ميهري خانوم، مديرة الأكاديمية. وكان للأكاديمية الدور الأكبر للمشاركة النسوية في معارض غلطة سراي للفنون طوال العشرينيات من ذلك القرن وبعدها. ولم يعد دور المرأة في الفن أن تكون مجرد موديل للوحة بل ساهمت في مسيرة الفن ذاتها، الأمر الذي كان له الدور الأكبر في صياغة الحياة الثقافية المعاصرة.

كانت جليلة خانوم إحدى عضوات الرعيل الأول من جيل الفنانات، وكان لها بشكل أو آخر الخلفية الثقافية نفسها التي تميز بها جيلها المولود في ثمانينيات القرن التاسع عشر. فكان التعليم الذي نالته لا يمنح إلا لعلية القوم، من العائلات الثرية والمتعلمة. ورغم كل ما أحاط هذه الأجيال من تميز، إلا أن الصعوبات التي واجهتهن، كفنانات، كانت كبيرة من أجل بناء جسور بين مسعاهن الفني والضغوط العائلية. ولم يكن الأمر سهلا للكثيرات منهن للتوفيق بين هذه الظروف.

الجذور: ألمانية بولندية!!

ولدت جليلة خانوم بمدينة استانبول في نهاية العام ١٨٨٣، من عائلة لها أصول ألمانية بولندية، وعمل والدها إنفر باشا بقصر السلطان عبد الحميد الثاني، وهو ابن مصطفى جلال الدين باشا، أحد اللاجئين إلى تركيا خلال الثورة البولندية، وقد اعتنق الإسلام، ورحل بطلا في جيوش الإمبراطورية العثمانية. قسطنطين بورزنسكي (اسمه في السابق) وصل استنبول طفلا، في العام ١٨٤٨، بعد أن هرب من بلاده بسبب ما لاقاه من تعذيب، قفز الصبي من على ظهر سفينة تعبر البوسفور وسبح حتى شاطيء المدينة، وكان أن تعهدد علي باشا كبير الوزراء آنذاك، بسبب ذكائه الفطري ووسامته، ورتب لتحوله إلى الإسلام ليحمل اسم مصطفى جلال الدين. وبعد أن أتم الشاب دراسته المتوسطة، دفع به إلى المدرسة الإمبراطورية للهندسة، وهناك أعجب به مدير المدرسة عمر باشا، فقربه إليه وزوّجه ابنته صديقة. ورزق الزوجان بابن سمياه إنفر، وهو والد جليلة.

وبالإضافة إلى معرفته باللغات الأجنبية، كان جلال الدين باشا رساما موهوبا وخطاطا بارعا، لذا لم يكن مدهشا أن ترث حفيدته تلك المواهب الفنية.أما أم جليلة، ليلى خانوم، فهي ابنة المارشال محمد علي باشا، وهو أحد من لجأوا إلى تركيا من أصول ألمانية.

أمضى إنفر باشا فترة شبابه في باريس، وعرف لغات عدة، لذا كان تأثيره في تعليم ابنته واضحا ، فدرست فن الرقص وتعلمت العزف على البيانو، وفي سن صغيرة تعلمت اللغتين الألمانية والفرنسية، حتى صارت الفرنسية لسانها الطلق في التواصل مع أصدقائها من الجاليات غير التركية في استانبول. ولم تكد تبلغ سن المراهقة حتى كانت أفكارها وسيلتها للتعبير عن نفسها بتميز. ومنحتها الشجاعة عقل متفتح وشخصية أحسنت تكوينها مما دفعها لتكون صوتا قويا ضد تميز الرجل وسطوته، في وقت كانت فيه أفكار النسوية وصراعاتها لا تزال في المهد.

وقد خصص إنفر باشا لابنته مدرسين خصوصيين، وبفضل خدمته في القصر، أصبح من الأصدقاء المقربين لفنان إيطالي بوهيمي، هو فاوستو زونارو، الذي أقام في القصر السلطاني خلال وجوده في استنبول. وبفضل تلك العلاقة بينهما، كان من السهل لإنفر باشا أن يرتب لابنته سلسلة من الدروس الخاصة على يد الرسام الامبراطوري. وهو ما ساعدها في حياتها الفنية، إلى جانب دراستها الأكاديمية في روما وباريس.

غرام جليلة الجميلة!

ولم يكن الذكاء فضيلة جليلة الوحيدة بل جمالها الأخاذ والنادر. رآها حكمت بيك في أحد حفلات الزفاف فوقع في غرامها منذ النظرة الأولى وتزوجا، ثم انتقلت للعيش مع أسرته في مدينة حلب، وكانت جليلة مضرب الجمال هناك حتى أن نسوة حلب كن يتحسسن بشرتها كلما رأينها للتأكد من أنها حقيقية! لكن زواج جليلة من حكمت بيك لم يدم طويلا، فكان الطلاق، وفي سن الأربعين انطلقت إلى باريس.

كان توقيع جليلة مفردا بالحروف اللاتينية غالبا والعربية نادرا يذيل لوحات الرسامة، إلا أنها اختارت لقب أوغارالديم بعد قبول قانون ١٩٣٤ الذي يسمح للأتراك باتخاذ ألقاب. وحين أخذ ناظم إلى المستشفى لإسعافه عقب إضرابه عن الطعام، لم تستخدم جليلة اسم حكمت بيك مما يدل باعتزازها بنفسها كرسامة مستقلة بشخصيتها واسمها عن الجميع.
في استنبول نالت جليلة خانوم شهرة واسعة بسبب جمالها الأخاذ خلال بواكير العشرينيات من القرن الماضي، وقد تزوجت من حكمت بك، ابن ناظم باشا أحد أفضل حكام المقاطعات في ذلك الحين، كما كان معروفا بالمثل كشاعر يكتب قصائد غامضة، وقد خدم حكمت بك في مناصب هامة (عمل قنصلا في ألمانيا، و مديرا للصحافة والمطبوعات ورئيسا البروتوكول) لكن زواجهما انتهى في نهاية سنوات الحرب العالمية الأولى وانتقلت جليلة هانم بعد ذلك إلى برلين، وكانت إقامتها بها آنذاك أكثر فترات حياتها الفنية خصوبة.

وفي برلين أغرم يحيى كمال باشا بجليلة خانوم لكن علاقتهما انتهت في العام ١٩١٧، ضحية للشائعات التي أحاطت بهما. وطغت على يحيى كمال مشاعر الرفض حتى أنه حاول الانتحار بتناول السم حينها.



بورتريه عائشة الحفيدة بريشة جليلة

ويقول الكاتب محمود فؤاد مؤرخا إن العاشق كتب لجليلة هانم قصائد عنونها: التوحد مع المعشوق .. تعالي معي ... الربيع في ارينكويو.. رسالة قديمة .... وانتهت الشائعات حينما قطعت جليلة كل أنشطتها في ألمانيا وسافرت إلى باريس لاستكمال رحلتها الفنية. ولدراسة الرسم على أصوله الأكاديمية، وهناك استحوذت دراسة الجسد الأنثوي العاري، حتى أنها استأجرت حماما خاصا في العاصمة الفرنسية لترسم ما شاء لها.

رسامة الجسد الأنثوي!

عندما عادت جليلة إلى تركيا ظلت تمارس فنها الأثير الرسم، مخصصة له جل وقتها وجهدها، لتكون رائدة من رائدات الفن الحديث في الدولة التركية. واستمرت في أسلوبها ترسم الموديلات العارية بعد أن نقلتها إلى جو الحمامات التركية ، ورغم براعتها في رسم البورتريه إلا أن شهرة الفنانة جليلة في تركيا ارتبطت برسمها لتلك الأنثى العارية في مشاهد الحمامات التركية. وكان منزل جليلة خانوم في استنبول مرسما آخر للفنانة الكبيرة

ركزت جليلة على لوحة الجسد العاري، بشكل مثل في تلك المرحلة المبكرة اتجاها صارخا، وإختارت كذلك – مثل كل فنانات المرحلة – الانخراط في رسم البورتريه وكان تركيزها الأساسى على رسم بورتريهات لأفراد عائلتها، وظل رسم البورتريه جزءا هاما من حياتها كموهبة ولدت معها، ويعكس بورتريه ذاتي من مجموعة ابنتها موهبتها الأصيلة في هذا المجال. ويبدو من الرسوم الخاصة بدراسة الموديلات العارية أن جليلة خانوم كانت تعي تماما كل أسرار النسب والتشريح للجسد البشري، بفضل ما تلقته من دروس خاصة سواء في الاستوديوهات،أو على أيدي الرسامين المشهورين.

وشاركت الفنانة خلال سنوات الحرب في معرض ليسيه غلطة سراي بلوحة عنوانها امرأة تشرب القهوة، كما تخبرنا الصحف أنها افتتحت معرض أضنة في الأربعينيات من القرن الماضي، وفيما عدا هذين المعرضين، لا يتوافر أي دليل حول إقامتها لمعرض فردي آخر، حتى توفيت في أنقرة في العام ١٩٥٦ ميلادية. وفي العام ١٩٨٨ ميلادية أقيم معرض لرسومها نظمته ابنتها سامية يالتريم في مركز باكروكيه للفنون ضم ٢٢ رسما و ٢٢ لوحة.
بورتريه عائشة

يعد هذا البورتريه أحد أهم أعمال الفنانة جليلة، ولا تقل قصته أهمية عن البورتريه نفسه. فعلى الرغم من التوسلات الكثيرة للفنانة لحفيدتها عائشة التي كان لها نفس جمال جدتها الأخاذ، حتى تستطيع تسجيل محبوبتها الصغيرة، إلا أن عائشة يلتريم كانت تمتلك طاقة أكبر من أن تجلس في وضع البورتريه، وأخيرا رضخت لتوسلات جدتها ولكن لمرة وحيدة.

واستطاعت الفنانة بمهارة لم تكن نادرة بالنسبة إليها أن تحتفظ بملامح الحفيدة الجميلة، في البورتريه المرسوم بالزيت على الكانفاه، وبخاصة تعبير العينين.

تم تعليق هذا البورتريه في منزل العائلة بضاحية الموضة باستنبول. وذات يوم زار البيت صديق لعائشة كانت تخرج معه بين الحين والآخر وقال لوالدها زيادة بالترحيم: إن كنتم لم تسمحوا لي بالزواج من عائشة، فلتمنحوني على الأقل فرصة الاحتفاظ بصورتها. وكان له ما أراد، واحتفظ الصديق المجهول باللوحة.

بعد مرور سنوات، كانت خلالها عائشة قد تزوجت، وطلقت مثل جدتها، أثير موضوع اللوحة في إحدى الأمسيات، وأخبرها أحد الأصدقاء أن صاحب اللوحة؛ صديقها السابق قد سافر إلى ألمانيا وأن اللوحة معه، وأنها شاهدت تلك اللوحة في داره هناك وأنها تأثرت بها أيما تأثير.

وتذكرت عائشة البورتريه النادر وبدأت رحلة استعادته، ونمى إلى علمها ذات يوم أن صاحب اللوحة قد عاد إلى استنبول فاتصلت به هاتفيا وأخبرته عن رغبتها في استعادة اللوحة ، وكانت إجابته: لقد ظللت أحمل هذه اللوحة معي سنوات حتى أنني أخذتها معي إلى ألمانيا، وأن أوقاتا عسيرة مرت عليه دون أن يفكر في بيعها. وأن اللوحة تحتل مقام الشرف في منزله، وحينما أصرت عائشة أجابها بأنه مستعد لمبادلة البورتريه بلوحة أخرى للفنانة جليلة تصور صياد سمك فقيرا . وحين تم الاتفاق استبدلت اللوحتان في احتفال عقب حفل عشاء وعادت اللوحة للأصل مرة أخرى.

فن وثلاث نظارات!!

لم تكن جليلة فنانة وحسب بل كانت من أكثر الفنانات إنتاجا، تعمل منذ ضوء الفجر الأول وحتى غروب الشمس، في زاوية من بيتها وحين تقدم بها العمر وضعف بصرها بسبب مرض الكتاركت بدرجة لم تكن جراحة تلك الأيام تقوى على إصلاح ما أفسده الدهر، ولكنها لم تفقد حبها للرسم، فكانت تضع على عينيها ثلاث نظارات مرة واحدة لتواصل عملها.

وكان إنتاج الفنانة جليلة الضخم يتوزع على شكل هدايا مجانية، للأصدقاء والأقارب بشكل لم يبق منه الكثير، وتقبع كميات هائلة من هذا الانتاج الآن خارج إطار العائلة، وكانت صور حماماتها التركية هي الأكثر شعبية، وحين كانت تهدي إحداها لأحد الأصدقاء أو الصديقات كانت تشترط: أن توضع اللوحة في قاعة المعيشة لا غرفة النوم؟

شـعـر



العـــاديـــون

● فـاروق خـلـف

نحن العاديون
أبناء العاديين
نريد أن نجبر الطبيعة والكائنات :
البحر ، النهر ، الطفل ، الطريق ،
الريح
على السير بطريقة ليست طبيعية
مثلنا ..
نسمى رفضها خيانة
وعندما نلتقى فى مرايا الزمان /
المكان / العواطف/

لاتعرفنا أنفسنا ،
نتبادل أدوارنا ..
فصرخت زهرة فى البرية
وخرست صرخة فى ازدحام الألم :
انظروا ، هذا هو البطل !
لا ، هذه هى الخرقة ..
وقرب النهاية ،
سنسمِّر أشواقنا على أديم السماء!
نحن العاديون ، أبناء العاديين ،
جئنا من صلب المعتاد
ومن رحم العادة

شعر



المشقّةُ لم تكن فى القتلِ

حسن خضر

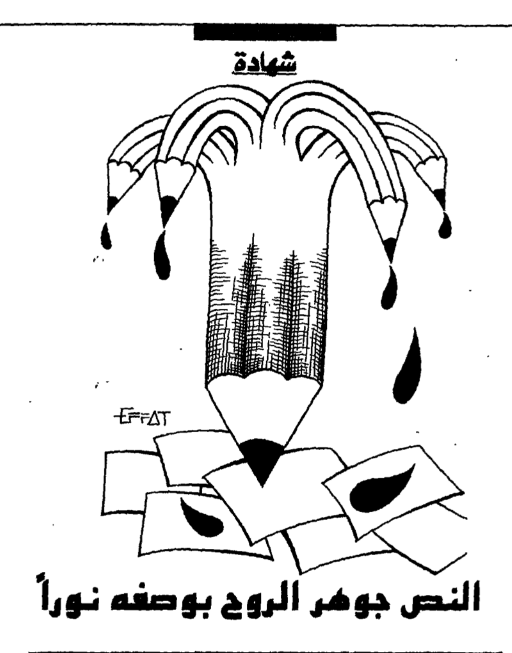
وهو يتفقد الجثث
كمن يبحث عن حبّة
بين الحصاد
بدا رشاشة الثقيل خفيفاً
وضعيفاً -فوق كتفه:
عصا خشبٌ
تنظرُ بفوّهة باردة
ناحية السماءْ
المشقّةُ لم تكنْ فى القتلِ
ألف جثّةٍ
ألفانِ ربمّا،
فى دقيقة
سوف يأكلُ ملحُ البكاءِ -لليالٍ عديدة
جفون الملائكة النادرين



الذين بدوا -كعادتهم- عاجزين
عن فعل شئ
ونادمينَ على بقائهم إلى الآن
فى حياة كهذه.
لم تكن المشقّة فى القتل
ولا فى اقتسام جثّة القتيل
سوف يتعب المشيعّون الأطفالُ
الذين صاروا رجالاً
حين توارتْ طفولتهم مع الآباء
الميتين للتوّ
تحت الترابْ
ستتعبُ المشيعات الأراملُ
اللاتى أكدنَ -دون عويلٍ
على ضرورة لفّ أجساد رجالهنّ
بقماش أبيض
قبلُ الدفن..

معتذرات لله البصير
عن عدم غسل الموتى لأسباب عديدة
ومتنازلات للقتلة الأجنبيين
عن النظرة الأخيرة فى وجوه من
ماتوا:
هل ترون هذا القليل
من الرضا فى الموت؟.
المشقة لم تكن فى القتل
بل فى البحث عن رمالٍ
خلتْ ذراتها من حطام عربٍ ميتين،
عن أرض تقبل الجثث الجديدة
-كل يوم- تحت عين اللهِ
فى الشهر الحرام
المشقة لم تكن فى القتل أبداً
كل المشقة فى النّظر
والصمت.

شهادة



النص جوهر الروح بوصفه نوراً

* أحمد الشهاوى

سعيت إلى أن تكون لغتى مصورة باطنى، وأن تعبر عن سماوات روحى ، وأن يكون الوصل بين روحين يمر عبر طريق اللغة ذلك الطريق الذى سار فيه قبلى شيوخ وأقطاب وأئمة وشعراء وواصلون وعشاق .جاء فى مقدمتهم عمر ابن الفارض وجلال الدين الرومى والحسين بن منصور الحلاّج والنفرى وابن عربى وأبو يزيد البسطامى ، «فقد تعمقت الأحوال الصوفية ودقت المعانى وتفردت ، فلم يعد بإمكان اللغة العادية أن تصور

الدقائق الصوفية التى يود أهل الطريق البوح بها(١).

كانت مشكلتى أن أطير داخلى لأعبر ،وأمحو ما اعتيد قراءته ، وأن لا أسير فى سياق القاموس الذى أقره الصوفية ،حتى لا يصير ما أكتب صوتا لنظريتى ورؤاى ، بدلا عن أن يكون تعبيرا لغويا عن أحوالى وتجاربى ونظراتى ،ومعاناة طريقى ،فكان الشطح طريقى ،حتى أهلكنى جنونى وصيرنى أنا واللغة شيئا واحدا.

كان طموحى أن أذهب إلى بعيد ، وأن أصل إلى النقطة التى تتوحد فيها لغتى بحالى ، سلوكى بحلمى ، وأن تغرق ذاتى فى النور ، وأن ألوذ بشواهدى ، وأستضئ بما أعرف وأعيش ،لتبدو صورتى متجلية فى نصى كأحسن ما تكون.

فالشاعر يكشف بلغته حيث إن الباطن مكشوف بالبصيرة ،ومتطور إليه بعين القلب ،وقلب الروح ، ولا مجال هنا– فى هذه الحالة –لبناء نص يتهندس بأساس الذهن ،وعمود التعمد ومواد القصدية.

وهذا الكشف من شأنه أن يسم النص بالستر والإبانة معاً ،لأن فى البيان ترجمة لأحوال الشاعر ، تلك التى تتقلب وتتحول ،ومن ثم يخلق نصا لا يستعير لغة السابقين ويبنى بناء غير مطروح ،لا يراعى المتعارف عليه والمواضعات المستقرة ،والتقاليد الفنية الثابتة ، فالروح تجرب ،وتؤسس لغتها طالما هى فى أساسها فريدة لا تتشابه أو تتقاطع أو تقلد ،لأنها خلقت لتكون نفسها ، وذلك من طبائع البشر وصنع الخالق.

وإذا كان الاشراقيون من الصوفية قد سعوا إلى خلق لغة جديدة رفدت الشعر المكتوب بالعربية والفارسية على وجه الخصوص ،وجعلته يبتعد عن اللغة الشائعة المتداولة المتاحة بين أيدى الشعراء التى ابتذلت من فرط استعمالها وتشابهها ،فإن الطموح الدائم لديهم كان يتبدى فى العودة إلى« أصل اللغة :الحرف .وإلى التجلى الأتم لها : القرآن»(٢).

ولم يكن الإعلان عن ميلاد لغة أخرى مغايرة ،إلا بداية لتفكيك ما راكمته اللغة العربية من إرث على مستوى الدلالة والصوت والإيقاع والتشكيل ، والنظر فى تقديم لغة لا تكرر نفسها ،ولا تراكم ما أنجزه السابقون فى التراث العربى ، وإن كان قد حدث هذا من

طبقات الصوفية المتأخرين ، الذين أعادوا إنتاج أسلافهم ، وقد طالت هذه الإعادة -أيضا -شعراء . يفصل بينهم وبين الأوائل ألف سنة أو يزيد.

والصوفى فى شعره . يخلق علاقات جديدة ، لم تعتدها الذائقة ، ويقدم رموزا تكشف طريقة ، لأنه بالرمز يجلى المكنون ، ويبوح بالسر ،وتطرح نفسه أسماءها وحروفها ،وما انطبع فى كتاب مرآة هذه النفس من سياحات وسباحات.

الشاعر يسعى نحو «سر الظرف المودع فى الحرف» (٣) وقبلى أودع الجنيد أسراره فى رسائله ،والحلاج فى ديوانه وطواسينه ، والنفرى فى مواقفه ومخاطباته ، وابن عربى فى فصوص حكمه ،وفتوحاته وغيرها من تجلياته المهمة ورسائله المتنوعة الباقية ، وابن الفارض فى ديوانه الأهم وغيرهم من الاشراقيين الأقطاب الذين أضاءوا روحى ، وأثروا طريقي ،وقادونى نحو قلقى باتجاه النور الأسنى والعشق الذى فتحت به بابى.

أستتر فى شعرى لأعرف ، غايتى أن أدرك ، ولا يكون ثمة حجاب بين نصى أنا (العاشق) وبين متلقيه(المعشوق) ، كونت مكانى وليس لى مكان ، أنا الذى فى« اللامكان» أوجد، أطمح أن أفهم بالقلب ،وأحس بالروح، وفهم معناى لا يشغلنى ، فـ« العجز عن درك الإدراك إدراك» ،وقد أودعت سرى تاء متكلمى. وقادنى المقدس إلى البشرى ،والبشرى إلى المقدس ، ولم أشأ أن أنغلق فى شكل ، بل حاولت أن أفتح لى أكثر من طريق نحو أكثر من شكل ،وكانت حياتى فى تجاريبها وخصوصيتها قد ساقتنى لأن أكتب بلغتى ،فدخلت قفص وجودى لأتحرر ، وكان لى نصان فى نص ، نص معلن وآخر مضمر وبينهما يولد التأويل ،وتتعدد القراءة ، ولم أكن فى ذلك مراوغا أو لاعبا (مع أن الشعر لعب ومراوغة) بل كنت صورتى فى مرآتى ،لا حجاب بينى وبينى ، ولم يكن ثم إلا أنا .

طموحى -وطموح الصوفى والشاعر -أن أجد الكنز الأكبر، وأصل إلى السر الأعظم ، وكل محاولة فى الكتابة هى تمرين ومجاهدة نحو الوصول ،والوصول إلى النص الأكمل أو النهائى أو الأخير أو الصياغة الأبقى للوجود لايتأتى إلا بالموت ،ففيه نملك ولا نملك.

طمحت أن أشرك قارئى فيما أكتب، بأن يولد دلالة ما عبر قراءته ، وأن يتحد حاله

بحالى ، ويصل إلى الحالة السماوية عبر ما لا يقال ، وهو ما أترك من بياض وفراغ ، هما –فى الحقيقة يشيران إلى نص غير مرئى أقصده ليس ضنا منى بالمعنى أن يشيع فى غير أهله ، ولكن لأن العبارة دائما ما تضيق علىّ.

مدركا أن الطرق إلى القصيدة على عدد أنفاس الشعراء وأن السفر فى الباطن يبعد الظاهر عن الوقوع فى أسر الشكل والاحتفاء بالخارجى المؤقت.

كنت ما زلت –أحلم أن تكون لدى قدرة على أن أنتقل من مكان إلى آخر ، وأن أوجد فى أكثر من مكان فى زمن واحد ، داخل روحى ومن ثم داخل نصى الشعرى أو النثرى ، وربما لازمنى هذا الحلم من فرط إيمانى بكرامات الأولياء الذين لهم مسالك جلية ،ولأسرارهم بهجة ،ولأنوارهم معادن وهذا ما جعلنى أعيش حالة القرب والاتصال فيما أكتب ، لأخرج سرى المختبئ ،ولأننى أدرك أن الكرامة خرق للعادة ،وكسر للمألوف ، فكنت أسعى إلى أن يكون نصى فى لغته وبنائه وتشكيله كرامة يختلف عليها ، باعتبارها لم تقع من قبل.

فوجدتنى أحيى الكرامة فى نصى خصوصا فى: كلام الموتى ،انفلاق البحر والمشى فيه ، انزواء الأرض وطىّ المكان ،كلام الجمادات والحيوانات طىّ الزمان ، الاطلاع على ذخائر الأرض وكنوزها ، وغيرها من أنواع الكرامات التى صنفها اليافعى والبنهانى ومن مراقبتى لنفسى رأيت أن هذا يتحقق عندما أكون فى حالة وجد عظيم ،وهذا الحال كثيرا ما يدوم معى.

والصوفى سره دائما مكشوف ، ولكن ليس متاحا للعامة، بل يحتاج إلى متلق من نوع خاص ، يحتفى قلبه وتحتفل روحه بما تنتجه نفسه من فيوضات وإشراقات وتجليات والصوفى فى شعره أو نثره ، يبتغى خلودا وبقاء ، لا يكتب نصه للراهن أو الحدث أو جريا للعادة ، أو تماشيا مع عارض مؤقت ، بل إنه يسعى لأن تحفظه الذاكرة ،وتبقيه الأيام ،وكان ابن النفيسى يقول: لو لم أعلم أن تصانيفى تبقى بعدى عشرة آلاف سنة ،ما وضعتها» ،لأن الصوفى يعلم أنه حينما يبدأ فى الكتابة ،فإنه يبدأ فى فتح قوس روحه ،ومن ثم يكون فى حال من الوجد والشطح والمحبة والسكر تجعله يوسع أكثر من

أفق في خياله ،هو والخيال العربي بوجه عام ، لأن الصوفيين قدموا في نصوصهم إضافات ساهمت في إثراء المدونة العربية الإبداعية ، وأغنت الشعرية العربية، في حين أن الشعر العربي الحديث لم يلتفت إلى الإبداع الصوفي إلا متأخرا ، بينما كان شعراء أوربيون وأمريكيون ق التفتوا إلى التراث الصوفي العربي والإسلامي وأفادوا من منجزة الزاخم. هذه التجربة الروحية التي عشتها في نقائها وبساطتها وعمقها ، جعلتني أسكر من المعنى ، وأن آتخذ المحبة طريقا لي، حتى صار العشق يدل عليّ ويشير إلى ،خصوصا أنني لم آخن في الهوى قط، مستعينا ببيتي الحلاّج:

لي حبيب حبه وسط الحشا

إن يشا يمشي على خدّي مشي

روحه روحي وروحي روحه

إن يش شئت وإن شئت يشا

هذه الوحدة ، لم تجعلني أتعامل مع المحبوب باعتباره آخر ، أو أنا غريبة نائية عني ،وكوني أذوب فيه ، لا يعني أبدا استلاب ذاتي ، أو ذوبانها ،وضياع هويتها ومسخها ، أو نفيي وإقصائي أنا المحب ،بل إن هذا الاتحاد الذي لا أسميه أرضيا ، هو عين التجلي وبعث المكامن ،وهتك المخبوء ،وكشف المحجوب ،والروح لا تنطلق تلقائيا إلا بمثيرها ،والدخول في حالة أبدية غير متقطعة سواء كان فيها الشاعر في حالة كتابة ، أو تحضير كتابة لأنني أعتبر الصمت كتابة والورقة البيضاء التي تنتظر حبري أرضا محروثة بذاكرتها ، مكتوبة بتاريخها منذ كانت ورقة خضراء.

هذا المحبوب يبحث معي عن صوتي ، يهديني إلى نفسي يكشف لي ما غمض فيّ ، يجلي عتمتي ، يضوئ داخلي ، عارفا أن لكل شيخ طريقة ، ولكل شاعر قصيدة ،ولا تتطابق الأنفاس أبداً ، لأن للروح إيقاعا وعالماً يختلف من ذات إلى أخرى ، من حيث إن للذات تاريخا من شأنه أن تنشأ القصيدة من دمه ، خالقة شكلا تعبيريا غير مسبوق ،ويعتمد بالأساس على تاريخية الروح وزخمها ، حينما تسطع شمس المحبوب عمودية غامرة قلب العاشق ، فتدان له الأسرار ، وتتنزل عليه المواهب ، ويصير وحيد زمانه في

العشق ، لأن النهايات كما يقول الصوفيون -لا تصح إلا بصحة البدايات ،كما أن المسافة التى بين المحب ومحبوبه قد طويت ،وليس ثم انفصال ، أو هوة ، وإنما هناك محبة منتجة تأسست على الامتلاء والفيض ، تشير فى توحدها إلى نهجها الإشراقى الفلسفى .حيث يتأله المحبوب ويتقدس ويتنزه عن المعايب والأخطاء ، ويرقى إلى مصاف الإله الذى يصير إنسانا ويحدث الاتحاد بالذات الإلهية.

ولم أر اتحادا أو حلولا بين اثنين كانا ،إلا جاءا بعد فنائهما ،حتى لا يكون بينهما فرق فى نفس وجودهما» ولعل الحسى والروحى يمتزجان فى التجربة الصوفية ، منتجين نصا له جذوره القديمة عندما أخذت الصوفية من الغزل العربى الصريح والعذرى معاً المرأة رمزا للحب الإلهى ، وهذا لم نجده إلا فى الشعر الصوفى الفلسفى الذى لم يهتد بهدى الشريعة ،حيث يتوحد الشاعر ويخلق نصا له واحدية من حيث المكان والزمان واللغة ، باعتبار أننا أمام ذات واحدة بعدما اتحدث ب« وحلّت» فى من تعشق.

حاولت أن أقدم نصا له معنى باطن مخزون تحت كلام ظاهر ، لا يظفر به إلا أهله، حسبما قال السراج الطوسى يخفى ويوحى ، لا يعطى دلالاته منذ الكشف الأول، يحتاج إلى تبصر ونظر فى الباطن ، ومكابدة .لأن روحى دوماً بين ترق فى معارجها ،ومحبوبى هو الكل ، لم أستطع-وأنا منشغل به- أن أعبر إلا رمزاً ، لم أستخدم وسيطا فى سبيل الوصول إلى المحبوب ، بل وصلت إليه وصلته مدركا أنى أنه .لأنى لم أكن فى نقطة زمانى،حيث أخرجنى محبوبى من حدود الوقت ، وصرت خاليا من ذاتى .وكلما اقتربت ،ماتت المسافة وخلقت الشعرية التى أسعى إليها والتى ولدت عبر سفر روحى فى ذاتى التى تحمل زمانى ومكانى معاً.

ولا ينبنى النص على المطلق ،إذ فى الإمكانية أن يتجسد «العلو» رمزيا فيما نتحد به جوهريا ،ولا يصير هناك غائب وحاضر أو تضاد بين حالين ،لأنه فى مثل هذه الحالة لا يمكن للشاعر أن يبنى نصا له اكتماله ودماؤه النقية ، وإنما النص يخلق من «مسيل ذهب» قلبان صارا إنسانا كاملا ، يتلقى عبر معرفة ذوقية من قبل متلق يرتقى إلى المقدس داخلا فيه كأنه إله ، إذ يرتفع إلى مرتبة الكمال.

اجتهدت لأن آمزق حجبى كى أرانى ، وأدرك حقيقتى محررا طاقتى ، مستخدما مالدى من خرق للحدود معوّلا على ذاتى بالأساس ،باعتبارها المصدر الأول الذى ينتج النص موهما نفسى آننى «لم آر فى العشاق مثلى». وأننى فى حالة نقصان ، ونصى يسعى إلى تمامه، كونه خرج من ذات واحدة ذات صفات متعددة، تجوهرت وطابت نفسها ،خصوصا أنها تستقبل صورا متنوعة وتمتص واردات المعشوق ، وينعكس الوجود بكليته داخل هذه الذات التى صار مركزها «أنا أنت» و«أنت أنا» حيث يمحى الزمان والمكان عن كونى ، مرددا قول عفيف الدين التلمسانى:

«هذه خمرتى فأين وجودى

غبت عن شاهدى فأين أرانى»

فالنص لدىّ هو جوهر روحى ، وعلىّ أن أخلقه بوصفه نورا يسرى فى أرض كلها تحت حكمى ، «وطبولى تدق فوق السماء».

١– يوسف زيدان –المتواليات –دراسات فى التصوف –الدار المصرية اللبنانية –القاهرة ١٩٩٨ ميلادية ص١٥.

٢–المصدر نفسه –ص٢٥.

٣–اسم كتاب لعبد الكريم الجيلى المتوفى سنة٨٢٦ هجرية.

* النص شهادة ألقاها الشاعر فى الملتقى الثانى للتعبيرات الثقافية والفنية عن المتوسطية (التصوف المتوسطى بين العلامة التراثية والاشارة التحديثية) ، المنستير ، تونس ، أكتوبر ٢٠٠١.

أدب ونقد

قصة قصيرة



لم يسمعا نداءها فى الجويدة

نازك ضمرة - الأردن

كان يركب سيارة فخمة ، ويطل برأسه من إحدى نوافذها ، اقتربت منه وتحادثنا طويلا ،كان ينظر يمنة ويسرة يبحث عن صاحبته ،فاتنى أن أسأله ما الذى أتى به وبسيارته وصاحبته إلى حينا ،وهو يتباهى بوصف أسلوب حياته لى.

-يا إلهى لم أصدق ما قاله لى كلب الدالميشن ، أتلفوه حتى أنه أصبح لا يريد أن يتحرك أو يفعل شيئا لأهله ، لا هم إلا التبختر والتمدد وعرض طوله وعرضه ولون شعره الأبيض والأسود كأن جزرا أو خلجانا تربط بحارا رسمت على جسده ، كثيرون من الإنس ومن أقارب أصحابه تمنوا أن يكون لهم جلد أو رسوم على جلودهم كما حال

جلده ، المهم كم أغاظنى حين قال : أنه لم يعد يطيق أكل اللحوم المعلبة كالدجاج أو السمك ،ومن كثرة تعلق ربة البيت به اضطرت أن تشترى له لحم كالدجاج أو العجل طازجا كل يوم ،وهل تصدق ما قاله كذلك؟.

-وماذا قال أيضا يا صديقى أصبح لعابى يسيل، ولا أحب أن أسمع الحديث عن الطعام فالكل يعيش ، ونستطيع التحرك لحماية أهلنا وجيراننا ، أو لتسليتهم ومداعبتهم . لكن أكمل بالله عليك؟.

اقترب شبه متلصص منه ، أراد أن يمازحه فاقترب من مؤخرته ،اشتمه ثم سحب ذيله قليلا ومازحا ،جفل الكلب الآخر قائلا له:

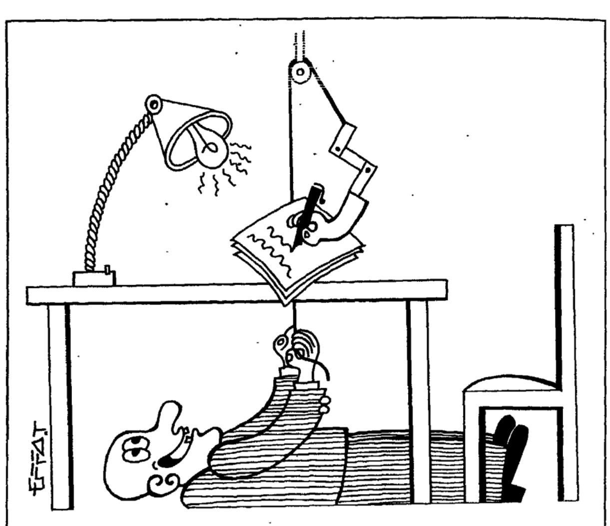
-أنا كلب ذكر مثلك ، ألهذا الحد أو هل أنت مجنون ؟.

نبح استهزاء به ، لكن الآخر دعاه للاقتراب ليكمل حديثهما عن الدالميشن .

-أكد لى كلب الداليمشن أنه لم يعد يطيق أكل لحم أجنحة الدجاج، بها عظام كثيرة ولحم قليل ، والأدهى من ذلك ، يقول : إن كثرة الجلد عليها يجعلها تحتوى على الكثير من الدهون والكولسترول ،سمع صاحبة البيت تقول إنها لا تريد أن تضر الكلب فيسمن فيشيخ فيمرض من كثرة أكل الطعام الدسم، لكنه مد لسانه خارج فمه ، ولحس مقدمة فمه وشفتيه وأنفه وزضاف قائلا :لا تستطيع أن تقاوم حين تقدم أجنحة الدجاج مشوية أو مقلية أو من محلات كنتاكى فرايد تشكن ، يا إلهى ما ألذها ، لكن كلب الداليمشن أكد لى أنه لا يريد أن يكسف أهله ،فيأكل مجاملة ،وقال أيضا مع أنه لذيذ ومبهر ، إلا أنه يخشى على صحته كما سمع ربة البيت ،ومع ذلك لا يوفر الوجبة ، بل يأكل بنهم يجعل صاحبة البيت تتحمس وتحس بالسعادة لأنه أحبها وأحب طعامها فتشبعه تربيتنا وتلمسا . تضمه إلى صدرها ويغفوان على الكنبة أو فى فراش واحد.

-كل هذا يحصل ونحن لا نعلم ماذا يجرى حتى فى عالمنا الكلبى ، نشقى ونعمل ونجوع ونبرد، وكلاب الداليشن تنعم بما ذكرت ،أحس بألم فى بطنى وفى حلقى وفى مؤخرتى ،اعتدنا على تلك الآلام ، نعيشها ونتعايش معها ، والكل سيشيخ ويمرض ويموت يا صديقى ،فماذا أنت فاعل الآن؟!.

ولما هم بإجابته شاهدا كلبة عابرة راكضة ، قفزا وراءها ، أعجبهما شكلها ونحافة بدنها ،مع أن الشعر الذى يسكو جلدها كان متسخا ، نسيا الجوع لحظتها ، وأراد كل



واحد منهما التقرب لها ،تعبت الكلبة من الجرى ، قربت مؤخرتها إلى جدار وقعدت لتريح نفسها ،همرّ أحدهما ،فقابله الآخر برفع صوته أكثر ، إلمهم سرعان ما تصارعا ، نسيا الجوع والبرد ، صار هدف كل منهما كسب ودها ، هدأتهما الكلبة قائلة ، أشغلتمانى وأخرتمانى عن هدفى دون فائدة ترجى من أحدكما ، شممت رائحة أكل وزمجرة كلاب أقوياء فى مكان قريب ،كنت أجرى كى أصله قبل سواى وقبل أن تسبقنى كلبة أخرى ،أحس بالجوع هل تفهمان ؟، أريد طعاماً ودفئاً. ، فمن منكما يعرف مكانا فيه طعام ودفء فسأكون صديقه ، فلا تختصما.

وكأنهما لم يسمعا نداءها ، نظر كل منهما فى وجه الآخر ، نبح أحدهما بصوت أجش ضعيف ، رد عليه الآخر بصوت أضعف ، ثم غادرا المكان يجران أذيال الخيبة ، لم يجرؤ واحد منهما الادعاء بأنه مؤهل لطالبها ، سمع الكلب الأول رفيقه الكلب الثانى يحادث نفسه :(طعام ودفء وأمان) ..



تهويمة صوفية عن حال [الدال]

● خـالـد سـليمان

كان يسير على غير هدى كالمعتاد .. الحياة رتيبة والأيام تتشابه ، كما كان الأمر لايخلو من مغامرة صغيرة لكسر الملل .. لكن الملل كان لايتزعزع كالطود الشامخ .. كان لايستطيع أن يحيا إلا بالحب في ذلك الزمن الضنين ..، لم يكن ليجد من يفهم لغته من بين أبناء ذلك الزمن الذى لاينتمى إليه .. وتمكن منه اليأس فى أن يجد من يحب .. " ولكن كيف يتوب عن وعد الهوى المحبوب" .. فما بالك بالمحب.

استهلكته الأيام فترة طويلة جداً .. كان خلالها يتخبط فى التيه .. وكاد أن يكفر بكل شئ كما كفر أصحاب " موسى" .. إلا أنه وجدها تخرج فجأة من ذلك العدم السرمدى كائنا نورانياً مخملياً ملائكياً .. رقيقة القلب والأنامل .. كأنها مسيح جديد جاء ليمنحه المسحة المقدسة .. لكنه يتراجع عن ذلك فى آخر لحظة ، عرف واستوعب

كل معانى اللوعة والاشتياق وتجرعها حتى الثمالة ، كانت تملك الوجه القاسى للمسيح .. بالرغم من أن المسيح لم يمتلك مثله أبداً ، لكن ذلك الوجه القاسى كان هو القناع الذى يخفى كل مشاعر الرقة والطيبة والتسامح .. كانت تكمن وراءه كل الرسالات السامية التى ظهرت منذ بدء الخليقة ، غرق فى محيطها اللامتناهى .. كان لايموت فيها ولايحيا .. ونسى كل مايعرفه عن السباحة .. حتى لو كانت ضد التيار ، ولم يكن هناك من يستطيع تشخيص الحالة أو وصفها ، ترى أكانت شطحاً أو سكراً .. أو وجداً ، " فسكر الوجد فى معناه صحو .. وصحو الوجد سكر فى الوصال " *، أم هو ماوصفه البعض بالتخبطات .. ، هو نفسه فقد القدرة على التمييز .. وأصبح غير قادر على البوح إلا بالرمز أو الترميز ، كان يتساءل عن روحه وأين استقرت فى عالم المقامات والأحوال .. وأنى لها أن تستقر؟! كانت روحه تتوهج وتتأجج فى حال(الدال) .. ولجت فى مقام الفناء وأصبحت تسعى كالبرق إلى فناء الفناء .. كان كورقة زهرة ألقيت فى مهب الريح لتعانى لجاجة البعد والقرب والإقصاء ، غمره فيضان عشقها بالقدر الذى كان يتجلى عليها الفيض الربانى بالسمو والبهاء والجلال .. أصبحت قبساً من نور الحق المطلق يسعى فى ذلك العالم الأرضى .. وهنا بيت القصيد ، فلم يكن من المقبول أن يتسق السمو مع الدنيا ، كانت الأحداث تتصاعد لتقترب من الذروة ، وأصبح غير قادر على الكتمان .. أدركه زمن البوح بالسر .. زمن سدرة منتهى العشق .. كيف يكتم السر وكل خلجاته تفضحه .. وهى أيضاً .. وهو يعرف تماماً عقوبة إفشاء السر" بالسر إن باحوا تباح دماؤهم .. وكذا دماء البائحين تباح "* كانت نفسه تردد ذلك القول دائماً ، لم يكن قادراً على الكلام .. بيد أن كل سكناته وحركاته تشى به للعالمين ، وكيف يمكنه الكلام .. ألم يسمع أحدهم قول " النفرى" (كلما اتسعت الرؤية ضاقت العبارة .. ، وهو الذى أصبح لايرى سواها .. كان لسان حال صمته يصرخ بشدة فتتمزق حجب السر .." ياغوثاه بالله من فيوضاته وتجلياته على المخلوق .. أدركونى ياعباد الله لكن كان يرى خناجر الغدر تقطر من دمه المسفوح سلفاً بأيدى الناس .،، وهذا الأمر من سمات حال (الدال) لم تحدث تلك الرؤيا لكنه كان يراها بعينى روحه التى لايحدها زمان أو مكان ..، أصبح تواقاً إلى السمو صوب عالمها الحقيقى .. عالمها النورانى ..، أما هى أو الظروف .. أحدهما أو كلاهما لايدرى .. يزداد إمعاناً فى إلقائه من حالق إلى هاوية العالم الأرضى ، أصبح متأكداً من أنه يساق إلى حتفه كأصحاب " الحسين " لكنه لايرضى بغير ذلك بديلاً ، ترى هل تحل عليه لعنة أبدية كالتى حلت على " سيزيف " أو "

بروميثيوس"؟ لكنه لن يرضى عن ذلك الحال بديلاً ، ويتساءل هل ستقرأ سطور حكايته يوما .. وهل ستستطيع فهمها .. وإن استطاعت فهمها . هل ستستوعب مابين السطور ؟ أصبح الآن لاتهمه الإجابة .. فما جدوى التردد بعد الإبحار؟..

الأمر المؤكد إنها ستفهم أن كل عذابات الكون تهون من أجلها .. فمهما غدر به الناس .. هو لايعبأ بسواها ، ومهما صبت عليه حمم براكين غضبها كلما تمترست خلف ذلك الوجه الخاص القاسى المستعار .. سيظل دائماً فى انتظار تلك المسحة المقدسة .. من أطراف أظافر أناملها الرقيقة ..، ومهما ادعت أنها تجيد الظلم .. تفشل تماماً فى ممارسته .. لأن رقة عيناها تفضح مكنون قلبها الأرق لينعكس على وجهها الملائكى الذى يستطيع محو كل عذابات العالم وأحزانه ، ولم يكن لديه القدرة على تصور صوت ترتيل الملائكة المقربين قبل أن يسمع صوت همسها القادم من قدس الأقداس.

ولايروعه الآن سوى الرحلة الآتية فى سدرة منتهى العشق .. فالقرب يبذره شجناً ويشعله وجداً ، والبعد يزيده شوقاً ويحصده لوعة .. ومابين أحوال البسط والقبض فى مقام الفناء عند سدرة منتهى عشق النور الخالص إلا حال" الدال " .. ، ولا هو يعرف لماذا يروى حكاياه المفعمة بالأسى .. عن إرادته السلبية ودمه المهراق ونزف شرايين وجده .. هو فى مقام الفناء يقترب من فناء الفناء ولايعرف لهذا نهاية إن كان للأحوال والمقامات نهاية ، ويتأرجح بين قبض وبسط .. وأناه وأناها .. ومالفرق بعد أن صار يفنى فيها حتى أصبح هو هى .. وهى هو ..، وليس بعد الدلال إلا الوصال ..، وليس بعد الوصل إلا الدلال .. والكيسانى لايرحم ورشفة منه تفعل به ماتفعل ..، حتى أضحى لايعرف شيئا عن الكون وعن نفسه سوى أنه فى " حال الدال" .. إن كان قد عرف ، وإن كانت هى هو ، أو هو هى ..، وهو معذور فى شطحه وهذيانه .. ، فهى هو ...، وهو هى .. ، فى أروع لحظات الوجد فى مقام الفناء عند سدرة منتهى عشق النور الخالص ..، فى حال (الدال).

---

* من أشعار المتصوفة (الحلاج)

– مصطلح الكيسانى :– هو خمر معنوى تحدثت عنه بعض فرقة الصوفية ، فهو غير عادى أو ملموس ولايذاق إلا بالروح .(وهى جمع كأس أيضاً فى اللهجة المغاربية ومن هنا المصدر) ويستخدمه أبناء الطريقة العيسوية غالباً.

قصـــة



لـــــوحـــــات

● بسيونى سالم

اللوحة الأولى ..

حين رفضت باتريشيا الزواج من فان جوخ .. كان لديها كل الحق فيما فعلت . كان الولد مجنونا تماما وعلى باب الله .. لم يكن يملك مقدما لشقة ومتعطلا تماما . فقطع أذنه وأرسلها لها ... لاأحد يدرى حتى الآن ماذا كان يتوقع وقتها ؟ أن تحمرها بقطعة بصل وتأكلها على الغذاء .. أم تضرب عليها بيضتين وتعملها عجة .. من المؤكد أن رد الفعل كان قرفا زائداً وإيمانا أشد بجنونه المطلق.. ومن المؤكد أنها ألقت بها فى صفيحة الزبالة الخاصة بالجيران.

وحين اصطحبه أخوه إلى مستشفى الأمراض العقلية .. كان هذا قرارا حكيما بكل المقاييس.

ونظرا لاختلاف القيم السلوكية لدى الشعوب .. لم تقدم صاحبة الحجرة التى يسكنها على إلقاء لوحاته فى الشارع أو بيعها لبائع الروبابيكيا كما جرى العرف فى

أماكن أخرى من العالم الواسع وتمحو بهذا الفعل المنطقى سيرة فان جوخ من سجل التاريخ .. لكن جمعها أخوه وعرضها فى متحف الزمن لتصبح شاهدا على إبداع الإنسان.

اللوحة الثانية..

حين دخل علينا أحد الأصدقاء حجرتنا الخاصة فى قصر الثقافة العتيق والتى امتلكناها بحكم الرخامة والعكننة على مدير القصر معلنا افتتاح أول أتيليه فى البلد كحدث تاريخى يحرك المياه الراكدة فى الحياة الثقافية فى بلدتنا .. كدت أسقط من فوق مقعدى ذى الثلاث أرجل .. اضطررت بعدها أن أشعل سيجارة جديدة بعد أن سقط منى العقب الذى كنت أشربه على الأرض المليئة بأعقاب السجائر.

خرجنا بعدها للشارع نتسابق لنصل إلى الحدث وهو يكتمل لنصير جزءاً من التاريخ التنويرى لبلدتنا .. كان فناننا يعلق اليافطة الملونة .. حمراء بلون الدم المسفوح على لوحة بيضاء .. مضيئا ولامعا وسط اللوحات المغبرة للدكاكين المجاورة .. وهو بهيكله النحيل النحيل يملأ كل الفراغ.

اللوحة الثالثة ..

وسط دخان السجائر الكثيف الذى يملأ الحجرة الداخلية للأتيليه .. سحرتنى الألوان .. كانت ألوانه كما خلقها الله ،. ضوء النهار وخضرة البرسيم .. وصفاء الندى .. ألوان فرحانة تبتسم وتشع بالبهجة .. كنت أنظر إلى هيكله النحيل وهو يرسم وفى فمه دائما سيجارة لاتنطفئ .. أتعجب ؟ .. من أين يأتى بكل هذا الفرح ؟ كأنما اختزن بداخله كل الألوان وتحولت الحياة على فرشاته إلى صور دافقة عذبة وريانة كما خلقها الله .. لوحات تملأ كل جدران الأتيليه .

انتقلت جلساتنا الليلية من مقهى شحاته القريب من المقابر إلى الأتيليه .. اليوتوبيا الجديدة .. حيث تستطيع أن تناقش مقالات هيكل ومسرحيات نعمان عاشور وتسمع أغانى الشيخ إمام ونجم والفرق بين الاشتراكية الفابية والاشتراكية العلمية .. وبلا حرج تسمع آخر أخبار النساء وآخر إصدارات مجلة الشبكة اللبنانية فى جو دافئ معبق برائحة الأصدقاء والسجائر وألق الألوان فى اللوحات المعلقة على كل جدران الحجرة.

اللوحة الرابعة :

أخيرا .. عندما وصلت الرسالة الى باتريشيا .. رق قلبها .. وارتدت قميصها الداخلى الأحمر وجلبابها الأسود وطرحتها الجديدة ودلفت إلى الأتيليه فى عز الظهر



الأحمر .. حين تقبل العفاريت ويخلو الشارع.

لمحها صبى العجلاتى الذى يعمل فى الدكان المجاور وأسرع بابلاغ الأسطى الذى كان يضرب حجر معسل داخل الدكان بعد أكلة كشرى حراقة .. ومع تأثير الشطة الحارة وحرارة صيف الجنوب وهمس الصبى الملئ بالغمزات وإشارات الأصابع .. انتفض الأسطى ساحبا سيخا حديديا من خلف باب الدكان واندفع إلى باب الأتيليه المجاور .. وبذكاء وحداقة صبيان الصنايعية المدربين جيدا .. أدرك الصبى أن حدثا كهذا يستحق جمهورا مناسبا .. وسرعان ماأثمرت جهوده عن تجمع لابأس به اكتظ به الرصيف والشارع أمام الأتيليه.

ولم يكن فان جوخ يحتاج إلى السيخ الحديدى الذى امتشقه العجلاتى .. فذراع العجلاتى المدربة على الدق كانت كفيلة باطفاء كل ألوان الفرحة داخله .." بتعرصنا يابن الكلب وتقوللى موديل "

وساعدت كلماته الجمهور الحاضر على تبين الحق من الباطل .. والتفت الأمة وتوحدت أخيرا على قضية واضحة وضوح الشمس .. فكان عملا جماعيا شاملا وكاملا .. أسفر عن تدمير وكر الفساد وتجريس باتريشيا بقميصها الداخلى الأحمر .. والأهم .. سحل فناننا الأول على رصيف الشارع.

اللوحة الأخيرة:

فى حجرته المعتمة الرطبة فى المستشفى .. كان يرقد فوق فراش معدنى كالح اللون وملاءة بلا لون .. وقد تناثر حوله الأصدقاء يجلسون فوق السرائر المصفوفة كعساكر الجيش داخل العنبر المعبق برائحة الفنيك .

كانوا يتشاغلون بالنظر إلى الأرضية الباهتة .. وحين نظرت فى عينيه لم أجد لونا واحدا .. ولم أجد فى فمى كلمة تستحق أن تقال .. وأخيرا عندما انكسر الصمت حولنا سألناه عن مصير لوحاته .. أشاح بيده النحيلة كأنه يطرد ذبابة حطت على وجهه المختلط الألوان .. وكانت هى الألوان الوحيدة بالحجرة .. لون الشاش والدم.

تكريم



جار النبي الحلو:

حلم..
على نهر الإبداع!

تابع الاحتفالية

عيد عبد الحليم

شهادات

فــريدة النقــاش
ســعيد الكفراوي
فريد أبو ســعدة
محمد المنسي قنديل

جـار النبـى الحلـو ..
حلـم علـى نهـر الإبـداع

● عـيد عـبد الحليم

جار النبى الحلو حلم على نهر الإبداع تجسد من خلال أعمال كان محورها المكان ، مضفرة بفطرة الأشياء وبراءة الناس البسطاء الذين ارتكنوا على اليوتوبيا فجنوا نقاء السريرة رغم قسوة الزمن.

وقد تحصن جار النبى .. بهؤلاء وجاورهم فأينعت فوق غصن الإبداع ثمرة طيبة.

وتأتى الاحتفالية التى أقامتها الإدارة العامة للثقافة بالغربية بقصر ثقافة سوزان مبارك للطفل بمدينة طنطا فى الفترة مابين ٢٧ حتى ٢٩ أكتوبر الماضى تتويجاً للعطاء المتميز لذلك الأديب المحلاوى الذى يطل على العالم من حجرة فوق السطح .

تضمنت الاحتفالية عدة حلقات نقاشية بدأت بندوة عن" الرواية عند جار النبى الحلو" شارك فيها د. سيد البحراوى والقاص سعيد الكفراوى وأدارها الشاعر فريد أبو سعدة.

ثم أقيمت ندوة تحت عنوان " القصة القصيرة - وجار النبى الحلو" شارك فيها الناقدة فريدة النقاش والناقد السيد إمام وأدارها الشاعر عبد الستار محمود.

أما الندوة الثالثة فقد جاءت تحت عنوان " أدب ودراما الطفل عند جار النبى الحلو" وشارك فيها الناقدة زينب العسال والمخرجة فايزة حسين والمخرج محمود إبراهيم والفنان حسن العدل . وقد حضر هذه الندوة على على الزقلى رئيس مدينة طنطا نائباً عن محافظ الغربية ، الذى قال إن جار النبى الحلو يكتب للأطفال من أجل غد مشرق ، فى عالم أصبح يكره الأطفال ، لكننا نحب العالم الذى يريد لنا جار النبى أن نعيش فيه.

وأكدت الناقدة زينب العسال أن سلسلة قطر الندى فى أول أعدادها حرصت أن يكون إصدارها الأول كتاباً لجار النبى الحلو ، وهو مجموعة " قط سيامى جميل" ، وهناك كتاب آخر ينتظر الصدور وهو " ليلة سعيدة ياجدتى "..

(وصف الأشياء)

وأضافت زينب العسال أن جار النبى الحلو - دائماً - مايصف الأشياء ، منذ بداية عناوين قصصه ، ولنأخذ مثالاً على ذلك عنوان مجموعته « قط سيامى جميل» ، بالإضافة إلى أننا سنجد مناقشة جادة لقضايا فكرية وفلسفية ، بين ثنايا المجموعة ، تهتم كثيراً بالإنسان فى إطلاقه وعمومه.

ومن التيمات الفارقة فى قصص الأطفال عنده أنه يؤنسن الأشياء من خلال الحوار، وفى مجموعته الثانية " ليلة سعيدة ياجدتى" - تحت الطبع - يضعنا أمام سؤال مهم وهو : ماقيمة الحرية ؟! فالحرية التى يريدها " جار" لاتعنى الفوضى ، فلا جور على حرية الآخر من خلال نموذج يعتمد على الثواب والخطأ ، وهو بذلك يتوازى مع " كليلة ودمنة " لكنه يقدم نصاً أكثر حبكة فيه الكثير من السمات الأسلوبية وأهمها إثارة المشكلة من البداية ، ثم يأتى بالحل مسلسلاً ، وأجمل ما اعتمده أن تأتى الحكاية بأصوات متعددة وهو ماينفى التكرار وينوع الرؤى مما يثير مخيلة الطفل.

(دراما الطفل والسؤال الصعب)

وأشارت المخرجة فايزة حسين أنها عرفت " جار النبى الحلو" من خلال أعمال المخرج محمود ابراهيم ، والذى كان مرشحاً للجائزة الذهبية فى مهرجان التليفزيون من خلال عمل من تأليف " جار النبى".

وأضافت فايزة حسين أنها تمنت حين رأت هذا العمل أن يؤلف " جار" عملاً يمجد المرأة الريفية ، وعرضت عليه الأمر ، فرحب بالفكرة ، وبدأنا بالفعل فى حلقات " حكايات جدتى" ، التى سوف تذاع فى رمضان بعد القادم وهو مسلسل يمزج بين الماضى والحاضر.

أما المخرج محمود ابراهيم فقال فى شهادته : إن أهم مايميز أعمال " جار النبى" أنك ترى من خلالها جار نفسه .. ، فأهم شئ فى العملية الإبداعية أن يكتشف المبدع نفسه من البداية وهو ماحدث عند جار ، والذى تعامل فى كتابته للقضايا العميقة بحس قوى ولغة بسيطة.

وتساءل محمود إبراهيم عن خصوصية الفن المقدم للطفل المصرى ، الذى يكاد يكون غائباً على خريطة الإعلام المصرى - فأين عرائسنا ؟ وأين شخصياتنا ؟ فنحن دائماً نهرب من أنفسنا .

وهو ماأكده أيضاً الفنان حسن العدل الذى طالب بضرورة الاهتمام بالطفل المصرى وإعادة المسرح المدرسى واكتشاف المواهب فى مراحلها المبكرة.

(شهادات عن العمر الجميل)

تضمنت الاحتفالية عدة شهادات إبداعية من رفقاء الدرب، ورفقاء حجرة السطح ، محمد المنسى قنديل ، وفريد أبو سعدة ، وسعيد الكفراوى ، وعبد الستار محمود ومحمد الرفاعى ، ومختار عيسى .

وشهادات أخرى لأدباء وشعراء المحلة : فريد معوض وإيهاب الوردانى ، والمرسى محمد البدوى ، ومحمد عبد الحافظ ناصف ، وإبراهيم عبد الفتاح رمضان ، وميرفت العزونى ، وسعيد عبد الرازق. والثمرة الجديدة فى شجرة إبداع عائلة الحلو « وسام جار النبى« الحلو» والتى جاءت شهادتها تحت عنوان « جار النبى الحلو .. بابا النهر والبيت والوردة".

دوائر خادعة تتفجر

فريدة النقاش

الصديق جار النبى الحلو

الصديقات والأصدقاء

مساء الخير

أود قبل أن أقدم قراءتى القصيرة لقصتين من قصص «جار النبى الحلو» أن أتحدث قليلا عن الإنسان ..ففى زمن المتاجرة هذا الذى ابتذل فيه الإنسان وأذل حيث يقيم كل شئ بسعر السوق نقدا و عدا فى عالم السوق لا يرحم الفراشات الضعيفة ويعوضها عن الطيران ولا الورود الرقيقة ولا لحظات الحنان الدافئ التى يمتلئ بها عالم جار النبى الحلو، إذ يقول المصريون أن الإنسان هو الشئ الوحيد الذى لا سعر له الآن لشدة ما يتعرض للمهانة والاستغلال، أود أن أحيى جار النبى الحلو الإنسان الدمث المفعم بالمشاعر الصادقة المدافع عن القيم النبيلة قليل الكلام سخى الود المنتمى للشعب دون طنطنة الباحث بلا كلل عن المعانى الجميلة وهو يسائل الثابت الراكد العاجز ليكشف عن التحول فى الأعماق، عن ضوء شحيح فى عالم حالك الظلمة.

اخترت قصتين من مجموعتى «القبيح والوردة» وطعم القرنفل» هما..البيتوت» و«وطعم القرنفل» حاولت أن أستكشف فيهما الملامح البنائية جنبا إلى جنب رؤية العالم لدى «جار النبى» ككاتب متميز للقصة القصيرة بين أبناء جيله ،ووجدتنى أقرأ «البيتوت» و«طعم القرنفل» قراءة نقدية آنية ..لأنهما معا تردان على سؤال ماذا يبقى من الأدب بعد زمن كتابته وبعد ما زوال الزمن المضارع الذى كانت اكتملت هذه الكتابة فيه؟..لأكتشف أننا نستطيع دائما أن نستكمل الكتابة الأصيلة بكشف مستويات جديدة للمعنى فيها يتحول ويكاد يخرج على الدائرة التى تنغلق بانتهاء النص فاتحا أبوابا على المستقبل فى عالم هو فى حالة إنتقال.

فى البيتوت نحن مع أسرة فى الريف تحزم أشياءها الفقيرة للرحيل لأن الحكومة سوف تسترجع البيوت التى كان الفلاحون قد استأجروها بعد أن تراكمت الديون على سكانها وهى بيوت كان قد بناها الانجليز فى زمن الاحتلال وسكنها الفلاحون طبعا بعد الاستقلال والتحرر وها هم فى الزمن الجديد مضطرون للرحيل والنوم فى الخلاء.

عند الرحيل.. وفى بدايته تلوح الأشياء بالداخل صامتة .. يلفها الحزن ..على الحيطان كتابة بالطباشير .وفى الختام.. ولاشئ غير الحزن فى القلوب .. البيت الانجليزى قاتم ..كما هو ..نوافذه مغلقة».

وهكذا فيما بين البداية والنهاية يكون البيت الذى استخدمه الفلاحون وتآلفوا معه قد تحول مرة أخرى إلى كيان غريب مقلق ومعاد، أى أن هناك تحولا فى الدلالة الرمزية لهذا البيت تعيده إلى الأصل قوة غريبة أيا كان الغرباء هذه المرة . ومع تفجر الدلالة الرمزية تكون البنية الدائرية هى نفسها قد تفجرت وتجرى ترجمة ذلك التفجر فى التفاصيل الصغيرة .ان انتقال الفلاحين من زمن الاستعمار إلى زمن الاستقلال قد غير بعض أطر حياتهم لا كلها وشكل انتقالا فيها ارتبط «بصورة الزعيم الخالد» الذى تستنتج انه جمال عبد الناصر، وكان الفلاحون ضلع مثلث قوى الشعب العامل فى زمنه وضلعاه الآخران العمال والمثقفون جمال عبد الناصر ..نحن نستنتج ذلك إذ أن الصورة موضوعة فى قلب الأشياء الفقيرة التى ستحملها الأسرة معها فى الزمن الجديد حيث تواجه مصيرها التعيس مطرودة من بيوتها بعد أن كان أبناء العمدة يحسون أن هؤلاء الفلاحين نفخوا صدورهم منذ أن أغلقوا على أنفسهم بابا خشبيا .. والآن فإن عالمهم يتآكل ويصل الحديث دائما إلى حمارة الأب عبد المنعم التى ماتت وفاحت رائحتها ، ويضحكون عند ذكر أجزاخانة الشفاء المغلقة دائما». إن الباب الآن سيفتح عل مصراعيه حتى يخرجوا بعفشهم إلى الخلاء .. لتكتمل دائرة الهوان .

وفى ظل هذا الخلاء الغامض .يعلو صوت الخطاب الدينى فى لفته ذكية من المؤلف -الراوى فالخطاب الدينى الذى ارتبط انتشاره الواسع بحالة التدهور الاجتماعى فى أوساط الفقراء والكادحين ليس من الضرورى أن يكون إسلاميا لأن إسلامية هذا الخطاب أو مسيحيته ليست هى جوهر الظاهرة إنما جوهرها هو ارتباطها بتفاقم البؤس والشعور بالعجز وقلة الحيلة واليأس والبحث عن قوة عليا يلوذ بها البشر. ولا تفوتها

أيضا دلالة الاختيار من كلمات السيد المسيح المقصود بها العزاء

-طوبى للمساكين

ويجرى تكرار هذا الخطاب مرة أخرى بصيغته الاسلامية عندما يرد أحدهم على سؤال ماذا نعم قائلا

-العمل عمل ربنا

ويتكرر فى صيغة ثالثة

-طوبى للغلابة

فيكاد يكون خطابا رئيسيا على ندرته فى الحوار ، وفى ظل الهزيمة التى يتلقاها الفلاحون يأتى اختيار الحكايات الفرعية محكم الدلالة، فثمة مكسب وهمى يتحقق ..ما دام الواقع لايجود إلا بالخسارة عندما يكسب صبحى عوضين دورين دومينو من «أبى مجاهد»

إنه العالم الواقعى الكابى الذى يجرى الاستعاضة عنه بالأحلام والأوهام .وغالبا ما كان بطل جار النبى الحلو يحلم بنهر واسع عميق ..يغتسل فيه ويسبح. بوسعنا الآن أن نقرأ هذه القصة كأنها استشراف لما سيجرى للفلاحين بعد ذلك بعقد من الزمان حين صدرت القوانين التى تطرد الفلاحين من الأرض لتسلمها للملاك بحجة تحرير الزراعة فيخسر الفلاحون وصغار الملاك معا وتعيش بعض مواقع الريف مآسى فعلية..

البرودة تلف العالم فى بداية طعم« القرنفل» وفى النهاية حيث هذه البنية الدائرية الخادعة مرة أخرى..

يبدأ القصة على هذا النحو: « طرقت الباب أول مرة، وكنت قد خلفت ورائى الظلمة والبرد اللاسع والكلاب الضالة..».

وفى النهاية» واجهت البرد مرة أخرى ..كان أشد وطأة»..

والبرد أشد وطأة ليس لأنها ليلة أمشيرية فقط .. ولكن لأن العالم المرسوم كله عالم معزول يكاد الخواء يغلقه على ذاته ..ذهب الراوى ليقضى الليلة عند صديقة وهو لا يعرف أين سيبيت ..فلا يجده. وعلى امتداد السرد يخيل إلينا أن الصديق لولا بعض التفاصيل هو شخص وهمى لا وجود له لأن« عايدة» الزوجة تتحدث عنه بحياد كامل . ولا نجده حميما أبدا إلا فى حلمها بعالم جديد ديناميكى وبهيج وبرجوازى على المقاس فضلا عن

أنها امرأة وحيدة وحدة مطلقة فى عالمها المعزول هذا وكأنها الوطن الذى يقف على منحنى طريق قد يؤدى أو لا يؤدى إلى مسالك كثيرة ..يقف بين الحداثة وما قبل الحداثة..

«وحدنا نعيش فى هذا المكان الذى يقع بين الريف والطاحونة والقاهرة ، لا أحد يزورنا».. ثم تأتى المقارنة مع الماضى القريب قبل زمن العزلة والبرودة ، قبل أن يتقوض العالم القديم بقيمة البسيطة الجماعية لتحل قيم المنفعة العارية قبل أن تنطفئ جذوة الغليان الثورى.

«كنا زمان نزور الأصدقاء نفرح ونتناقش ونزعل ونعود نجرى وراء التاكسيات نعود مرهقين فرحين فنأكل لقمة وننام ونشبع ..»

هناك إذن فقدان للتواصل وللدفء الذى يجده الراوى فى الكرسى ..كأنما الأشياء تحل محل البشر..

ثمة إشارات إلى أن « عايدة» كانت مناضلة ثورية إشتراكية سجنت مرتين ، مرة قبل أن تصبح أما ومرة أخرى بعد أن أنجبت ابنتها ، وفى المرة الثانية كانت طفلتها ليلى هى سجنها الحقيقى ..اتهمها رفاقها ورفيقاتها بالضعف ، وعلينا نحن أن نستنتج أن ذلك الاتهام هو سبب عزلتهما وانقطاع الأصدقاء عنهما ..أو لعله حلمها هى بالخروج كلية من عالم النضال والمخاطرة إلى الاستقرار والأسرة ونلاحظ أن اسمها عايدة فلأى شئ تعود.

إن الفن الأصيل قادر على الايحاء بما هو أشمل وأعم ..بما يمكننا أن نسميه ملامح كلية للزمن ..فإن كان الفلاحون يطردون من البيوت دون أى مقاومة منظمة فإن المثقفين الثوريين لابد أن يكونوا معزولين من البعد والبرودة فهذا ليس فحسب ابتعادا عن بعضهم البعض ولكنه أيضا ابتعاد عن الجماهير التى كانت كعبة الرجاء لهم ، حيث أصبح انغماسهم فى أنفسهم وأحلامهم الخاصة وحدها صنوا للبرودة.

إنها رسالة حب حزين شفيف لحركة ثورية أخذت تذوى ..لكن المجرى التحتى للتحولات الذى يكشف لنا مراوغة البنية المغلقة تتفجر بعزيمة «عايدة». لاحظ اختيار اسمها الذى يدل على أن تراجعها هو من أجل بداية أخرى إنها تعود ..لقد أخذت عايدة تذاكر ،تفتح لنفسها آفاق معرفة جديدة لعلها تدلها مجددا على الطريق إلى الخروج من



وحدتها القاتلة وآلمها العظيم الذى ارتبط كما ارتبطت عملية إخلاء البيوت بالانقلاب الاجتماعى الهائل الذى صاحب الخيارات الاقتصادية -السياسية المسماة بالانفتاح الاقتصادى ، أو لعلها تعود رلى عالمها الطبقى القديم ،فتكون المعرفة الجديدة سبيلا للارتقاء المهنى .

يخيل إلى أحيانا أن الروح الشاعرية المكثفة واللغة الشفيفة الحزينة تحجب عنفوان الحقيقة الشعبية بينما هى تبتغى الغوص فى الأعماق ، لعل مرد ذلك إلى النزعة العاطفية والزوائد والتكرار غير الفنى الذى نجده هنا وهناك مع توجه صارم للتخلص منه كلما كان بناء القصة عند «جار النبى الحلو» أكثر تركيبا .

هذه القراءة القصيرة هى تحيتى لكم وللصديق الفنان جار النبى الحلو.

الحلو الجار النبى

* سعيد الكفراوى

دون وعى منى ، باعتبار أن كل الأشياء الطيبة تكمن فى الوعى لذاتها ، وبذاتها ، لذلك فاننى أحمل فى داخل روحى كل الذكريات الطيبة التى جمعتنى رغم مرور السنين ، والتى فى كل أحوالها باقية لايصيبها العمى ، لذلك الرجل المحب والذى كنيته « جار النبى الحلو ».

تلك آيام مضت .. منتصف الستينات حيث التقيت بجار وجماعته .(أستطيع أن أسترسل طويلاً فى الكتابة عن تلك الأيام ، وعن هذه الرفقة الجليلة ، الا أننا تكلمنا بما فيه الكفاية عن رفقة هذا العمر الجليل).

دعونى هذه المرة أتكلم عن ذلك الوهج الذى يكمن مشعاً فى روح هذا الكاتب الجميل .

من بين كل الأصدقاء الذين عرفتهم كان لجار النبى فى نفسى ذلك الأثر الذى لايمحى عبر تواتر المشاعر .. الصدق .. المحبة .. النبل .. الولاء للحقيقة ، وشجاعة الدفاع عنها . وإخلاصه لمن أحبهم بصدق ودافع عن وجودهم فى المكان والزمان.

كانت تلك مشاعر جار النبى الحلو .. الفن مواز للحقيقة ، لذا واصل طوال عمره اكتشافه لحقيقة هؤلاء الناس الذين أبدعهم على الورق .. يجوس خلال أرواحهم ، ويسعى عبر دروب الحياة الحقيقية مجتازاً دروب الأشياء الصغيرة المدهشة مجسداً تلك القيم التى تعمر بها أرواح المصريين . إدراك جليل لمعنى الحياة والموت ، والفرح بالحياة ذاتها باعتبارها عطية الإله للإنسان .. معرفة أسمى من الشعر للتعبير عن واقع تعرف عليه ، وكان يخصه هو وحده فانعكس فى نصه الفنى ، وانعكس فى

علاقته بالبشر . هؤلاء الأطفال الأكثر جمالا وبهاءً بملامحهم المصرية الخالصة، الذين يعبرون الصفحات ، ويجوسون على الورق ، باحثين عن عزاء طيب لجروحهم الصغيرة ، ولفجيعتهم الإنسانية يمسحون دمعة الفطرة الأولى ، ويجهدون فى البحث عن زمن لتحقيق عدل مفتقد يطرحون على متغيرات الواقع أسئلتهم المحيرة عن الروح، والظلم ، ينبثق من حنايا ضلوعهم ضوء يشع لاكتشاف أول بذرة تنبت تعبيراً عن حياة طالعة.

ولأن جار النبى - الذى أعرفه - ينتمى لرهط هائل من الفقراء . هؤلاء الذين يسكنون على ضفاف المدن ، ويتشبثون بالهامش حيث الخلاء الفسيح (كان بيت جار النبى قديما يقبع هناك بين العمار والفراغ المفتوح على حقول وحيدة ، وعلى اتساع الأبدية) . وكنا حين نزوره مغادرين أماكن إقامتنا المتوحدة ، مخترقين تلك الشوارع الزحمة فى ليل المدينة الشاحب ، مجتازين ممراً تشقه بعض الأشجار ، عنباية مثمرة بعناقيد لها لون المرجان. نصعد حتى حجرة إقامته على سطوح خالية (كتب جار النبى الحلو روايتين عن عالم هذه الحجرة الموازى للحياة ذاتها) ، وعبر السطح الخالى كنا نسمع أصوات الليل. ما الذى كان يشغلنا فى تلك الأمسيات من شئون الحياة والفن؟ ما الذى كنا نحدق فيه خلال الليل باحثين عن موطئ قدم لحياتنا؟ الشمس كانت تغيب وتطلع فى اليوم التالى ، دورة بعد دورة، علامة على مرور السنين ، ونحن رغبتنا فى المعرفة ، معرفة ذلك المجهول الذى يؤرق حياتنا ، وجار فى الوسط مثل عمود الخيمة يتحدث ويثير صوته فينا الشجن ، وصور على الحائط لثوار ومطربين وقصائد من الشعر تحلم بصياغة عالم جديد لا يعرف الخجل.

كنت أنا وجار النبى نختلف كثيراً حول قضايا الكتابة .. الشكل والمضمون .. المعنى والدلالة .. كتاب بعينهم يحبهم جار ولاأحبهم .. قراءة لما نكتبه ، ونناقشه بحد السكين الجارح . كان عقلى يجهد فى توصيل ما أود توصيله لجار النبى الحلو ، وكان انفعاله حاداً وعصبياً ، ونفترق وبداخلنا قدر من النقمة على أنفسنا وعلى العالم.

فى اليوم التالى أراه يقترب بخطواته المحسوسة ، يتسلل خفيفاً مثل الهواء ، أشعر



بوهج عاطفته التى تنبثق من حنايا روحه ، يقترب بشكل مفاجئ ، دانياً منى هامساً فى أذنى.

لسه زعلان ؟

انحنى مقبلاً رأسه ، ويداخلى ذلك الإحساس الطاغى من الحنو الراسخ هامساً لنفسى ببيت الشعر « الحياة من غيرك لاتكون جميلة ، ونحن جديرون بأن نحياها ».

لماذا ؟

لأن الأصدقاء الطيبين قليلون فى زماننا هذا إلى حد الوجيعة . ولأن جار أول من يسأل عنك ، وعن ألمك ووجعك ، وأول من يوصل لك محبته بما تكتبه ، وأول من يسأل عن أخبار عيالك .. ويهمس فى أذنك (أعمالك كلها على مكتبى .. حين أكتب اقرأ لك» تسعد بما قاله ، وتحزن عندما يشكو لك خيانة من خان ، وغدر من غدر . يدميه خيانات الأصدقاء الصغيرة ، والويل لك إن لدغت شخصاً أحبه جار.

نرحل بعيداً عن المدينة التى احتوتنا مثل أسراب الطيور المهاجرة . نجمع أشلاءنا شلوا بعد شلو فى غربتنا مغادرين عشنا باحثين عن ملاذ لأرواحنا الجريحة ، وهو هناك فى الزمان والمكان مثل ذكر التوت المغروس على شاطئ النهر ، نرحل ونعود إليه .. يحسن وفادتنا ، ويحمل فى روحه لنا ذلك الحنو الجميل والمحبة الخالصة.

جارو .. أو الوعل الجميل

* محمد فريد أبو سعده

فى خريف ١٩٦٥ تعرفت على المنسى قنديل ، وفى نفس الخريف قدمنى لصديقه «جار النبى» شاب أسمر حاد ، مجنون بالكرة والتمثيل ، مدلل فى أسرة ميسورة ، يعكف أحد أبنائها على قراءة الأدب الفرنسى ، ويترجم لأناتول فرانس ، بينما يخرج الابن الأكبر فى العصارى ممتطياً فرسه فى نزهة لاتخلو من الكبر أو الكبرياء!! أما الأب فقد أضاع عينيه فى رسم عبد الوهاب واسمهان ، وفى قراءة ألف ليلة وليلة وكتب الطب والسحر والتنجيم!

كان البيت ، منذ رأيته فى هذا الخريف البعيد ، يبدو وكأنه خارج على السياق ، ليس فقط لأنه بيت بحديقة ، وليس فقط لأنه يضم هذه العناصر الغريبة فى اجتماعها معاً ، ولكن لأنه بدا وكأنه بنى ، كالحلم ، على حافة مهددة بالانهيار.

إنه على أية حال بيت جار النبى الذى كتبه فى « بيت على نهر» و« حجرة فوق السطح» ولابد أنه ينتهى ، كأسطورة ، فى الجزء الثالث « قمر الشتاء».

قدمه لى المنسى ، فى هذا الخريف الجميل ، باعتباره كاتباً ، وأنهما معا كانا يملآن صحف الحائط بقصصهما فى مدرسة الأقباط الاعدادية.

ترى ما الذى فتح وعى الصبى على الكتابة ؟

هل هى رؤية الأخ المثقف بكر وهو يحظى باحترام العائلة ؟

أم مراقبة الأب . الذى ظل يقرأ ويرسم حتى كف بصره ؟

كان بكر قارئاً ومترجماً ممتازاً ، لكنه لم يتحول إلى كاتب أبداً . وكان الأب رساماً وقارئاً وحكاءً فذاً ، لكنه لم يكتب أبداً فهل كان جار النبى منذوراً لاكتمال هذا

النشيد هل كل عليه أن يحرر هذه العوالم المحبوسة ويخرجها من القمقم لتنطلق وتشكل وجدان من تصادفه . ربما . وربما أيضاً أخذ جار النبى عن أخيه محمد ، الأكبر ، عناده واعتداده ، بل وحدته غير المبررة أحيانا ، غير أن المدهش بحق هو الكيفية التى استطاع بها جار النبى أن يقصى هذه الحدة بعيداً تحت طبقات من العذوبة ، العذوبة التى تشكل وتقود انطباعات الآخرين عنه.

لابد أنها الكتابة ، الخبرة بالحياة والعالم ، هى التى مكنته من أن يبدو لنا على هذا النحو من العذوبة والعفة.

لماذا سارت شهادتى فى هذا الاتجاه ، ولماذا أرادت ، دون قصد منى ، اكتشاف أصول إبداعه ، أو مصادره البعيدة . وهل هذا ممكن ، قصدنا أو لم نقصد ؟!

جار النبى كاتب له قضية ، ومنذ هذا الخريف البعيد راحت حكاياته تتحول عبر التجربة والخبرة من علامة على العوالم بما هو عليه ، إلى العالم كما ينبغى أن تكون.

رافق هذا التحول فى الكتابة تحول عميق فى رؤيته الاجتماعية . أذكر أننا ، هو والمنسى وأنا ، كتبنا على جدار « الغرفة» رؤيتنا للفن ، قال المنسى ؛ الفن للفن . وقال جار: الفن للناس . وقلت الفن للحياة.

كنا هو وأنا نشكل موقفاً مختلفاً عن موقف المنسى آنذاك ، كنا مملوءين بالرغبة فى تغيير العالم ، مصدقين أن الكتابة قادرة على ذلك ، محترقين بهذا الوهم الجميل.

كان المنسى يتقلب فى فنون الكتابة ، مولعاً بالتجريب ، ينزلق خفيفاً بين المدارس والاتجاهات الأدبية وإن ظل فى كل ماكتبه وفياً لتصدعات الروح ومكابدات عدم التحقق.

عالم جار ، وبشكل عام ، قد يفسد بعض التفاصيل المهمة ، هو عالم المهمشين ، عالم يبدو محشوراً ومتآكلاً فى أن بين المدينة والريف ، عالم يبدو طازجاً لأنه مرسوم بمخيلة طفل ، وعميقاً لأنه سليل الحكاية المنقحة ، الحكاية بعد أن أصبحت أمثولة على التناقض ، وإشارة على المكان الذى ينبغى أن يتلقى الضربة الأولى من الفأس

لتنطلق المياه .
لاأعرف هل يختار جار النبى من رصيده الحكائى مايدل على المعنى أم أن المعنى هو الذى يقوده إلى الاختيار من حكاياته وهل هناك فرق كبير!

لم يعر جار اهتماماً لغواية التجريب ، بل ظل وفياً لسرده الغنائى الذى يلامس الشعر ، الذى ما إن نستشعر ألفته حتى يفاجئنا بأن الحكاية ليست سوى سطح مراوغ جميل كفخ وأن مانألفه منها يقودنا إلى مالم نألف.

ما الذى يراهن عليه جار النبى ، وقد أصبح كاتباً محترفا ومرموقاً . ما الذى يسكن الحكايات والقصص والروايات ، والدراما التليفزيونية قد أجازف وأقول إن كل ماكتبه جار حتى الآن ليس إلا بكائية على طلل.

بكائية تمتد من الأسى وحتى النحيب ، بكائية على زمن برئ ، زمن البراح السعيد ، أناس طيبون تخذلهم التحولات ، وتقتل أشواقهم للحرية والعدل.

إنها تفرس لايخلو من غنائية فى التدابير الغريبة للمصائر ، إنها بكائية الحكاء الشاعر الذى عاد فلم يجد سوى الأطلال أما القبيلة فقد اختفت !

أعتقد أن كل ماكتبه جار ليس إلا تداعيات لوقفته تلك ، كما أعتقد أن عمله الكبير ، رباعيته الروائية ، هو علامة بارزة ودالة على هذا العالم الجميل الذى اندثر أو كاد.

وهو مايجعلنى أشعر أن جار النبى ، وهو يغلق هذا القوس الهائل ، ويستنقذ لنا هذا العالم قبل أن يختفى تاماً مع ردم النهر ، قد أصبح مهيئاً لافتتاح قوس جديد وتقديم كتابة أخرى مغايرة.

لاأعرف هل ماقلته هنا ، الآن ، يمكن أن يقنص بعضاً من معرفتى بهذا الوعل الجميل . لا أظن.

جار النبـى .. والشئ الصغير الباقى

* محمد المنسى قنديل

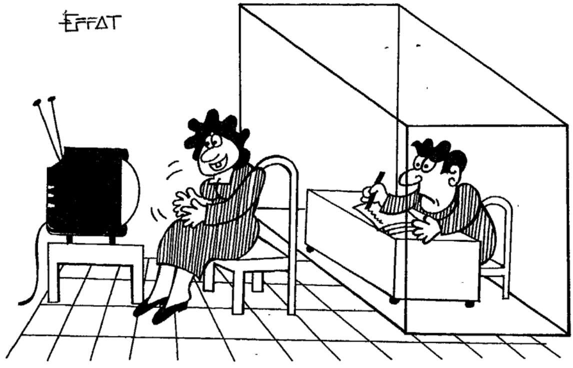
معرفتى بجار النبى هى الشئ الوحيد الذى يكشف عن عمرى وعن حقيقتى . ربما يمكننى أن اختصر بضع من السنوات . أو أخفى بعضا من الحقائق ولكن علاقتى مع جار النبى تكشف كل شئ . ربما كان هو الوحيد . وربما كنت أنا أيضا الوحيد . اللذان عشنا معاً لحظات التكوين الأولى بكل مافيها من عفوية وترقب . وربما كان أهم الاكتشافات فى حياتى هى التى اكتشفتها معه . لقد غادرت المحله فى مرحلة مبكرة . وطفت معظم أرجاء العالم فى مرحلة متأخرة ولكنى فعلت ذلك بعقل واع قد أتم تكوينه . ولم تفعل بى هذه الرحلة الطويلة أكثر من أنها أضافت الى المزيد من التفاصيل ولكنها لم تغير شيئا من قناعاتى . كانت تجاربى الأساسية قد اكتملت . وكانت جروح الروح قد التأمت . ولم يعد هناك مجال للتراجع أو التأسى. واجهت أنا وجار النبى تجربة الموت للمرة الأولى حين مات واحد من أعز أصدقائنا أمام أعيننا غرقاً فى بحر كفر حجازى. وقد طبعت هذه التجربة حياتنا بالخوف لفترة طويلة وقربت المسافة بيننا إلى حد بعيد . كنا خائفين ومرتجفين وقد فرض علينا السيد الموت وجوده منذ زمن مبكر وكان ثالثنا فى هذه التجربة المفزعة الشاعر فريد أبو سعده . وأعتقد أن الصداقة العميقة التى نمت بين ثلاثتنا فى تلك الأيام لن تفصل عراها تلك الأيام الضنينة مهما تباعدت المسافات . ولاأستطيع أن أذكر عدد الساعات التى قضيناها نحن الثلاثة فى تلك الغرفة العلوية فى منزل جار النبى . كانت هذه أكثر غرفة فى العالم جمعت عدداً من الأصدقاء . وكنا نحن الثلاثة أكثر من عاش فيها . ذاكرنا فيها معظم مراحل الدراسة قبل الجامعة . وكتبنا فيها بدايات القصص والأشعار .

وقرأنا الكتب التى طبعت بداياتنا . وعشنا فيها أيضا كل خيبات الحب الأولى . ماذا كان فى العالم غير ذلك ! من الغريب إننا رغم كل طول هذه العشرة لم نكن متشابهين . كل واحد منا كان نسيجا مختلفا . جار النبى آمن بالواقعية الاشتراكية إلى حد متزمت . وكتب الكثير من القصص فى هذا المجال . ثم تخلى عن غرفته عندما تمكن من حرفته وأدواته الأدبية وبدأ مثل كل القصاصين الموهوبين يضع مفردات عالمه الخاص. ولم يخرج هذا العالم عن مدينتنا الصغيرة " المحلة " ولكنه صنع مدينة مختلفة . تشبهها وتبتعد عنها فى الوقت نفسه . لقد دخلت تفاصيل البيوت والشوارع ومصنع النسيج الضخم والحقول والترع التى تحيط بها إلى ذاته . وخرجت منها مدينة مختلفة أكثر طفولية وبراءة. ولكنها براءة خادعة أحيانا لأنها تخفى داخلها عنف الحياة وقسوتها وصراعاتها . لقد كانت اختيارات جار النبى دائما صعبة للغاية . ففى الوقت الذى سعى فيه معظم أبناء جيله - بمن فيهم أنا وفريد أبو سعده وسعيد الكفراوى ومحمد صالح ونصر أبو زيد - إلى السفر إلى القاهرة حيث تتوفر أدوات النشر وتتسلط أجهزة الإعلام فضل هو البقاء . قرر أن يغزو القاهرة من موقعه فى المحلة وهى معركة شبه خاسرة لكل من حاول أن يجربها . ولكن دهشتى الشديدة فقد صمد جار النبى طويلا . وهو مازال صامداً على أى حال . وهو لم يكتف بأن يجد له مكانا على الصفحات الثقافية فى القاهرة فقط ولكن فى العديد من العواصم العربية . لقد تحدى الغول الكامن فى العاصمة وحافظ على سلامة النفس التى فقدناها جميعاً فى بحثنا اللاهث عن مكان وسط هذا الزحام والصخب . ولم يحسن جار النبى استثمار هذا المكان الصغير فقط ، ولكنه أحسن استثمار المتع الصغيرة أيضاً ولعل هذا الأمر هو الذى جنبه الكثير من الاغراءات وأعتقد لو أن الشيطان جاء إليه وهو يستريح إلى ظل شجرة ووعده بكل مافى العالم من أضواء ساطعة لفضل بمواصلة الراحة فى ظل الشجرة . لقد حول كل أحلامه وطموحاته ولحظات ضعفه ومخاوفه وضيقه من الآخرين إلى كلمات . مجرد كلمات مجردة .

مركبة . لاتؤذى ولاتسيل دماً . ولكنها كفيلة بأن تطهره أولاً بأول . ولعل هذا هو الذى أهله حتى يدخل عالم الأطفال ويقص عليهم العديد من القصص . لقد استطاع أن يتحول إلى عالم الطفل بسهولة بالغة لأنه كان يملك كل مؤهلات هذا التحول . شئ من البراءة والكثير من الصدق وقدرة على الغوص فى عالم آخر كان دائما مايأخذه بعيداً عن الحيز الضيق الذى يحيط به . كان جار النبى الذى عاش محاصراً بكل ظروف الحياة يرفض هذا الحصار ويسمو عليه ويخلق عالماً بلا حدود . ألم أقل لكم من قبل أنه أقام مدينته الخاصة . وهو لم يملأ هذه المدينة بالتفاصيل فقط ولكنه ملأها بضحكته المجلجلة . إنها ضحكة لازمته منذ زمن الطفولة حتى بداية الكهولة . وهى الشئ الوحيد الذى لم يشخ حتى الآن . ربما كان قلبه لم يشخ أيضا . ولكن الله عليم بالقلوب . المهم أنه كان يقابلنى دائما بهذه الضحكة . مهما عدت اليه مثخناً بالجروح حاملاً معى حفنات من الهزائم والاخفاقات . كان يحزن من أجلى قليلاً ثم ماتلبث ضحكته أن تخونه فترتفع مجلجلة . وإذا كانت الموهبة لاتورث فانه أيضا خالف هذه القاعدة وأعطى جزءاً من قبس إبداعه لإبنته « وسام» . هذه الآنسة الصغيرة هى بلا شك قصاصة موهوبة . ولها أفكار ولمحات تثير الحسد فى نفوسنا نحن القصاصين . وربما كانت هذه أيضاً إحدى هبات الطبيعة لجار النبى أن يرى من يتبع خطاه أو بالأحرى يرى ظلاله مفعماً بالرقة والحياة . لقد ابتعدت فى السنوات الأخيرة عن مدينتى بأكملها . وعشت وسط ديار العديد من المدن . وتركت جزءاً من ذاكرتى فى كل مكان . وأحسست بالألم واللوعة والحنين والاشتياق . ووقفت على حافة ذلك الخط الوهمى الذى تحتار فيه الروح لأى الأماكن تنتمى وفى أيها يمكن أن تجد راحتها . ولكنى كنت أدرك بطريقة غامضة أن قبرى لن يوجد إلا فى مكان واحد حيث يوجد من يضع عليه زهرة من الصبار ويرش قليلاً من الماء ويقرأ الفاتحة وأعتقد أن جار النبى سوف يقوم من أجلى بكل هذه الأشياء.



مقال



أدب السيرة الذاتية
فى ضوء ما بعد الحداثة

نجلاء أبو عجاج

تلقى ما بعد الحداثة بظلال الشك حول مفهومين أساسيين يتعلقان بأدب السيرة الذاتية ، وهما مفهوم «الذات» ومفهوم «الواقع» ،فيقول ديفيد هوكس «إن ما بعد الحداثة تشكك فى وجود وعى منفصل وفى وجود ما يعرف بالذات المستقلة (١) »ولقد كان الفكر الغربى قد دأب على وضع حدود فاصلة بين أمرين هما «الذات» «والموضوع» ،فالذات تخبر العالم وتكون أفكاراً عنه ، أما الموضوع فهو عبارة عن الأشياء الخارجية

المادية التى توجد خارج الذات ، ولكن فكر ما بعد الحداثة يرفض هذه الثنائية كما فى قول هوكس بأن الذات هى مجرد نوع من الوحدة الظاهرية الكاذبة التى تجمع عدداً من الخبرات والممارسات الخاصة بالموضوع(٢) أى أن تعريف الذات كما عرفه الفكر الغربى لسنوات طويلة قد أصبح موضع شك كبير ،وكذلك فإن الواقع أيضا أو الموضوع قد تعرض تعريفه لاهتزازات عنيفة، كما أوضح زيد الدين ساردار فى كتابه «ما بعد الحداثة والآخر : ثقافة الغرب الاستعمارية الجديدة» إذ قال إن فلسفة ما بعد الحداثة لا ترى أن هناك واقعاً أو حقيقة وراء الأشياء (٣).

ولما كان تعريف أدب السيرة الذاتية كما أورده جى . بى. روس فى مقالته «عند زيارة الحياة مرة أخرى :علاقة أدب السيرة الذاتية بالمرجعية فى عالم ما بعد الحداثة وما بعد البنيوية (٤) هو محاولة الكاتب تقديم قصة حياته الفعلية بهدف الكشف عن الدوافع وراء بعض التصرفات والأفعال التى لم يكن لمعاصريه إلا أن يروا ظاهرها ، فإن هذه العملية تثير مشكلتين أساسيتين ، تتعلق إحداهما بالذات التى تكتب أحداثا دارت فى حياتها ،والأخرى تتعلق بالأحداث ذاتها ، وهذا يرجع إلى أننا عندما نرى العالم أو نصفه فإننا لا نقوم فقط بفعل «الرؤية» أو بفعل «الوصف» بصورة مجردة ،إنما نحن ننقل صورة عن هذا العالم كما نراه نحن، أى أن الأمر يتطلب وسيطا بشريا ،وليس هناك اتفاق حول مفهوم هذا الوسيط البشرى ، الذى هو «الذات» ، هذا إلى جانب أنه ليست هناك وسيلة تمكننا من التأكد من أن ما نراه فى هذا العالم هو الحقيقة ، فعند ميشيل فوكو ليس هناك جوهر وراء الأشياء فكل شئ يخضع لتفسير من يراه ، وبالتالى فإنه من وجهة نظر فلسفة ما بعد الحداثة ليست هناك جدوى لمشروع كتابة السيرة الذاتية نهائيا.

ولكن يقدم روس عدة فنقاط تثرى البحث فى هذا النوع من الكتابة إذ ينبه إلى أهمية دراسة تقنيات السرد الذى هو عنصر مهم من عناصر السيرة الذاتية ،كما أن العلاقة بين المؤلف والذات التى يقدمها فى كتاباته، الواقع هى أيضا مجال خصب للبحث، هذا بالإضافة إلى مشكلة الهوية فى أدب السيرة الذاتية ،وحقا إن النصوص التى ينتجها لنا أدب السيرة الذاتية هى الشئ الوحيد الذى نملكه والذى هو بين يدينا، فلا توجد حياة خارج النصوص ولا توجد وسيلة لتكوين مقولات عن الحياة إلا عن طريق هذه النصوص

، وبالتالى فإنه من العبث أن نتحدث عن حياة حقيقية خارج النص أو الكلمة المنطوقة ، ولكن هذه النصوص أيضا لاقيمة لها إذا لم نربطها بالعالم الخارجى ، بشئ ما خارج حدود هذه النصوص تقوم بوصفه بصور متفاوتة من حيث الدقة، وهنا يمكن أن نقول إن روس يدعو إلى اعتبار أدب السيرة الذاتية جزءاً من الواقع ، ويجب أن ننظر إليه على أنه نوع من الأدب يأخذ الحقيقة فى الاعتبار ولكن الحقيقة التى يقدمها هى الحقيقة كما تراها عين فريدة محددة هى عين الكاتب الذى هو الراوى والذات موضوع الكتابة فى آن واحد .وحتى تتم كتابة السيرة الذاتية ،فإن كل ما يحتاج إليه الكاتب هو المرجعية ، حقاً إنه سيقوم بحكاية حدث مر بالفعل فى حياته ، وستساعده كثيراً معرفته بذاته ، أو ما يظن أنها ذاته ،فى ذلك الأمر، كما أن هذا النوع من الكتابة يعد أيضا من بين وسائل معرفة الذات أو خلقها أو إعادة خلقها.

وهذا هو ما قامت به «وردة» الشخصية الرئيسية فى رواية صنع الله ابراهيم التى تحمل هذا الاسم ،فإن كل الأحداث المتعلقة بالجهاد فى سبيل تحرير الوطن فى سلطنة عمان وفى سبيل نشر الأفكار التقدمية تأتى فى مذكرات وردة والتى تقوم بكتابتها أثناء الأحداث الغامرة التى تدور فى حياتها بدءاً من انضمامها للتقدميين عندما كانت تدرس بالجامعة فى لبنان ومروراً باتخاذ القرار بالعودة إلى السلطنة من أجل الكفاح المسلح وانتهاءً بمصيرها الذى لم تفصح عنه المذكرات وإنما أشارت إليه فقط ، وربما أرادت وردة أن تكتب مذكراتها فى محاولة لوضع إطار لحياتها يجمع بين الأحداث المنفردة لتكوين كل متكامل له دلالة ما، ففى كلمات وردة «اليوميات هى الطريقة الوحيدة للمحافظة على الوقائع ودراستها واستخلاص الدروس منها . سلاحنا الوحيد ضد الغدر والهزيمة(٥) ،ولما كانت لهذه المذكرات أهمية كبرى فقد أوصت وردة أن يتم تسليمها لصديق مصرى تثق فيه ،وهو رشدى رفيق الدراسة بالقاهرة قبل أن تنتقل وردة إلى لبنان ،وعندما يصل رشدى إلى مسقط ويبدأ فى رحلة البحث يتعرض لعدة أحداث غامضة منها أن يتصل به شخص ما بغرض أن يساعده فى الوصول إلى المذكرات ويطلب منه أن يلقاه بصورة سرية مريبة ،ومنها أيضا محاولة للقتل ،وهذا يعطى للمذكرات أهمية ،قد تكمن فى أن لها القدرة على تفكيك الأيديولوجيا التى تحكم المجتمع

الحالى فى السلطنة ، وذلك عن طريق إماطة اللثام عن نقاط مجهولة فى حياة وردة والمحيطين بها ،ومن بينهم مثلا يعرب شقيقها الذى أصبح الآن أحد المسئولين الكبار بعد أن خان وردة وخان الفكر التقدمى وغير اسمه إلى« الحارث بن عيشة» ، أى أن هذه المذكرات وهى نموذج لأدب السيرة الذاتية، هى جزء من الواقع ،كما أنها تقوم بتقديم شخصية وردة بصورة تمثل تهديدا للمجتمع المحافظ الذى تصفه الرواية ، وربما يؤدى هذا إلى إحداث نوع من الاهتزاز لفكر هذا المجتمع ،وهكذا يثبت الدور الذى تقوم به هذه المذكرات فى رواية «وردة» رؤية روس بأن موجة ما بعد الحداثة ستنحسر وتترك الساحة لنظرية اجتماعية جديدة تقترب من الواقعية ولكن لا سبيل إلى التكهن بتفاصيلها الآن(٦).

الهوامش:

1- DAVID HAWKES . IDEOLOGY . LONDON NEW YORK ROU-LEDGE..P.4

2-DAVID HAWKES.P.5

3-ZIAUDDIN SARDAR . POSTOODERNISM AND THE OTHER

4-THE NEW IMPERIAISM OF WESTERN CULTURE LONDON : PLUTO PRESS 1998.

5- J. R THE TRUE LIFE REVISITED :AUTOBIOGRAPHY AND REF-ERENTIALITY AFTER HE “POSTS” HTTP: WWW. VALT . HELSINKI FI /STAFF / JPROOS / TRUELIFE. HT M//

٦- صنع الله إبراهيم «وردة» القاهرة : دار المستقبل العربى ، ٢٠٠٠ ص٣٦٨.

دراسة



الخبز الحافى لمحمد شكرى: ظاهرة الأبيسية فى الأدب

إبراهيم المنصورى

هى سيرة ذاتية روائية، تغطى العشرين سنة الأولى ،من حياة **محمد شكرى** .(من سنة ١٩٣٥ إلى سنة ١٩٥٦) .على أساس أن سيرته الذاتية الروائية الثانية :الشطار (أو «زمن الأخطاء» كما سماها الناشر) .تغطى العشرين سنة الثانية .وهى سيرة الليليين ،كما يحلو للكاتب أن ينعش السكارى والحشاشين والنشالين والعاطلين والفقراء ، ورواد المقاهى الليلية الرخيصة ..الذين يحكى عن ذكرايتهم معه ، وذكرياته معهم .

تضم هذه السيرة الذاتية الروائية ، ثلاثة عشر فصلا. الأول :يصور فيه الكاتب عائلته داخل المشهد المخيف ،لمجاعة بداية الأربعينيات الشهيرة، التى ضربت المغرب. حيث معاناة الكاتب صحبة أسرته ،من ويلات وآلام الجوع ، وبحثه غير المجدى ،عن فضلات الطعام فى المزابل ! والأب المتسلط المستبد ، الذى يقتل طفله الصغير ،الذى يتضور جوعا ! ثم يدخل السجن ،ليس بسبب هذه الجريمة ، بل بأمر آخر ، متعلق بعمله القديم، كجندى بالجيش الأسبانى ..كل هذه الذكريات الفجة ، يرصدها الكاتب ، بمدينة طنجة التى هاجر إليها الكاتب –صحبة أسرته –من قبيلة بنى شيكر ،بإقليم الريف المغربى .هروبا من الموت جوعاً .لكن طنجة لم تكن أكثر خبزاً ،كما تصور..

والفصل الأخير : يحكى فيه عن الشاب الأمى الجاهل ،الذى بلغ العشرين ، لكن لعبة القراءة والكتابة ،بنكهتها الغريبة وقت ذاك، أغرته ،وجرته إلى الانكواء بنارها ..ذلك أن الطالب القادم من مدينة تطوان ،والمسمى عبد المالك ،استفزت شكرى صولاته وجولاته فى قراءة المجلات المصرية ،والتعليق على الأحداث السياسية وغير السياسية ،والكتابة للآخرين ،بالمقاهى العمومية ،فقرر شكرى الذهاب إلى مدينة العرائس ،ليتعلم القراءة والكتابة فى سن العشرين ! غير أنه قبل رحيله ، يقرر الذهاب صحبة عبد المالك نفسه ،إلى المقبرة ،حيث مثوى أخيه الطفل ،ويطلب من عبد المالك (القارئ) .أن يقرأ عليه بعض سور القرآن الكريم ،ويفكر الكاتب الليلى، غير الطاهر، كيف أن أخاه مات طفلا ،نقيا من أدران الحياة ، وسيصير بالتالى ملاكاً .أما هو فيقول لنفسه :«لقد فاتنى أن أكون ملاكاً» .إيذانا بحياة الدنس القادمة ، التى قد تفوق فى حدتها ،ما مضى من حياة الشارع.

وبين هذين الفصلين ،يغور محمد شكرى فى سرد ذكرياته فى الفشل الاجتماعى، والسرقة ،والعمل فى التهريب ،والبيع بالتجوال .وهى حياة بوهيمية ، قوامها إدمان الخمر والمخدرات . ربما هى حياة ،أبى الكاتب إلا أن تكون ،كما نادى فى كلمته التقديمية:

«لا تنسوا أن لعبة الزمن أقوى منا .لعبة مميتة هى . لا يمكن أن نواجهها إلا بأن نعيش الموت السابق لموتنا ،لإماتتنا : أن نرقص على حبال المخاطرة نشداناً للحياة»(٣).

وتحضر المرأة، عبر هذه السيرة الروائية ،بضاعة حقيقية بأثمنة متباينة ، تباين المواخير والبورديلات ودور البغى ! فهى تارة عاهرة ،مملوكة من طرف ربة بيت الدعارة

وتارة أخرى أسيرة فى كوخ المهربين.

والجنس دائما ،هو الخدمة الأكثر جلالاً ،التى تقدمها هذه الأنثى -البضاعة!.

الأبيسية فى الشخصيات

إن تقديم محمد شكرى للشخصيات ، فى الخبز الحافى ، كان كلاسيكيا .إذ قدم لنا- أول من قدم- شخصية أبيه المتسلطة ، الغارقة فى حب السيطرة والقمع ، لدرجة ارتبطت معها هذه الشخصية المستبدة ، فى ذهن الكاتب حين كان طفلاً ،بصورة وحش غابوى شرس:

«إن أبى وحش ،عندما يدخل لا حركة ، لا كلمة إلا بإذنه ،كما هو كل شئ لا يحدث إلا بإذن الله .كما سمعت الناس يقولون .يضرب أمى بدون سبب أعرفه»!«٤».

هذا الأب الذى سيقتل ابنه الأصغر، على مرأى الكاتب- الطفل ، وأمه .

كما يأمر هذه الأم بالخروج للعمل ، ليستلذ هو حياة البطالة والكيف .مستحوذاً كذلك -على أجرة الطفل (الكاتب) ،الذى سيذهب به إلى إحدى المقاهى ،ليعمل نادلاً .

ومقابل هذه الشخصية الذكورية المتسلطة ، نجد شخصية الأم -الزوجة (أم الكاتب وزوجة أبيه المتسلط) تستوفى كل خصائص الأنثى المقهورة فى مجتمع الرجال :تعمل وتكد لتعول الأسرة . وتخدم الزوج جنسيا بكل طاعة .وجزاؤها الضرب واللكم والرفس والسب ..كما جاء على لسان الكاتب ،الذى بدا له الوضع -فى طفولته -غريبا غير مفهوم:

«لماذا ليست قوية مثله ؟ الرجال يضربون النساء ، وهن يبكين ويصرخن:»(٥)

إن هذا الوضع البطريركى الشائن ، بين هذين الزوجين -أم وأب الكاتب- نتج عن وضع سابق مماثل له . وينتج وضعا بطريركيا مماثلا كذلك .وهو ما تحقق ،فى هذه السيرة الروائية ، عبر شخصية ابنهما محمد(الكاتب) .وشخصية ابنتهما رحيمو .إذ أتت رحيمو هذه، نسخة طبق أمها: تذهب إلى السوق لتساعدها فى التجارة الكاسدة ،وتدبر شئون المنزل ،وتمتثل لأوامر الأب والأخ الذكورية.بالمقابل نجد شخصية محمد ، برغم رفضها طريقة الأب فى التعامل غير الإنسانى مع الأنثى بضربها وقهرها جسديا ونفسيا ،فإن هذه الشخصية تظل أبيسية، ما دام كل مرادها ،هو المخدرات والخمر والنقود والنساء..

-إنها تكلف ألف بسيطة أو ألفا وخمسمائة بسيطة(٧).

وبالتمثل والتوحد :Zldentite يصبح الكاتب نفسه أبيسيا مشيئا للمرأة . يتعامل معها كسلعة مغرية . يفكر فى الثمن المقابل للحصول عليها ، أو استهلاكها !.

ثمة حدث آخر، فى هذه السيرة الروائية ،ينطق بالتسلط الذكورى . يذكرنا بالحفلة التى أقامها تاليفيير ،فى رواية :La Peau de Chagrin.التى كتبها الكاتب الفرنسى الشهير:Honore de vBalzac.عام ١٨٣٠ حيث تقدم النساء كهدايا رائعة للضيوف الذكور . والحفلة هذه المرة فى «الخبز الحافى» كانت أروع ،إذ إقيمت بالهواء الطلق ،وتكررت بصفة شبه دورية .كلما احتاج هؤلاء الذكور ،إلى الاستراحة من وعثاء المعيش اليومى ،بالنبيذ والنساء!.

يغرى التفرسيتى صديقه الكاتب بهذه السهرة قائلا:

«حينما يسكرون ، ينهضون إحدى الفتيات ، لترقص لهم عريانة»(٨)

وأول ما يظهر للكاتب من جو الحفلة ،منظر البستان الزاهى بالورود والرياحين ،والنساء والرجال يمرحون ،غير أنه مرة ذكورى ،مبنى على استخدام جسم الأنثى ، لجلب هذا السرور:

«جاءت أنيسة فى مشية راقصة. ترقص وتوزع علينا بسماتها . لم تكن تلبس سوى غلالة شفافة بلا رافعة للصدر ، إن الشيطان يرقص الآن فى جسدها .شيطان سكران»(٩).

ثم يزيد التفرسيتى من دهشة الكاتب ،فيحكى له ماذا فعل الذكور- فى مجتمع الذكور بهذه الفتاة ، ذات ليلة مشابهة ،بعد انتهت من الرقص:

«لقد أجسلوها عريانة فى جفنة كبيرة ، وصبوا عليها غرافتين من النبيذ الأسبانى . ثم راحوا يملأون كؤوسهم ويشربون»(١٠):

ونكتفى بهذا القدر ، من أمثلة الأحداث الأبيسية ، أو الأبيسية فى الأحداث . من هذه السيرة الروائية(١١).

الإنشاءات الأبيسية فى «الخبز الحافى»

إذ يحلم محمد (الكاتب) بغده ،حين يصير رجلا وكيف ستكون له علاقة مع فتاة ما . تبدو هذه العلاقة المنتظرة ، تسلطية محضة ، يقتفى من خلالها خطى أبيه ، وباقى رجال

الحى:

«عندما أكبر ستكون لى امرأة ،سأخاصمها فى النهار بالضرب والشتم ،وأصالحها فى الليل بالعرى والعناق .إنها لعبة جميلة هذه ومسلية ، بين الرجل والمرأة(١٢).

لعبة جميلة ، بالنسبة للرجل المريض بالفكر البطريركى .لأن الإنسان السوى ، ذكر كان أو أنثى . يدرك -كامل الإدراك -أن أول شروط تحقيق إنسانيته ، وبالتالى سعادته ،هو التعامل الإنسانى البعيد عن كافة أشكال الاستعباد.

ولنقرأ فى موضع آخر ، من هذه السيرة الروائية ، هذه العبارة ، التى ينصح بها الأب ابنه (الكاتب) ،وهو يعظه ألا يثق أبدا فى المرأة:

«يثق الإنسان فى الشيطان ، ولا يثق فى النساء»(١٣).

وهو المعنى نفسه ، الذى يتكرر فى مجموعة من الأمثال الشعبية الأبوية ، إذ تحمل هذه العبارة نظرة شك أزلية ، تجاه المرأة ، كمخلوق لا يستقر على حال ، ولا يلتزم بالتزام، ولا يفى بوعد .. وهذا ما تروج له الايديولوجيا البطريركية.

وإذ يمضى الأب فى نصح ابنه ، ينتقل به إلى التحذير ، بطاعته هو الأب دون الأم ، ما دام حياً:

« هى أمك . لكنى أنا أبوك . إذا كان هناك من يجب أن تطيعه، فهو أنا .الطاعة لى وحدى ما دمت حياً»(١٤).

فلا يمكن فى مجتمع الرجال ، أن تكون الطاعة للأمهات النساء وهذا ما يفطن إليه الابن ،فيدرك بأسى بالغ ،مدى التسلط الأبوى الذى يسود هذا المجتمع . فيصيح فى قرارة نفسه .عاجزاً أمام هذا الالزام الأبوى القاهر:

«أسمعك يا خليفة الله فى أرضه ،التى يحكمها آباء مثلك»(١٥).

فهذا هو المجتمع الذكورى ، الذى يكون فيه الحكم للذكر المتسلط ، بدل القيادة المساواتية المشتركة بين الجنسين.

ونكتفى بهذا القدر من الأمثلة ،التى نعتقد أنها تحمل أدلة التسلط الذكورى المكرس له، والمتواطئ معه ، فى هذا النص الأدبى .مما يجعلنا نسجل سلبية الكاتب ،فى تحقيق التغيير المتوخى من الأدب ، بصفة عامة . ودون أن ندخل فى جدلية العلاقة بين الأديب ومجتمعه .وهل الأديب هو الذى يؤثر فى المجتمع ؟ أم المجتمع هو الذى يؤثر فى الأديب

؟ وما مدى التأثر والتأثير المتبادلين؟..

لابد من رفض تواطؤ الأدب- كفن تعبيرى راقٍ -مع كل أشكال الميز الجنسى غير المبرر .ما دام الأديب هو آخر من يقبل بالتسليم والتسويغ والاستكانة...

الهوامش

(١) الأبيسية . أو البطريركية . يقابلها بالفرنسية **Le Patriarcalisme.** وبالانجليزية **The Patriarchy** بمعنى التسلط الذكورى ، وتفوق الذكر على الأنثى .خلافا للمطريركية : **Le Matriarcalisme**

(٣) الخبز الحافى .محمد شكرى . الطبعة الثانية ١٩٨٣ طنجة ص-٦

(٤) المصدر المذكور- ص١٠.

(٥) المصدر المذكور ص-١١

(٦) المصدر المذكور ص١٠

(٧) المصدر المذكور ص٧٤.

(٨) المصدر المذكور ص٧٩.

(٩) المصدر المذكور ص٨٢.

(١٠) المصدر المذكور ص-٨٢.

(١١) نستعمل مصطلح إنشاء .مقابل المصطلح الفرنسى **Dis-cour** والانجليزى **Discourse** . بدل مصطلح خطاب . الذى يحمل إشكالية معان ضمنية مغايرة.

(١٢) المصدر المذكور ص٢٧.

(١٣) المصدر المذكور ص٨٦.

(١٤) المصدر المذكور ص٨٧.

(١٥) المصدر المذكور ص٨٧.



" فانلة ولباس " لكل مواطن !

● طلعت الشايب

القرار الجمهورى رقم ٤٦٩ لسنة ٢٠٠١ والخاص بالتعريفة الجمركية الجديدة نجح فى تحريك الناس وإفاقتهم من غيبوبة الصدمات الاقتصادية المتلاحقة .. لكنها للأسف حركة فى غير الاتجاه الذى تريده الحكومة الحرة . الرسوم الجمركية الفلكية على الملابس الجاهزة (٤٠٠ : ٥٠٠٪) فجرت غضب الناس المكتوم حيث اجتاحت المظاهرات مدينة بور سعيد وعم الإضراب المتاجر والأسواق وتحول شلل المدينة الحرة الجزئى إلى شلل كلى ببركة الاقتصاد الحر والقرارات الحرة فى بلد حر يفعل فيه كل مواطن مايريد بكل حرية..

وطارت أخبار المظاهرات والاضطرابات فى كل الدنيا عن طريق قنوات الإعلام المرئى والمسموع والمقروء باستثناء القنوات المسماة بالقومية عن تجمهر الألوف أمام ديوان عام المحافظة وعن الفوضى أمام المنافذ الجمركية وعودة الزائرين إلى الأسواق لاسترداد قيمة البضائع . السيد المحافظ " نزل " للمتظاهرين لتهدئتهم ووعد خيرا

وأعلن أنه سيلتقى بالسيد رئيس الوزراء صباح اليوم التالى (٢٠٠٢/١/٤) ، أما وزير المالية فنفى حدوث الارتباك " مفيش أى حاجة" .. وقال لافض فوه ومات مخصخصوه فى مؤتمر صحفى إن زيادة الرسوم الجمركية تقع على عاتق وزارة التجارة الخارجية والمجالس السلعية (أو لعلها السلعوة لأننى لم أستمع جيدا) ، يعنى باختصار أنه " مالوش دعوة" ، ثم جاء من له " دعوة" وهو الدكتور يوسف بطرس " غالى نار" ليقول إن التعديلات جاءت " بعد دراسة متأنية" ولم يفهم الناس شيئا من عبارته لأن كلمة " متأنية" هذه لاوجود لها فى قاموس الاقتصاد المصرى . بعد ٢٤ ساعة كان المانشيت الرئيسى لجريدة الأهرام يقول " قرارات فورية بمساواة زوار بور سعيد بمغادرى المطارات والموانى فى إعفاءات الملابس الجاهزة "، و" تفصيل " الخبر أن القرارات الفورية تشمل إعفاء الخارج من التعريفة على أن يقتصر الإعفاء للزائر الواحد على خمس قطع فقط للاستخدام الشخصى تتجسد فى قطعتين من الملابس الداخلية (يعنى فانلة ولباس) " وقميص أو بلوزة وفستان أو بدلة وجيب أو بنطلون ".

يعنى باختصار أن المواطن عليه أن يختار بكامل حريته من بدائل أمامه فالمدينة حرة والاقتصاد حر . أما صديقنا الذى كان ينوى " بفكاكة " المصريين المعروفة أن يذهب إلى بور سعيد كل يوم مصطحبا أهله وذويه لكى يخرج كل منهم بخمس قطع" قانونية" قبل أن تنتبه الحكومة وتصدر جوازات سفر لزوار المدينة ، صديقنا أصيب بالإحباط بعد أن اكتشف أن الدكتور وزير المالية الحرة قد أصدر قراراً بالقواعد التنفيذية لقرار رئيس الوزراء من بينها تسجيل بيانات المشترى على الحاسب الآلى بالمنفذ منعا للتكرار وأن الإعفاء سيكون لمرة واحدة سنويا ، ثم أصابته حمى الضحك بعد أن وجد قاعدة أخرى تنص على أن الملابس المعفاة " لاتعرض للبيع أو يتم التنازل عنها" ، ولذلك فهو لايستبعد أن يصدر قريبا قراراً بتشكيل قوة خاصة من الداخلية والضرائب للتفتيش على" فانلة ولباس" كل مواطن ذهب إلى بور سعيد واشترى وسجلت بياناته ، هذا وسوف يخضع للتفتيش كل من هم فوق ١٨ سنة لأن من بين قواعد الإعفاء مادة أضافها " الترزى" الذى" فصل" الحكاية تنص على أن " المنتفع بهذا الإعفاء يجب أن يكون راشداً ويحمل بطاقة شخصية أو عائلية وألا يقل عمره عن ١٨ عاماً " وعليه سيكون من حق القوة الخاصة أن " تشلح" أى مواطن لم يذهب إلى بور سعيد أو أقل من ١٨ وتسأله : من أين لك هذا؟ والمؤكد أنه ستكون هناك إجابات من نوع: " سيادتك بتسأل عن إيه بالضبط ؟"

علم اجتماع العلوم

تأليف: دومينيك فينك

عرض: ماجدة اباظة

ترجع أهمية كتاب «علم اجتماع العلوم» إلى أسباب بعضها ظاهر والآخر خفى.

أما الأسباب الظاهرة فترجع إلى تناول الكتاب العلوم من منظور اجتماعى ،وهو منظور يعتبر جديداً فى عالمنا الثقافى. فقد درجنا -لسنوات طويلة-على فصل الأشياء بعضها عن بعض ،انسياقا وراء المدارس الفكرية الغربية التى كانت تميل فى سياق تطورها إلى مفهوم التخصص ،وقد تناسينا -بالرغم من أهمية مفهوم التخصص -أهمية ربط الوحدة وعلاقتها الأكثر شمولا بالوحدات الأخرى.

أما الأسباب الخفية فترجع إلى مدى تأثير السياسة والتيارات الفكرية والمصالح الاقتصادية على ما كنا نطلق عليه «علما خالصا» ونحن فى هذه الآونة فى أمس الحاجة لصياغة الذات مجدداً.

يدخلنا الكتاب فى العوالم السرية لصناعة العلم والمؤسسات العلمية والشبكات الاجتماعية الفاعلة فى المجال العلمى.

إن مقولة« العالم أصبح قرية صغيرة» تخضع بدورها إلى وجهات نظر، إذ أن صغر حجم العالم قد يكون سببا لسهولة السيطرة عليه ،وسهولة التجوال داخله بحرية.

يقدم هذا الكتاب- بأسلوب بسيط أموراً معقدة يستطيع أن يفيد منه المتخصص وغير المتخصص.

عبر هذا التحديد قدمت الباحثة القانونية والمترجمة ماجدة أباظة ترجمة كتاب« علم اجتماع العلوم» للكاتب وعالم الاجتماع «دومينيك» وعلى الرغم من أنها المحاولة الأولى للمترجمة فإنها قدمت الترجمة فى أفضل أشكالها وصورها ،فقد أعتنت باللغة والإيقاع والحفاظ على المعنى ،وحرصت على أن تقدم موضوعها الجديد خارج السياق الأكاديمى حتى يسهل على المتلقى -عاما كان أم متخصصا -أن يستفيد من هذه الأفكار الجديدة

ونحن ننشر مقدمة الكتاب- وهى تتضمن أهم مسارات البحث وأهدافه كى تعطى القارئ العربى موجزا سريعا ومكثفا لما يدور فى العالم من أفكار وأبحاث ورؤى تستحق الإشادة والتقريم.

«أدب ونقد».

قصة إندماج :

فى يوم ٢٣ مارس ١٩٨٩ ، هز العالم ، خبر التوصل إلى طريقة انتاج تفاعلات للاندماج النووى ، فى درجة حرارة المحيط ، باستخدام جهاز اختبار معلق على جانب الطاولة ،وقد أعلن هذا الخبر ،عن طريق الصحافة، اثنان من علماء الكيمياء (مارتن فليشمان وستانلى بونس).

وكانت جريدة الفاينتشال تايمز قد سبق أن أعلنت عن هذا الاكتشاف قبل ذلك بمدة قصيرة ،وقد حضر المؤتمر الصحفى – الذى عقد من أجل هذا الخبر –مائتا صحفى.

هل العلم نشاط معزول عن المجتمع (الفصل ١.٢.٥) ؟ ما هى علاقاته بالعالم؟ ولماذا يهز مثل هذا الإعلان العالم بهذه الصورة ؟ لماذا مؤتمر صحفى (الفصل ٢و٥) ؟ ولماذا يتم تعبئة هذا العدد من الصحفيين على مستوى العالم؟ ما الذى يجعل من عمل علمى حدثاً صحفياً مثيراً ؟وما هو المثير فى جهاز اختبار معلق على جانب الطاولة (الفصل٤)؟.

لقد أعلن عن الأبحاث، حول الاندماج الساخن ،منذ الخمسينيات من هذا القرن أنها تهدف إلى تطوير أدوات ضخمة من أجل انضاج المادة فى درجات حرارة تصل إلى عدة ملايين وخاصة إلى حبس البلازما المخلقة لفترة طويلة نسبياً من أجل انتاج حرارة منبعثة ،تفوق بكثير الطاقة المستخدمة ، ونتيجة لارتفاع تكاليف هذه الأبحاث ،فإن كلا من الولايات المتحدة وأوروبا تتعاون فيما بينها لتغطية التكاليف الباهظة لهذه الأبحاث . ولا يتوقع أن تظهر النتائج ايجابية قبل قرن على الأقل.

من الذى يدفع ،ولماذا ؟من الذى اتخذ القرار باطلاق هذه الأبحاث ؟. ما هى الشبكات التمويلية والسياسية التى تحول هذه المغامرات الجماعية إلى حقيقة (الفصل٥) ؟ من هم الباحثون المشتركون ، من أين جاءوا ،وماذا يفعلون؟.

فيشرمان عالم مرموق ،وهو أستاذ بجامعة ساوث هامتون (المملكة المتحدة) ومن المعروف أنه يتبنى أفكاراً جريئة ويتابع أبحاثا ذات مخاطر كبيرة ويدافع عنها ، وقد أدى ذلك إلى نجاحه فى الحصول على بعض الفوائد ،فقد عين فى الجمعية الملكية (المملكة المتحدة) فى عام ١٩٨٦ .إلا أن سياسة إعادة إصلاح الميزانية فى بريطانيا التى تبنتها رئيسة (تاتشر). أدت إلى دفع فيشرمان للمعاش المبكر مما جعله يتابع أبحاثه بشكل مستقل.

يلتقى فيشرمان بالمدير الشاب بونز(Pons) ،الذى يشغل منصب مدير إدارة الكيمياء بجامعة الدولة بمدينة سولت ليك بالولايات المتحدة فيقومان بأعمال مشتركة منذ ١٩٨٦ ،حيث يخصصان بضع عشرات من الدولارات من أموالهما الخاصة من أجل إجراء أبحاثهما الأولى.

باحث آخر ،هو ستيفن جونز ، يعمل فى الجامعة الخاصة لبريجهام يونج Brighami

Young، التى تبعد مسافة ٨٠ كيلو متراً عن جامعة الدولة، وهو يتابع أبحاثا فى نفس الموضوع أيضا إلا أنهم لا يعرفون بعضهم البعض.

لماذا هذا الاهتمام المشترك حول نفس الموضوع من قبل باحثين لا تربطهم رابطة؟.

كيف تأتى عدم معرفتهم بعضهم البعض برغم قربهم (الجغرافى والعلمى)؟ أتوجد فواصل فى العلم ، بين النظم العلمية على وجه الخصوص (فصول ٢ر٣) ؟.

فى عام ١٩٩٨ ، يطلب وزير الطاقة من «جونز» أن يعلق على طلب دعم مقدم من كل من «بونز» و«فيشرمان» ، فيكتشف «جونز» عندئذ، انهما يتبعان نفس الأثر ويتقابل الفريقان فى سبتمبر ١٩٨٨ بناء على مبادرة من «جونز» ولكنهما لا يتفقان على العمل المشترك ولا على مقارنة نتائجهما.

وفى السادس من مارس ، يتفقون على نشر أبحاثهم فى نفس اليوم ليتقاسموا نسب هذا الاكتشاف إليهم جميعا .فيختارون يوم ٢٤ مارس ١٩٨٩ .ومجلة «الطبيعة» Nature لينشروا أبحاثهم على صفحاتها حيث تعد هذه المجلة من المجلات ذات الحجة فى العلوم.

لماذا لم يتقاسموا النتائج(الفصل٢) ؟..أليس العلم نفعاً عاماً عالمياً؟.. بماذا تفسر مفهوم «النسب» فى العلوم (الفصل١) ؟..لماذا مجلة« الطبيعة» تحديداً؟، وكيف تكون مجلة ذات حجة دون مجلة أخرى؟.

فى الحادى عشر من مارس ، يقدم كل من «بونز» و«فيشرمان» نصهما إلى مجلة أخرى ،هى مجلة الكيميـاء الالكتـروتحليلة (journal of Electroanalaaytical Chemistry) متجاوزين بذلك اتفاقهما مع« جونز» ،حيث يتم قراءة النص والتعليق عليه من قبل المعلقين العلميين ومراجعته بعناية من جانب أصحابه .وفى ٢٢ مارس يكون النص جاهزا للنشر .وفى اليوم التالى ،٢٣ مارس ، يعقد المؤتمر الصحفى .وفى ٢٤ مارس ، يرسل «جونز» نصه -فجأة- إلى مجلة «الطبيعة» عن طريق «الفاكس» .وليس بالطائرة كما هو متفق عليه بينه وبين« بونز» و«فيشرمان» ،فيصل نصه قبل نصهما.

ترفض الجريدة نشر نص «جونز» ،لاعتقادها أنه صيغة مصغرة من نص آخر سيتم نشره فى مكان آخر .وهكذا يظهر فى العاشر من أبريل نص «بونز» و«فيشرمان» فى مجلة الكيمياء الالكترو تحليلة،أما نص «جونز» فيظهر فى مجلة «الطبيعة» يوم٢٧ مارس .

لم المنافسة؟ لماذا وجود فارق زمنى فى أولوية النشر؟ لماذا هذا السباق ؟.

أصبحت أسماء كل من بونز وفيشرمان ،اليوم، معروفة لدى الجميع ،أما اسم «جونز» فلم يعد يعرفه أحد .وإذا كان الاكتشاف كبيرا فإنه قد يؤدى إلى جائزة نوبل، وإذا كانت التطبيقات مهمة فانها تتسبب فى ثراء مكتشفيها.

ومن جهة أخرى ،فإن جامعة «يوتاه» Utah التى يعمل بها« بونز» و«جونز» تواجه موقفا ماليا صعباً .وهى تعتبر جامعة مستقلة نسبياً .وعليها البحث عن عقود خاصة ودعم عام ، وهذا الدعم لا يمنح إلا لفرق البحث المميزة .ولذا فإن عميد جامعة «يوتاه» ،قام بطلب منح دعم قيمته ٢٥ مليون دولار لمساعدة «بونز» و«فيشرمان» قبل انعقاد المؤتمر الصحفى بقليل .فوجدت جامعة الدولة بسولت ليك ،العلمانية نفسها فى موقف تنافسى مع جامعة بريجهام يونج، الخاصة، الدينية والجامعتان تقعان فى

ولاية يوتاه.

ما هو محرك البحث العلمي ؟..المال ،التنافس بين المؤسسات ،المنافسة بين المعتقدات الفلسفية والدينية ؟.. هل توجه مسار العلم (فصول ٣ر٥)؟.

وباعتبار أن تخصص «بونز» و«فيشرمان» هو الكيمياء الالكترونية ، التى يستخدمانها فى التحليل الكهربائى لإنتاج انبعاثات حرارية غير عادية ،فانهما يهتمان أساسا بالجانب العملى للأشياء .أما «جونز» ،الذى يتخصص فى الفيزياء ،فإنه يعتمد فى أبحاثه على المياه الثقيلة لقياس وجود فضلات نووية ولكنه لا يهتم بالانبعاث الحرارى.

الكيمياء الالكترونية ، ليست بالعلم المرموق ،فهى تتوجه إلى التطبيقات وتركز على النتائج الملموسة للانبعاث الحرارى والمركمات Accumulateurs وعلم الكيمياء يتلقى دعما متواضعا مقارنة بالدعم الذى يوجه إلى علم الفيزياء والذى يعد علما متوجا يهتم كثيرا بما هو نظرى ، ولذا فالتنافس بين أنظمته أمر ملحوظ، وخلال خمسين عاما ، انفقت ملايين الدولارات على الاندماج الساخن الذى هو عمل الفزيائيين ، دون أن يؤدى ذلك إلى النتائج المأمولة وعلى النقيض ،فان الاكتشاف الذى توصل إليه« بونز» وفيشرمان لم يكلف إلا ٣٠٠٠٠ دولار.فقد نجح عالمان حيث فشل آلاف الفزيائيين خلال خمسين عاماً.

لماذا توجد علوم كبرى وعلوم صغرى ؟..هل العلاقة بالتطبيقات تعتبر مصدراً لعدم الطهارة؟ .لماذا يوجد تنافس بين التخصصات العلمية وإلى أى مدى يؤثر ذلك على التطور العلمى؟.

بمجرد انعقاد المؤتمر الصحفى ل« بونز» و«فيشرمان» ،قام العديد من الباحثين بإجراء البحوث للتأكد من نتائج هذا الاكتشاف ،ولم ينتظروا نشر المقالات،وفى الليلة التالية للمؤتمر الصحفى ،حاول عدد من طلبة جامعة الM i t(أم. أى تى) إعادة إنتاج التجربة معتمدين على تسجيل الفيديو المصور الذى أذيعت مقتطفات منه عبر شاشات التلفزيون ،وفى اليوم التالى تم تجنيد كل العاملين لكتابة وتوزيع النسخ الأولية، بالإضافة إلى إرسال المعلوات المختلفة عبر الأجهزة الالكترونية فى كل الاتجاهات ،وفى نفس الوقت قام «دوجلاس موريسون» الفيزيائى الذى يعمل فى الCERN ،بتحليل المعلومات المرسلة إليكترونيا وجمع بيانات حول الاندماج البارد وإصدار نشرة معلومات ،وفى خلال الأشهر التالية ،كان هناك أكثر من أربعمائة تجربة ، بل إن بعض العلماء أرجئوا أبحاثهم ليركزوا فقط على هذه الظاهرة ،وتسابق الباحثون للإعلان عن آخر ما توصلوا إليه من نتائج ،فظهرت العديد من المقالات العلمية على صفحات المجلات المختلفة حول العالم ،حتى أن الرئيس «بوش» كان يطلع على نتائج الأبحاث أولا بأول.

كيف يمكن تفسير هذه الموجة من محاولات التحقق ؟..هل تحول العلماء إلى باحثين عن الذهب يهرعون وراء أى آثار جديدة؟ هل يتنافسون من أجل اكتشاف مناجم جديدة ؟ (الفصل ٢) .ولكن إذا كان الاكتشاف قد تم بالفعل ،ماذا يمكن أن يجنوا من مجد جديد ؟ أم أنهم ،يتصرفون على هذا النحو

لأن المؤسسة العلمية تفرض عليهم أسلوباً معيناً ؟.. هل توجد مقاييس ترشد العلماء إلى طريقة محددة للتصرف ؟ما هى هذه المقاييس ؟وكيف تمارس سطوتها (الفصل١) ؟.وكيف تجذب سمعة الشخص اهتمام الناس بموضوعه ؟(الفصل ١ ر٤).

نتائج التحقيقات كانت سلبية بشكل عام ،فقد ظهر اجماع على رفض الاندماج البارد . ويبدو أن البريد الالكترونى قد لعب دوراً كبيراً فى التطور السريع لهذا الاجماع . إلا أنه برغم ذلك ، هناك البعض ظلوا يبحثون فى هذه الظاهرة ، لكن الغالبية أصيبوا بخيبة أمل.

فى مايو ١٩٨٩ قدم أحد الفيزيائيين كل الاحتمالات النظرية أمام مؤتمر الاتحاد الأمريكى للفيزياء .وبين أن كل التبريرات النظرية التى قدمت حتى الآن غير معقولة .فحتى رغم انهيار كل الأدلة المختبرة الواحدة تلو الأخرى ، يكون من الأفضل النسبة للفزيائى أن ينتمى إلى الحكمة الرسمية.

كيف يستمر البعض إذا كانت النتائج سلبية؟ .لماذا أصيبت الأغلبية بخيبة الأمل؟.. هل العلم مرتبط بالأوهام وبخيبة الأمل ؟.وما يدفع الباحث أن يعمل فى اتجاه معين؟.

فى أبريل ١٩٨٩ ، يشكل وزير الطاقة الأمريكى(DoD) لجنة من خبراء ليقيموا الأعمال المنجزة .شكلت اللجنة من ٢٢ عاما نوى مستوى رفيع برئاسة عالم كيمياء سيحصل على جائزة نوبل فيما بعد. وفى خلال ستة شهور تقوم اللجنة بالتقييم الدقيق لكل الأعمال المرتبطة بالاندماج البارد .تناقش اللجنة كل شئ: التجارب والنظريات والتطبيقات.

لماذا يتدخل السياسيون فى هذا الموضوع ؟ .لماذا يستدعون العلماء ليقوموا بالتقييم؟.. ألا يتم هذا التقييم ،بين الباحثين ، بتلقائية (الفصل ١ر ٢ ر٥) ؟ لماذا علماء ذوو مستوى رفيع؟ .ماذا يدفع إلى وجود علماء ذوى مستوى رفيع دون علماء آخرين(الفصل ١ر٢) ؟.وما علاقة جائزة نوبل بالعمل العلمى؟ (الفصل١).

تتوصل اللجنة إلى أنه: «لا توجد أدلة مقنعة» ، وان الاندماج البارد يتعارض مع كل النظريات المتراكمة عبر خمسين عاماً . بدءاً من صعوبة إعادة إنتاج النتائج إلى التشكيك فى التجربة الأولى وصولا إلى التشكيك فى القائمين على الاكتشاف نفسه.

كيف تكون تجربة ما ، مقنعة (الفصل ٣ ر٣ر٥) ؟ ..هل الجديد يجب أن يطابق النظريات المعترف بها ؟..كيف تلقى الضوء على الماضى (الفصل ٣) ؟..كيف لعلم جديد أو لنظرية جديدة أن تظهر؟.

ويبدأ الانبهار -الذى كان يسرى عالميا منذ الإعلان عن الاكتشاف -فى التهاوى .

توجه الجامعة التى يعمل بها« بونز» و«فيشرمان» الشكر لهما على جهودهما ويتم استبعادهما من الجماعة العلمية بالولايات المتحدة .وتصبح كل دراسة عن الاندماج البارد شائنة .حتى أن المنظر «هاجلستين» Hagelstein يجد وضعه غير مستقر فى جامعة الMIT وذلك حين قرر الاستمرار فى البحث حول الشروحات النظرية للاندماج البارد .أما فى فرنسا ،فإن الباحثين المشتغلين بهذا الموضوع أصبحوا ضحايا لعقدة مرض السخرية :الخوف من أن يتم الإشارة إليهم.

مَعَ الكُتُب

أشرف أبو اليزيد

تبدو حيرتي اليوم أكبر من كل شهر، والكتب والدوريات تجد مكانها أمامي، محرضة للكتابة عنها في زاوية لا تسهب إلا قليلا، وأرى أن هذه النافذة قد تكون بديلا لعدم نشو قراءة مطولة عن الكتاب في (أدب ونقد)، لا تتسع لها صفحات المجلة الحريصة على (محاولة) متابعة المشهد الثقافي في الوطن العربي قدر الإمكان، وخاصة ما تطرحه الكتب من قضايا، والنصوص من أفكار، والدوريات من موضوعات.

إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم

هاجس الباحث الدكتور سعيد اللاوندي هو الولع بجدل الأسئلة القلقة، لن أستعرض قائمة كتبه، فهي كثيرة، لكنني اليوم أقف عند هذا الكتاب: إشكالية ترجمة معاني القرآن الكريم الذي يتناول تلك المعركة التي دشنها ظهور الترجمة الفرنسية للمستشرق جاك بيرك، مع رصد لتفاصيل الإدانة والحيثيات والحكم، ساعده على توثيق الملف كاملا قربه من العلامة الفرنسي. الغريب أننا نقرأ الألم في كلمات بيرك، الذي حز في نفسه كثيرًا أن أحدا من علماء الأزهر، بعد أن أرسل لهم نسخة ترجمة معاني القرآن الكريم، لأخذ رأيهم، لم يهتم بها، في حين رد عليه علماء من المغرب والجزائر وتونس وحتى السنغال وإندونيسيا والفلبين، مبدين ملاحظات قيمة، أما الرد المصري فلم يزد سوى على حملة ضدد في مجلة أسبوعية متخصصة في الإذاعة والتليفزيون!

عربة تجرها خيول

يغوص الروائي حسين عبد الرحيم في التاريخ، ليقدم لنا (عربة تجرها خيول)، وتحملنا إلى ما صار بعد ذلك (قناة السويس)، وبين صوت الأذان في مفتتح الرواية، والصوت نفسه في خاتمتها، عزف لغوي على وتر النص القرآني والتراث الصوفي، والحكي الشعري، بل والشفاهي الفولكلوري، يستعين به ليستحضر صورة كاملة لتاريخ أطول معركة في تاريخ مصر: سنوات حفر القنال، مع العمال والنساء والأطفال، في الشوارع والخيام والمقاهي، في البحر بسفنه والليل وبحكاياته، بعين مدربة تلتقط التفاصيل، وبحس تاريخي يقرأ الأحداث وعينه على الآتي.
وحين نقرأ لصاحب الصوت في الرواية يقص لنا عن عربة السوارس الخشبية: عربة ذهبية تجرها خيول حنطور بديع.. كابينة زجاجية بسقيفة نايلون زرقاء .. تسع من الركاب ألفا..إلخ، يتأكد لنا تقمصه لدور العاشق لماضيه، يرى منه ما يريد، ويحتفظ له بالصورة الوردية، ولعل الراوي نفسه؛ الذي يعد شبيها لوالده، امتدادًا للماضي.

أسرار الدوري

يقتنص الكاتب أكرم هنية في مجموعته (أسرار الدوري) لحظات التوتر، اللحظات التي يعيشها مواطنون فلسطينيون، سواء في أرضهم المحتلة، أو على عتبات الدول في المنافذ الحدودية بالموانيء. مفردات القاص تبدأ بالرصاص، وخوذات جنود الاحتلال، وتمر بطائرات الأباتشي. ورغم أنه يفكر بأن العدو لم يبق سلاحا لم يستخدمه، ولم يعد سوى القنبلة الذرية (ص٤٠) إلا أنه يفكر: بأن الورود التي تتفتح أمامي في الحديقة يجب أن أزين بها سيارة الزفاف عندما أحتفل بزفافي وخطيبتي بعد أسابيع.

بعد صلاة الجمعة

تشتد حيرتي مع هدية الروائي والقاص محمد عبد السلام العمري: روايتيه (النخيل الملكي) و(اهبطوا مصر)، مجموعته القصصية الصادرة بالإنجليزية (بترجمة الروائية د.سحر الموجي) أم الكتاب / الملف الذي يحمل عنوان (بعد صلاة الجمعة)، والحيرة فيما أختاره للكتابة في هذه الزاوية المقتصدة، فإصدارات العمري تجد لها متسعا.

إلا أنني أود هنا أن أستعرض أهمية كتابه الملف، والذي ساهمت فيه مجلة (ادب ونقد) بإثارتها لحرية الكتابة والإبداع. منذ أكثر من عشر سنوات. المدهش أن الأمر بعد هذه السنوات (محلك سر). فلا تزال القضايا المطروحة يعاد طرحها من جديد- وربما بشكل أكثر رتابة وسوءا – في كل مرة يخرج الكاتب إلى هامش الحرية. ترى كم ملفا نحتاج، لنخطو للأمام؟

رانية وسوزان وجولو!

جولو. ذلك الرسام البديع، الذي يعيش القاهرة في خطوطه، مثلما تعيش القاهرة الزاحمة في دمه. يشترك مع الكاتبة سوزان شنودة، ليقدما لنا – وللأطفال – ثلاثة كتب جميلة في كل شيء، تعيد فيها دار إلياس العصرية للطباعة والنشر الإحترام لكتاب الطفل. الكتب التي ترجمتها القاصة رانية حسين أمين؛ البحيرة المقدسة، البندقية الهيروغليفية، وشجرة أوزيريس، تضع قارئها أمام نص مصري صميم، يربط بين تاريخ فرعوني، وشخوص معاصرة، تأخذ الأفكار الجافة من كتب التاريخ، لتضعها بسلاسة في أسلوب قصصي، وبخطوط ليست غريبة عن رسوم المعابد.

ولفئة عمرية أقل تكتب رانية حسين أمين وعن الدار نفسها (سيوة؛ قصة حب صغيرة صغيرة)، نصا مزدوج اللغة. الرحلة التي تقصد سيوة، الواحة التي تحتضنها رمال الصحراء الغربية في مصر، تقص علينا قصة حب صغير ينشأ بين رفيقي السفر: أمينة وطوني. جميلٌ أن يقرأ أطفالنا قصصا عن الألفة بين جميع أبنائه على اختلاف معتقداتهم.

جليس لمحتضر

الشاعر محمد فريد أبو سعدة، والرسام عمر جهان يقدمان لنا هـذا الديـوان: جليـس لمحتضر. الذي تستعيد فيه القصائد شريط العمر الذي انتهى أو يكاد، بعـد أن فاجأتـه التحولات الأكثر مرارة. يخضب الشاعر السخرية بالحكمة التي يزرعـها فـي بسـاطة المتأمل: زرعت نخلة بالقرب من سريري/ ورحت أتابعها وهي تنمو/ كنت عندما أخلـد للنوم/ أتخيل اللحظة التي سيصبح فيها البلح/ قريبا من يدي/ والصباحات التي سأستيقظ فيها/ على صوت العصافير/ هكذا/ راحت تنمو/ ورحت أنتظر/ أمس/ سـمعت طقطقـة/ ورأيت النخلة تندفع إلى أعلى/ عبثا حاولت الإمساك بها/ فقد عبرت السقف/ وطارت.
وأقول لأبي سعدة: نعم طارت النخلة، لكن الحكمة تساقط بين أيدينا.

الرافد

في العدد ٤٨ من مجلة الرافد الشعرية الصادرعن دائرة الثقافة والاعلام في الشارقة يثير الكاتب السوري تركي علي الربيعو قضية المثقف العربي في ضـوء التحليـل النفسـي وبمعنى آخر محاكمة المثقف، مشيراً الي اعمال المؤدلجين العرب امثال عبدالله العـروة وياسين الحافظ وحسين مروة والطيب تيزيني، ومستشهداً بكتابات محمد عابد الجـابري وجورج طرابيشي ونماذج جري الحديث عنها مثل حسن حنفي وبرهان غليون وأنـور عبدالملك.حاكم الحداد يكتب عن ديوان الشاعرة الاماراتية صالحة غابش (الآن عرفت) ، ود. الصادق رابح يناقش الأبعاد الطوباوية في ظاهرة الانترنت، ويعتبر د. خير الديـن عبدالرحمن الألم حافزا للنهوض.ويجري جعفر الجشي حواراً مع طالب الرفـاعي عـن القصة والعمل الثقافي ودور الكويت كعاصمة ثقافية، وعلاء عبدالهادي يستعرض تـأثير بريشت في مسـرح الستينات المصري، ود. معن علي يقدم مطالعة نقدية مهمـة عـن رواية: المطعون بشرفهم لوفيق يوسف، أما فريدة النقاش فتكتب عن العالم القصصـي لأمين يوسف غراب.

مجلة الشعراء الفلسطينية

في وطن يعصف به الموت والاحتلال يصدر العدد الخامس عشر من فصليـة الشـعراء الثقافية عن المركز الثقافي الفلسطيني بيت الشعر، ويؤكد الشاعر أمجد نـاصر ضيـف افتتاحية العدد وعنوانها: مشهد شعري فلسطيني جديد ، إلي أن عـدداً مـن الشـعراء والأصوات الجديدة بدأت تظهر محدثة اتساعا في خريطة الإبداع الفلسطيني، علي رغم ما يمارسه الاحتلال من قتل يومي وهمجية ضد الوجود الفلسطيني بكل مقوماته. وأشار الي الدوريات التى تصدر من فلسطين باعتبارها منابر للأصوات الجديدة .. ودليل حياة علـي قوة الإبداع علي تراب فلسطين في مواجهة النقيض. وتوزعت نصوص العـدد: أحمـد دحبور (رائحة السفرجل)، أحمد الشهاوي (لسان النار)، نـوري الجـراح (لكـل ختـام مطاف)، ابراهيم الوافي (ملء دمي شهقة نائمة)، باسمة النبريص (مقال في معني الريح ونداء مرتجي). واختتمت بزاوية بيت القصيد للشاعر المتوكل طه: نقوش علي منديـل عتاة . من زوايا المجلة (٣١٢ صفحة) ملف مهجريون جدد فجاء تحت عنوان: جبـال غير رحيمة وبيضاء للشاعر أحمد يعقوب، وهو الجزء الثالث من كتاب سيصدر قريبـاً عن بيت الشعر.





بانيبال

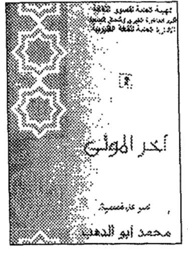
تحتفل مجلة بانيبال الفصلية الانكليزية التي تعني بترجمة الادب العربي الحديث بصدور عددها الثانى عشر، وتفسح الناشرة والمحررة مارجريت اوبانك حيز افتتاحيتها للعدد الجديد، لتنشر بدلا منها البيان الذي اصدره بيت الشعر في المغرب حول احداث ١١ سبتمبر. كما تختار بانيبال الرسام العراقي سعد علي، ليكون فنان العدد، وهو من مواليد مدينة الديوانية في العراق عام ١٩٥٣، مارس الفن منذ طفولته. درس الرسم في مشغل الفنان هاشم الوردي بالكاظمية وتعرف علي اساتذة الفن هناك. تأثر سعد علي بالمدرسة الواقعية البغدادية ومدرسة جواد سليم للفنون بما فيها من تأثيرات اوروبية انصهرت في تراث الفن العراقي. واقام الفنان سعد علي معارض عديدة في موسكو وباريس وهولندا وفينيسيا وروما وغيرها. وبعد سنوات من الاقامة في هولندا وفينيسيا، يقيم حاليا في جنوب فرنسا. أما شاعر العدد الجديد فسركون بولص، العراقي المقيم في سان فرانسيسكو منذ الستينات، حيث تنشر له المجلة ثماني قصائد جديدة قام الشاعر بترجمتها خصيصا لبانيبال، مع كلمة تحية من الشاعر سعدي يوسف. مع قصائد له ضمن مختارات شعرية للشاعرة اللبنانية عناية جابر والشاعر الفلسطيني غسان زقطان والشاعرة السورية الامريكية مهجة قحف، والشعراء العراقيين كاظم جهاد وفاضل العزاوي ومؤيد الراوي ومقاطع من قصيدة طويلة للشاعر المغربي محمد بنيس (ترجمة جيمس كيركب).

فضاءات أخرى للطائر الضليل

ومعنا مقتطف من ديوان الشاعر عماد غزالي (فضاءات أخرى للطائر الضليل) الذي فاز عنه بجائزة الدولة التشجيعية للعام ٢٠٠٠، حيث يقول في قصيدة عنوانها (سما لك شوق): لا أهندس الفوضى/ فقط/ أريد أن أخلخل الأشياء/ للثبات/ رائحة نهر ميت،/ولتغير / عبير راعف،/ وللمدى الممزق وجه فتاة تكشف نهديها/ لقبضة أولى، وللحطام الباسق / طعم حلم يجيء/...../ فهل أقوض البناء؟







ألفريد فرج: ثورة الحجارة

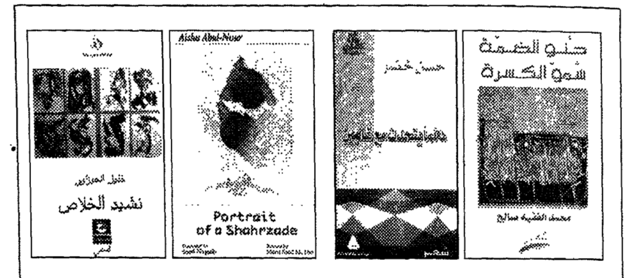
يجمع المسرحي الكبير ألفريد فرج في أحدث إصداراته عن الدار المصرية اللبنانية بعنوان (ثورة الحجارة) المسرحية التي تحمل العنوان نفسه مع عدد من الدراسات عن المسرح المجهول والإتجهات الحديثة عالميا.

أشرف الصباغ: انهيار الإتحاد السوفييتي

الباحث والمترجم والقاص الدكتور أشرف الصباغ المقيم في موسكو، أهدى للأصدقاء في رحلة سريعة للقاهرة أحدث كتابين له: روسيا إلى أين، الصادر عن سطور، وغواية إسرانيل، الصادر عن جماعة حور الثقافية، يرصد فيهما للمشهد الروسي بعد ١٠ سنوات من الإنهيار.

محمد أبو الدهب: نصف لحية كثيفة

القاص محمد أبو الدهب، صاحب مجموعة (آخر الموتى) التي صدرت ضمن سلسلة انطلاقة بالإدارة العامة لثقافة القليوبية، وقدم لها الأديب سمير ندا، أصدر مجموعته الجديدة نصف لحية كثيفة في طبعة خاصة.



عائشة أبو النور: صورة شهرزاد

سعاد نجيب تترجم مجموعة قصص للروائية والصحافية عائشة أبو النور إلى الإنجليزية بعنوان [Portrait of a Shahrzade]. الترجمة التي راجعها مرسي سعد الدين صدرت ضمن سلسلة الأدب المترجم التي تصدرها وزارة الثقافة.

محمد الفقيه صالح: حنو الضمة .. سمو الكسرة

الشاعر الليبي محمد الفقيه صالح صدرت مجموعته الشعرية (حنو الضمة .. سمو الكسرة). المجموعة الصادرة في القاهرة تختتم بدراسة للشاعر حلمي سالم يروي فيها طرفا من سيرة الفقيه، الذي جايله جامعيا وشعريا، بالإضافة إلى مداخل لقراءة الديوان.

حسن خضر: دائمًا يتحدث مع غائبين

بعد ديوانه عطر ميت (١٩٩٨) صدر للشاعر منذ أيام ديوانه (دائمًا يتحدث مع غائبين) ضمن سلسلة كتابات جديدة التي ترأس تحريرها الدكتورة سهير المصادفة. الديوان يضم ١١ قصيدة يهدي إحداها إلى حليم: أما أنت يا مغني/ نادرون من عرفوك بكامل حنانك/ هؤلاء وحدهم/ لم يحتملوا حياة لست فيها/ صار بيتك مطعم سندويتشات سريعة/ تحوم في فنائه ليلا/ الكلاب والقطط!

خليل الجيزاوي: نشيد الخلاص

مجموعة القاص والروائي خليل الجيزاوي التي تحمل عنوان (نشيد الخلاص) صدرت ضمن سلسلة إبداعات الأسبوعية. نشرت معظم قصص المجموعة في الدوريات المصرية وترجم بعضها إلى الإنجليزية والفرنسية.

تواصل

*** رسالة أولى**

بسم الله الرحمن الرحيم

الأستاذ الفاضلة /فريدة النقاش

أخلص التحية وأصدق التقدير

كدت أبكي وأنا أرى دراستي عن أمل دنقل منشورة عبر المجلة «المحترمة» أدب ونقد التي تشرف برئاستك لتحريرها.

وسبب ذلك هو أنني لأول مرة أرى عملا لى منشورا فى مكان أعتز به بل ويعتز به كل من يقدر الكلمة الجادة الصادقة.

لست أدرى كيف أسدى إليك شكرى على هذا الجميل الغالى .فقد نشرت لى قصائد عدة فى أماكن عدة وصحف كثيرة ومجلات عربية -الشرق السعودية» وصحف الرأى العام -والفجر الجديد -والأنباء- والسياسة الكويتية والأخبار والجمهورية والمساء المصرية ولم تكن فرحتى بأى قصيدة نشرت فى هذه الأماكن قدر فرحتى بدراستى عن أمل دنقل التى قمت سيادتك مشكورة بنشرها «أو بالأحرى ..جزء منها» لا أملل إلا أن أقول إننى الآن تأكدت أن هناك أناسا يمتلئون إخلاصا ويفيضون صدقا ووفاء .وزالت تلك الغشاوة عن تفكيرى أننى لم آخذ فرصتى.. فقد كنت أتوقع أننى سوف أظل هكذا ..ما دامت الفكرة السائدة هى أن ولاة أمر النشر فى مصر يهتمون بأنفسهم فقط وبمعارفهم ولكننى بعد تفضلك علىّ بالنشر أيقنت أن مصر ما زالت بكل الخير..

الشكر لك منى بلا حدود.. والتعبير عنه فوق قدراتى.

تحياتى ختاماً

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،

برهان غنيم

نبع الحب

تبدّل حسنك أحلى وأبهى	وأيـــنع ورداً ..فــمــا أزهره!
تضوّع عودك بالحب ممكسا	أفاض علـى الـكون ما عطرّه
فما فيك ليس بكل النساء	ففــيك من الحســن ما أندره
وإنسيّة من نعيم الجنان	تــتــيــة كحــورية مــبهــره!
هو الحب ينضح بالمعجزات	ويضـــفى الجمال ..فما أكبره
تغار الحسان واسألن :	هذا بهاؤك سحر.. فمن أصدره؟!.

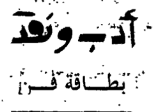
حسين محمد منصور

قصة قصيرة

من أوراق شخص عصرى

يستمع إلى الأغنية الغربية التى لا يفهم منها شيئا .يقرأ الكتاب المترجم عن« كيف تعيش سعيداً »؟ ولا يخرج منه بشئ.. يدخن السيجارة «المارلبورو» ..طعمها ماسخ .ينظر إلى المصيدة التى تصيّدت فأراً طالما أرق حياته .يخرج القلم ليكتب قصة قصيرة عن أحدهم الذى أنتحر عندما فشل فى الزواج من حبيبته .«قديمة» .يمسك بتلابيب الأوراق ويشعل النيران فيها .يزفر ..يخرج إلى الشارع المزدحم بالبشر الذين لا يعرفون عنه شيئا ولا يعرف عنهم . شيئا ..المحلات التى لا تعرض سوى« الجينز» والموديلات العارية ..السينما التى تعرض فيلم رعب أمريكى .«ما لاتعتقد فيه ، قد يقتلك»..العبادة المكتوبة على أفيش الفيلم ..بائع الجرائد الذى يصرخ «اقرأ الحادثة» يهم بعبور الطريق ..تحتك به سيارة سوداء ضخمة .يسقط أرضا.. يساعده البعض على الوقوف .«كويس انها جت على قد كده.خاللى بالك» ..يبتعد عنهم .يقترب من «السوبر ماركت» .. يجرع «الكوكاكولا» ..ازدادت حرارة الجو ..أوف.. «البيت فين؟ يفتح الباب .يضع شريط لذلك المغنى الشعبى .«قاعدين ساكتين ..تر لم لم لم ..ساكتين كده ليه» يستمتع بدخان «ال– أم» .«ليتنى مالبورور».يضحك ..ينظر إلى المصيدة الخالية من أى فئران .يضحك ..يسقط نائما فاغراً فاه.

محمد هشام عبيه
نادى أدب شربين
الدقهلية





سيف وانلي

حين نشرت (مرايا) نجيب محفوظ للمرة الأولى منجمة في مجلة (الإذاعة والتليفزيون)، كانت كنزا أدبيا يعبر به الروائي العالمي عن حركة التاريخ في مصر المعاصرة؛ بقادتها ومعاركها، وما تمور به، عبر حيوات شخوص المرايا التي استدعاها من الطفولة والصبا والحياة؛ مصحوبة بكنز فني خالص قدمته ريشة صديقه فنان الأسكندرية سيف وانلي.

رسم سيف وانلي (٣١مارس ١٩٠٦ – ١٥ يناير ١٩٧٩)، شخوص محفوظ؛ الذي نسجها بالقلم؛ بريشة بسيطة وقوية في آن. كان التلخيص الباهر يجعلك لا تنساها، فقد أعاد لها وانلي الحياة، وبفضل مهارة تركت لنا نحو ثلاثة آلاف لوحة زيتية وأكثر من ٨٠ ألف رسما أوليا، عرفت الضربات القوية السريعة والموجزة كيف تنقل لنا رقة شعراوي الفهام، وثقل دم سيد شعير، ولطف سعاد وهبي، وتلقائية رضا حماده. أو كما نرى غانم حافظ وماجدة عبد الرازق، وخليل زكي وعبد الرحمن شعبان (الغلاف الأخير) وباقي اللوحات.

الأخوان سيف وأدهم وانلي مثلا ظاهرة في التشكيل المصري المعاصر، وإذا كان سيف قد سبق أخاه إلى الحياة بعامين، فإن أدهم سبقه إلى الرحيل عنها، الأمر الذي ترك الرسام الكبير فريسة للحزن والألوان السوداء؛ يقول سيف وانلي: بعد أن ذهب هو إلى مكان لم يترك لي عنوانه، أصبحت ألواني سوداء.. بلا تعمد.. ما هذا؟! أنا الذي كانت ألواني صداحة وكنت معروفا بها، أنا الذي كنت أضع اللون الأزرق بجانب اللون الأخضر، أو الأخضر مع الأخضر، والأحمر مع الأحمر، متحديا المصطلح في فن التصوير.. ها أنا وفقت أخيرا إلى القيمة الجلالية للون الأسود ومشتقاته الرمادية.

لم تطبع المرايا (الملونة) في ٤٩ لوحة مجتمعة إلا في نسخة ترجمها روجر آلن، وصدرت عن الجامعة الأمريكية في القاهرة، وهي المجموعة التي أغادتني إلى الفنان العاشق للبحر والتجريد، غزير الإنتاج. ولولا محاولات زوجته الفنانة إحسان مختار للحفاظ على تراثه بعد رحيله، لتسربت كل أعماله، قبل أن تعرف طريقها إلى الجناح الخاص بأخوان وانلي في متحف الفنان محمود سعيد. وإذا كانت الدولة قد كرمت سيف وانلي في العام ١٩٧٣ بجائزتها التقديرية، فإن قطاع الفنون التشكيلية مطالب بتكريمه بطبع أسطوانة ليزرية مماثلة لأسطوانة محمود سعيد، تحمل أعماله للأجيال العاشقة للفن في كل مكان.

(ألف)



الأمل للطباعة والنشر
رقم الايداع ٧٥١٢ / ٩٢
«الثمن: جنيهان»